2

نهضة عاشوراء

كتاب دوري يتضمن دراسات حسينية تخصصية

- دراسة حول المقاتل والمصنّفات العاشورائيّة
- الطفل الرضيع وعليّ الأصغر
- الطفل الرضيع للإمام الحسين عليه السلام
- مع الثقلين في كربلاء
- عبد الله بن عبّاس والنهضة الحسينيّة
- نبذة من السياسة الحسينيّة

معهد سيّد الشهداء عليه السلام للفنون الحسيني

شبكة المعارف الإسلامية
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

نهضة عاشوراء

٢

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ - ص - ب: ٢٥/٣٢٧٠٢٤/٥٣
www.almaaref.org
www.almenbar.org
Email:menbar@almenbar.org

الكتاب: نهضة عاشوراء (٢)
إعداد: معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسينيّ
نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الإصدار الثاني: نيسان ٢٠١٣ م - ١٤٣٤هـ

نهضة عاشوراء

كتاب دوريّ يتضمّن دراسات حسينيّة تخصصيّة

٢

المركز الإسلاميّ للتبيلغ
www.almenbar.org

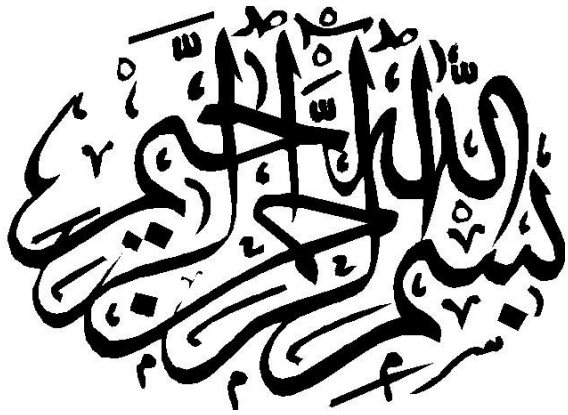
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على رسوله محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

إذا كان «**ما جرى في عاشوراء فريداً في تاريخ الإنسانيّة، ولم تشهد الإنسانيّة واقعة مثلها على مدى حياتها**»[1]، كما يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله، الذي استقى كلامه من معدن الرسالة وأهل بيت النبوّة عليهم السلام، الذين قالوا: «**لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**»، كما عن إمامنا الحسن عليه السلام[2]، و«**لا يوم كيوم الحسين**»، كما عن إمامنا زين العابدين عليه السلام[3]، فإنّ هذا الأمر يُلقي على عاتقنا مسؤوليّة خاصّة في كيفيّة التعاطي مع هذه الحادثة الاستثنائيّة، إن من حيث المضمون، أو المنهج، أو التحليل والدراسة، أو الاستفادة على صعيد الدروس والعبر..أو غيرها من الجوانب.. ولا ينبغي الاكتفاء بعرض الحادثة كما ذكرها المؤرّخون والرواة، فإنّها- وعلى ما في هذا العرض من غثٍّ وسمين لدى بعضهم أحياناً- ستتحوّل حينئذٍ إلى مجرّد حدث تاريخيّ لا يربط الماضي بالحاضر، ولا يستشرف المستقبل، وهو ما يتنافى مع عاشوراء التي يُنْظَرُ إليها كنهج وإلى كربلاء التي يُرتبط فيها كقضيّة.

وقد قام العديد من العلماء والمحقّقين والباحثين، وعلى طول التاريخ، بتقديم الشيء الكثير على صعيد البحث والتحقيق والدراسة، غير أنّ أهميّة هذه الواقعة، وعمق أبعادها وتجذّرها في الوجدان وعظيم ما تحمله من دلالات، جعلت منها معيناً لا ينضب ماؤه ولا يرتوي وارّده، فبالرغم من جميع ما قدّم إلى الآن، تبقى الكثير

(١) الكلمات القصار لآية الله العظمى السيّد علي الحسيني الخامنئيّ دام ظله، ص ٧٥.
(٢) الصدوق: الأمالي ص ١٧٧.
(٣) المصدر السابق ص ٥٤٧.

من الجوانب التي يجد القارئ، أو الباحث، أو المحقّق أنّها لا زالت بحاجة إلى بحث وتمحيص، وتحليل وتعميق..

ومن هنا جاء اهتمامنا، في معهد سيّد الشهداء، عليه السلام للمنبر الحسينيّ، بالجانب البحثيّ والتحقيقيّ العاشورائيّ، والذي عزمنا على العمل عليه من خلال أمرين: الأوّل: الندوات واللقاءات، والثاني: الكتب والإصدارت.

ولهذا قمنا بإعداد هذا الكتاب الجديد تحت عنوان: «**الكتاب العاشورائيّ بحوث ودراسات**»، والذي نضع بين أَيْدي القرّاء والخطباء الجزء الثاني منه، على أمل أن يوفّقنا الله، سبحانه، لنتحفهم بأجزاء أخرى لاحقاً إن شاء الله تعالى.

عملنا في هذا الكتاب:

ونلفت نظر القارئ الكريم إلى الآتي:

١- إنّ هذا الكتاب يأتي كجزء من سلسلة لمجموعة من الدراسات والبحوث المتعلّقة بالشأن العاشورائيّ الحسينيّ ينوي المعهد إصدارها تباعاً، والذي يضمّ موضوعات مختلفة ومتنوّعة، وقد يحتوي على ملفّ أو أكثر، أو على موضوعات متفرّقة.

٢- يتضمّن هذا الكتاب ستَّةً من البحوث والدراسات، أربعةٌ منها تمّ تعريبُها من اللغة الفارسيّة، واثنان منها كُتبا باللغة العربيّة.

٣- لقد جاء النص المعرَّب مع شيء من التصرّف بالحذف والتبديل، أو التقديم والتأخير، أو التغيير في الأسلوب أو صياغة العبارة، حسبما اقتضته الضرورة، أو استدعته السياسات المعتمدة للنصّ في المعهد.

٤- اخترنا بعض العناوين التي يكثر الحديث أو التساؤل حولها، ويستفيد من الإجابة عنها القارئ والباحث على حدٍّ سواء، مع إمكان أن يتمّ التعرّض للموضوع نفسه في بحث أو دراسة أخرى في إصدارات أخرى.

٥- آثرنـا عدم التعليـق أو النقد لما جاء في بعض هذه البحـوث والدراسات، رغم مخالفتنـا فـي الرأي له، وذلك إفساحـاً منّا في المجال للأخـذ والردّ العلميّ، الذي لا يصل إلى حدّ التشكيك والتضعيف.

٦- إنّ هـذه البحوث قد كتبها مجموعة من الباحثين والمحقّقين، كما أشرنا، ومن هنا فإنّها تعبرّ عن رأي أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المعهد.

وختاماً، فإنّنا نطلب من القرّاء والخطباء والباحثين الأعزّاء تزويدنا بملاحظاتهم وإرشاداتهـم البنّاءة، سائلين المولى تعالى أن يتقبّـل منّا هذا العمل القليل، ويثيبنا عليـه الثـواب الجزيل بمنّه وكرمه، ويجعله ذخراً لمن ساهـم فيه في نشره وحشره، وأن يحظى بالقبول والرضا من ساحة مولانا ومرتجانا بقيّة الله في أرضه، عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

معهد سيّد الشهداء عليه السلام

للمنبر الحسينيّ

دراسة حول المقاتل والمصنّفات العاشورائيّة منذ بدايتها وإلى عصرنا الحاضر[1]

تمهيد:

تحاول هذه الدراسة، ضمن مقطعين زمانيّين عامّين، التعريف بالمقاتل والمصنّفات التي تحدّثت عن تاريخ عاشوراء، منذ بداية تأليفها إلى عصرنا الحاضر.. ويتضمّن المقطع الأوّل بحثين اثنين، الأوّل يحتوي على المقاتل كعناوين، منذ بداية ظهورها حتّى القرن السابع، وفي البحث الثاني يحاول بحث تلك الآثار والمصنّفات وتقييمها.

أمّا المقطع الثاني فيتضمّن أيضاً بحثين اثنين الأوّل منهما- وبعد بيان مقدّمة- يقوم بتعريف عدّة آثار مهمّة من القرن الثامن حتّى عصرنا المعاصر. وفي البحث الثاني يستعرض أهمّ مصنّفات القرون المتأخّرة، التي كان لها الدور الأساس في تحريف ونشر الروايات الضعيفة وغير الصحيحة، بل الأسطوريّة، حول النهضة العاشورائيّة.

---

(١) محسن رنجبر، أستاذ مساعد في مؤسّسة الإمام الخمينيّ قدس سره للتعليم والبحوث- قمّ المقدّسة.

المقدّمة:

لا شـكّ أنّ واقعة عاشوراء تُعتبر الأهمّ من بين الأحداث التي حصلت في القرون الأولى بعد ظهور الإسلام، وقد امتازت من غيرها من الحوادث التاريخيّة، في جهات متعـدّدة؛ إنّ عظمـة هذه الواقعـة وأهمّيّتها دفعت الكثير مـن الأشخاص منذ الأيّام الأولـى، بعد تلك الحادثة، إلـى أن يُؤدُّوا دورهم كرواة على أتمّ وجه، وينقلوا الوقائع بشـكل مفصّل. إنّ هؤلاء هم الذين شاهدوا الواقعة عياناً؛ لأنّهم كانوا حاضرين في كربلاء وتابعوا الأحداث عن قرب.

وقد كان من بينهم الأفراد الذين بقوا أحياءً من القافلة الحسينيّة، وهؤلاء يمكن اعتبارهـم أوثق رواة هـذه الحادثة، وعلى رأسهم الإمـام السجّاد عليه السلام، ومن جهة أخرى هناك بعض الرواة من الأعداء. بالإضافة إلى ذلك، هناك الروايات الواردة عـن أئمّـة الشيعة المعصوميـن عليهم السلام الذين كانـوا باستمرار- ومهمـا بَعُدَ الزمن عـن تلك الواقعة- يقومون بدورهم في إحياء تلـك الحادثة، ويتكلّمون عن جزئيّاتها وتفاصيلهـا. وقد انتقلت هذه الطائفة من الروايات والأخبار بالتدريج من المشافهة إلى الكتابة والتصنيف.

في تلك الفترة التي لم تتميّز فيها العلوم الإسلاميّة، ومنها علم التاريخ، عن علم الحديـث والمصادر الروائيّة، بل كانـت المصنّفات الروائيّة مجموعة من الأحاديث التـي تشمل مختلف الفروع والعلوم، حينها كان يمكن أيضاً مع المراجعة والبحث أن نصادف روايات وأحاديث مرتبطة بوقائع عاشوراء، في تلك المجامع الروائيّة.

ولكن بالتدريج، مع التصنيف الموضوعيّ للأخبار والروايات، برزت في الميدان مؤلّفـات بعنـوان (مقتل الحسيـن عليه السلام) أو ما شابهـه من العناويـن، تحتوي على روايات تتحدّث عن مقدّمات تلك الواقعة، وما جرى فيها وما نتج منها من الأحداث والوقائـع. منـذ ذلك الحين وإلى يومنا هـذا، كان أصحاب المقاتـل يتناولون جزءاً كبيـراً من التاريخ الإسلاميّ فـي مصنّفاتهم، وكان لهم سـرد تاريخيّ خاصّ، تارة

يذهب صعوداً وأخرى نزولاً، مع تغيّرات وتبدّلات وتحوّلات مختلفة.

إنّ هـذه المقالة تتحدّث عن المقاتل والآثار المكتوبة المختصّة بتاريخ عاشوراء، وذلـك فـي ضمن بحثين كليّين؛ في البحـث الأوّل: نبدأ بعرض الآثـار المذكورة من تصنيفاتهـا الأولـى حتّى القـرن السابع على شـكل عناوين وأسماء، ومـن ثمّ نأخذ بالبحـث والنقـد والتقييـم لتلـك المقاتل والآثـار الأخـرى التي تتحدّث عـن تاريخ عاشـوراء. وأمّا في البحث الثانـي: الذي يتناول بالبحث مصنّفـات تاريخ عاشوراء من القرن الثامن حتّى القرن الرابع عشر، فيشرع بالتحقيق والنقد حول بعض الآثار المهمّـة، في تلـك المرحلة الزمنيّة، ثمّ يختم بالحديث عـن بعض المؤلّفات المهمّة التـي ظهرت في القرون المتأخّرة، وكان لها أكبر الأثر فيما يقال إنّه تحريف لواقعة كربلاء، والتي يحلو لبعضهم تسميتها: بالمصادر المؤسّسة للتحريف.

ويلزم هنا، ذكر أمرين قبل الشروع بالبحث،

الأوّل منهمـا: أنّ دائـرة البحث في هذه المقالة يشمل كلّ الآثار والمصادر التي تتحـدّث عن شهادة الإمـام الحسين عليه السلام وأصحابه وعـن تاريخ عاشوراء، سواءً كانت بعنوان (المقتل) أو أيّ عنوان آخر.

وأيضاً فإنّ محـور موضوعنا يتضمّن المصادر المهمّة والمعتدّ بها، التي تتحدّث عـن وقائع عاشوراء، وتمتاز بالقدم الزمانيّ سواءً كانت تصنيفات في تاريخ الأئمّة، أو التواريخ العامّة، أو المصادر التي تبحث في حال التراجم وأصحاب السير.

الأمـر الثانـي: إنّ كلّ مـا تناوله هذا البحث حول الآثار التـي تتحدّث عن واقعة عاشـوراء والتي تتمتّع بالخصائـص المذكورة، إنّما هو مـا كان مصنّفاً إلى القـرن السابع فقـط، لأنّ البعض من روايات ومنقـولات هذه الكتب قد نُقلت من مصادر تاريخيّة قديمة لم يبق منها أيّ أثر، وأمّا مصنّفات القرن الثامن وما بعده فقد سلمت من ذلك الواقع.

وبعبـارة أخرى فإنّ بعض المقاتل والمصادر القديمـة مثل مقتل: هشام الكلبيّ، وابـن أبي الدنيا، وأبي عبيد القاسم بن سلام الهرويّ، وأبي عبيدة معمّر بن المثنّى و... فقـد كانت كلّها متوفّرة لدى مصنّفي المقاتل، وكتّاب السيرة الكربلائيّة، حيث استفـادوا من تلك المقاتل فـي كتبهم بحيث إنّه لو غضضنـا النظر عن هذه الكتب فإنّنا، في الواقع، سنفقد قسماً من روايات ومنقولات تلك المصادر القديمة التي لم يبق منها إلّا اسمها.

وأمّا الأخبار الواردة في مصنّفات القرن الثامن وما بعده، أو تلك الروايات المنقولة عـن المصادر القديمة المتوفّرة، أو المصادر المتأخّرة، فإمّا أنّ اعتبارها يعتمد على اعتبار مصادرها وإمّا أنّها غير مسندة فلا اعتبار لها ولا يمكن الإستشهاد بها.

قبل الشروع بهذه المرحلة نبيّن المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ لعبارة (المقتل).

المقتل في اللغة والاصطلاح

- (مقتل) على وزن مَفعل، إسم مكان من مادّة (قتل) بمعنى مكان القتل[١].
- وأمّا في اصطلاح علم التاريخ، فالمراد من (مقتل الحسين عليه السلام) نوع من السرد التاريخـيّ الـذي يشرح حـال شهادة الإمـام الحسين عليه السلام وأنصـاره، وبكلمة واحدة هو دراسة واقعة كربلاء من أوّلها إلى آخرها.

وواضـح أنّ إطلاق عنوان (المقتـل) على الكثير من الآثـار المذكورة هو باعتبار أنّ مصنّفـي المقاتل ومؤرّخي واقعة عاشـوراء، قد جمعوا كلّ الأخبار والروايات التي تتحدّث عن واقعـة عاشوراء، وكيفيّة القتال فيهـا، واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام مع أنصاره، في مكان واحد وكتاب واحد. ولذلك فإنّ التعبير (مقتل الحسين عليه السلام) بمعنى المكان الذي جُمعت فيه الأخبار الواردة حول واقعة عاشوراء، ولا سيّما شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) عليّ أكبر دهخدا- كتاب اللغة (لغت نامه) كلمة (مقتل).

السير التاريخيّ في تصنيف المقاتل وحادثة عاشوراء في العالم الإسلاميّ:

كما سبق ذكره، يمكن تقسيم البحث العامّ، حول تاريخ كتابة المقاتل وسرد واقعة عاشوراء، إلى مرحلتين ومقطعين زمانيّين اثنين:

المقطع الأوّل: (من القرن الثاني إلى القرن السابع):

القسم الأوّل: التعريف الإجماليّ بالمقاتل والمصنّفات العاشورائيّة: في هذه المرحلة الزمانيّة بدأت المؤلّفات الكربلائيّة صعوداً من الناحية الكمّيّة ثمّ ذهبت نزولاً. كانت أعلى نسبة من التصنيف في هذا المقطع الزمنيّ خلال القرن الثالث والرابع، ثمّ بدأت بعد القرن الرابع بالاضمحلال.

نحن هنا، سنشرع بذكر الآثار التي صنّفها مؤلّفو المقاتل ومؤرّخو السيرة العاشورائيّة حسب الترتيب الزمنيّ، سواءً ما طبع منها أو ما هو موجود من نسخها المخطوطة في المكتبات العالميّة، أو التي لم يبق منها إلّا اسمها، أو بقي منها روايات منقولة في بعض المقاتل المتأخّرة. ونبدأ على النحو الآتي:

١- آثار القرن الثاني:

١- (مقتل الحسين عليه السلام) جابر بن يزيد الجعفيّ. كان من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام وتوفّي في العام ١٢٨ [١].

٢- (تسمية من قُتل مع الحسين عليه السلام من ولده وإخوته وأهل بيته وشيعته) الفضيل بن الزبير الرسان الكوفيّ (من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام).

٣- (مقتل الحسين عليه السلام) القاسم بن الأصبغ بن نباتة المجاشعيّ.

(١) رجال النجاشيّ- ص ١٢٨- ١٢٩ الرقم: ٣٣٢.

مـن المشهـور أنّ أقدم المقاتل هو مـا كتبه الأصبغ بن نباتة، وقـد اعتبر الشيخ الطوسـيّ أيضاً بـأنّ كتاب مقتل الحسيـن بن عليّ عليه السلام هو مـن مصنّفات الأصبغ بـن نباتة[١]. ولكن بالرغم ممّا نقله الشيخ الصدوق بـأنّ الأصبغ بن نباتة قد أدرك شهادة الإمـام الحسين عليه السلام[٢] إلّا أنّ الأخبار والنصوص التاريخيّة لم تنقل عنه أيّة رواية حول واقعة عاشوراء، بل الذي نقل في بعض الأخبار حول هذا الأمر هو عن ابنـه القاسم، وعليه فالظاهر أنّ الأثر المسمّى بالمقتل هو للقاسم بن الأصبغ الذي يروي بعضـ الأخبار حول حادثة كربلاء. وهذا ما نجده أيضاً عند الطبريّ[٣]، وأبي الفـرج الأصفهانيّ[٤]، والشيخ الصدوق[٥]، وسبط بـن الجوزيّ[٦] حيث ينقلون عنه أخباراً بوساطة واحدة أو عدّة وسائط.

٤- ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام:

إنّنـا لو غضضنـا الطرف عن الروايات القصيرة الـواردة عن الأئمّة عليهم السلام حول حادثـة كربلاء، في الجوامع الروائيّة، فإنّنا نجد أحياناً بعض الروايات المطوّلة التي تعتبـر بحدّ ذاتها في عـداد المقاتل. ومن جملـة ذلك الحديثُ المفصّـل الذي نقله الشيخ الصدوق في أماليه مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام. إنّ هذا الحديث يتضمّن مراحـل مختلفة مـن واقعة كربلاء منـذ انطلاقتها في المدينة المنـوّرة، بعد هلاك

(١) الشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ٨٥- ٨٦ الرقم: ١١٩.

(٢) ينقل الشيخ الصدوق عن حادثة تعليق أحد جنود عمر بن سعد رأس أحد الشهداء رواية عن القاسم بن الأصبغ أنّه قال: (قلـت لأبـي: لو أنّ حامل هـذا الرأس يرفعه قليلاً، أما يرى ما تفعله قوائم الجواد بـه؟!). قال الصدوق: إنّ هذه الرواية تدلّ على أنّ الأصبغ كان لا يزال على قيد الحياة عند وقوع حادثة كربلاء. (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال- ص ٢١٩).

(٣) الطبـريّ- تاريـخ الأمم والملوك- ج ٤- ص ٣٤٣ (قال هشام عن أبيه محمّد بن السائب عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال:...) نقل ابن حمزة الطوسيّ أيضاً هذا الخبر مباشرة عن القاسم بن الأصبغ مع حذف الاسناد.

(٤) أبـو الفـرج الأصفهانيّ- مقاتل الطالبيّين- ٧٨ (قال المدائنـيّ أبو غسّان عن هارون بن سعد عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال:...).

(٥) الشيخ الصدوق- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال- ص ٢١٨- ٢١٩.

(٦) سبط بن الجوزيّ- تذكرة الخواصّ من الأمّة بذكر خصائص الأئمّة- ج ٢- ص ٢٥٢- ٢٥٣ (حكى هشام بن محمّد عن القاسم ابن الأصبغ المجاشعيّ، قال:...)

معاويــة ومحاولة والي المدينة أخذ البيعة ليزيــد، إلى حين شهادة الإمام عليه السلام، ثمّ يتناول جزءاً من وقائع أسر أهل البيت عليهم السلام ومجلس ابن زياد[١].

وكذلــك روايــة عمّــار الدهنيّ عن الإمــام الباقــر عليه السلام حول نهضــة الإمام الحسيــن عليه السلام من أوّلها إلى آخرها مع حادثة أسر أهل البيت عليهم السلام في الشام ورجوعهــم إلى المدينــة المنوّرة، وحادثة خروج مسلم بن عقيــل أيضاً، فإنّ هذا الخبر يعدّ من هذا القسم من الروايات[٢].

٥- مقتل الحسين عليه السلام: عمّار بن أبي معاوية البجليّ الدهنيّ المعروف باسم عمّار الدهنيّ (م ١٣٣ هـ).

لــم يذكر أحدٌ مــن المؤرّخين وعلماء الرجال المتقدّميــن مصنّفاً أو رسالة حول واقعــة عاشوراء لعمّــار الدهنيّ باسم (مقتــل الحسين عليه السلام) إلّا أنّــه- وكما أُشير سابقــاً- فإنّ الطبريّ قد نقل في تاريخه، ضمــن عدّة صفحات، خبراً مطوّلاً نسبيّاً، عن عمّار الدهنيّ، حول واقعة عاشوراء من بدايتها إلى نهايتها.

وكذلــك ما رُوي عنه من أخبــار، في مصادر أخرى، حول هــذه الواقعة[٣]، وهذا ممّــا يدلّ على أنّ للدهنيّ كتاباً مستقلّاً باســم المقتل- ولو مختصراً- كما هو ثابت عنــد كثيرٍ مــن المصنّفين المتقدّميــن، وقد نصّ على ذلك أيضــاً بعض المحقّقين المعاصرين ونسب للدهنيّ مقتلاً[٤].

٦- مقتل الحسين: أبو مخنف لوط بن يحيى الأزديّ[٥] (م ١٥٧ هـ).

---

(١) راجــع: الشيــخ الصــدوق- الأمالي- المجلــس: ٣٠- ٣١ و٢١٥- ٢٣٢- من الواضح أنّه لا يمكن الاعتمــاد كثيراً على هذا الخبر باعتبار أنّ بعض مطالبه غير متوافقة مع الروايات التاريخيّة القديمة والمعتبرة.

(٢) الطبــريّ- مصــدر سابق- ج ٤- صــ ٢٥٧- ٢٦٠ و٢٩٢- ٢٩٤- جمــال الدّين يوسف المزّي- تهذيــب الكمال في أسماء الرجال- ج ٦- ص ٤٤٢- ٤٣٠- الذهبيّ- سير أعلام النبلاء- ج ٣- ص ٣٠٦- ٣١٠ وابن حجر العسقلانيّ- الإصابة في تمييز الصحابة- ج ٢- ص ٦٩- ٧١.

(٣) محمّد بن سعد- ترجمة الحسين ومقتله- ص ٣٨ و٤٩- وابن عساكر- تاريخ مدينة دمشق- ج ١٤- ص ١٩٩- ٢٠٠.

(٤) محمّد باقر المحموديّ- عبرات المصطفين- ج ١- ص ٦.

(٥) ابن النديم- كتاب الفهرست- ص ١٠٥- والشيخ الطوسيّ الفهرست- ص ٢٠٤- رقم ٢٠٤.

٢- آثار القرن الثالث:

يُعتبـر القرن الثالث المرحلة الأقوى في كتابة المقاتل والمصنّفات العاشورائيّة، مـن جهة الكـمّ والعدد. ومن الواضـح أنّ كتابة المقتل تقع أيضـاً- مثل بقيّة الفروع العلميّـة- تحت تأثير الظروف العامّة، ففي هـذا القرن ظهرت المصنّفات بأنواعها المختلفة، ومنها الجوامع الروائيّة. وقد بُذلت الجهود الكبيرة في هذا القرن لتأليف المقاتـل سواءً على يد الشيعـة أو السنّة، وكان بعضها مصـدراً لكثير من المؤلّفات التـي ظهرت فيما بعد، وإن كان ما وصل إلينا هو النزر اليسير منها إذ إنّ أغلبها قد فُقد.

إنّ من بين المحدّثين والمؤرّخين الشيعة والسنّة الذين نُسب إليهم- كما ورد في المصـادر الرجاليّة المتقدّمة- كتبٌ تحت عنوان (مقتـل الحسين عليه السلام) أو ما هو قريب منه في ذلك القرن، يمكن ذكر ما يلي:

١- مقتل الحسين عليه السلام- هشام بن محمّد الكلبيّ[١] (م ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ).

٢- مقتل الحسين عليه السلام- محمّد بن عمر الواقديّ[٢] (م ٢٠٧ هـ).

٣- مقتل الحسين عليه السلام- أبو عبيدة معمّر بن المثنّى[٣] (م ٢٠٩ هـ).

وقـد نقل السيّد ابن طاووس خبراً عن هـذا المقتل في كتابه الملهوف، حسب ما ورد في إحدى نسخه[٤].

---

(١) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ٤٣٤- ٤٣٥- الرقم ١١٦٦.

(٢) ابن النديم- مصدر سابق- ص ١١١.

(٣) الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ- الذريعة إلى تصانيف الشيعة- ج ٢٢- ص ٢٨- السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ- أهل البيت فـي المكتبـة العربيّـة ص ٥٣٣- وقد اختلفوا فـي سنة وفاته ما بين الأعـوام: ٢١٠- ٢١١- ٢١٣ ق. وغيرهـا أيضاً. (ابن النديم- مصدر سابق- ص ٥٩ والخطيب البغداديّ- تاريخ بغداد- ج ١٣- ص ٢٥٧.

(٤) السيّد ابن طاووس- الملهوف على قتلى الطفوف- ص ١٢٧ هذا الخبر يتحدّث عن دخول عمر بن سعد إلى مكّة في يوم التروية لقتل الحسين عليه السلام أو القتال معه بطلب من يزيد، ولكن الظاهر أنّ الذي دخل إلى مكّة هو عمرو بن سعيد الأشدق حاكـم مكّـة والمدينة (وليس عمر بـن سعد) لأنّ يزيد وطبقاً لما رواه الطبريّ قد ألحق فـي سنة (٦٠ ق) إمارة مكّة إلى عمرو بن سعيد إضافة إلى المدينة المنوّرة، (الطبريّ- مصدر سابق- ج ٤- ص ٣٠١).

٤- مقتل الحسين عليه السلام - زحم بن مزاحم المنقريّ[١] (م ٢١٢ هـ).

٥- مقتل الحسين عليه السلام - أبو عبيدة قاسم بن سلام الهرويّ[٢] (م ٢٢٣ أو ٢٢٤ هـ). وسيأتي معنا أن ابن عبد ربّه[٣] قد روى هو ومحمّد بن أحمد بن تميم[٤] طائفة من أخبار هذا المقتل.

٦- مقتل الحسين بن عليّ[٥] عليه السلام أو السيرة في مقتل الحسين[٦] عليه السلام أبو الحسن عليّ بن محمّد المدائنيّ البغداديّ (م ٢٢٤- أو ٢٢٥ هـ).

وقد نقل عنه أبو الفرج الأصفهانيّ[٧]- وسبط ابن الجوزيّ[٨] وجمال الدّين يوسف المزّيّ[٩].

٧- ترجمة الحسين عليه السلام ومقتله من الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد (م ٢٣٠ هـ).

٨- كتاب المقتل: أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هـ).

وقد روى ابن شهرآشوب خبراً من هذا المقتل[١٠].

٩- مقتل الحسين عليه السلام - إبراهيم بن إسحاق النهاونديّ[١١] (م ٢٦٩ هـ).

١٠- كتاب المقتل- عبد الله بن عمرو الورّاق (م ٢٧٤ هـ)[١٢]. وقد أورد سبط ابن

---

(١) ابن النديم- مصدر سابق- ص ١٠٦ والشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ٤٢٨- الرقم ١١٤٨.

(٢) الذهبيّ- سير أعلام النبلاء- ج ١٩- ص ٣٠٦- السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ- مصدر سابق- ص ٥٣٥- نقلاً عن السمعانيّ التحبير- ج ١- ص ١٨٥.

(٣) ابن عبد ربّه- العقد الفريد- ج ٤- ص ٣٥٢- ٣٥٣ (عليّ بن عبد العزيز قال: قرأ عليّ أبو عبيد القاسم بن سلام وأنا أسمع...) راجع أيضاً- المصدر نفسه- ص ٣٦٠.

(٤) محمّد بن أحمد التميميّ- كتاب المحن- ص ١٤٢- ١٤٧.

(٥) الشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ١٥٩- الرقم ٤٠٥.

(٦) ابن شهرآشوب- معالم العلماء- ص ١٠٧- الرقم ٤٨٦.

(٧) أبو الفرج الأصفهانيّ- مقاتل الطالبيّين- ص ٥١- ٥٦- ٥٧- ٥٩- ٦١- ٦٥- ٧٢- ٧٦- ٧٨- ٧٩.

(٨) سبط بن الجوزيّ- تذكرة الخواصّ من الأمّة بذكر خصائص الأئمّة عليهم السلام- ج ٢- ص ١٧٩- ١٨٧- ٢٢٥.

(٩) يوسف المزّي- تهذيب الكمال- ج ٦- ص ٤٠٧- ٤٣٢.

(١٠) ابن شهرآشوب- مناقب آل أبي طالب- ج ٤- ص ١٥٥.

(١١) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ١٩- الرقم ٢١ والشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ٣٩- الرقم ٩- ابن شهرآشوب- معالم العلماء- ص ٤٣- الرقم ٢٧.

(١٢) السمعانيّ- ذكره باسم أبي محمّد عبد الله بن أبي سعد، وقال: المقصود منه هو عبد الله بن عمرو عبد الرحمن بن بشر بن هلال الأنصاريّ الورّاق البلخيّ الإخباريّ، ولادته سنة: ١٩٧- ووفاته سنة: ٢٧٤ هـ. (الأنساب- ج ١- ص ٩٤- ٩٥).

الجوزيّ في بعض مصنّفاته خبراً عن هذا المقتل[١].

١١- مقتل الحسين بن عليّ عليه السلام: ابن قتيبة الدّينوريّ[٢] (م ٢٧٦ هـ).

وذكر أيضاً في كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب إليه، أخباراً بما يقرب من ثماني صفحات حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام تشبه كثيراً الأخبار التي نقلها حول ذلك ابن عبد ربّه في العقد الفريد[٣].

١٢- ترجمة ومقتل الإمام الحسين عليه السلام (المجلّد الثالث من مجموعة ثلاثة عشر مجلّداً باسم أنساب الأشراف). أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ (م ٢٧٩ هـ).

١٣- مقتل الحسين عليه السلام أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشيّ الأمويّ المعروف بابن أبي الدنيا[٤] (م ٢٨١ هـ).

استفاد عبد الرحمن بن الجوزيّ[٥] وابن عساكر[٦] من الأخبار الواردة في هذا المقتل- وقد كان هذا الكتاب موجوداً عند سبط بن الجوزيّ (القرن السابع) الذي نقل عنه أخباراً في عدّة مواضع من كتابه[٧].

١٤- رواية النهضة الكربلائيّة في الأخبار الطوال- أبو حنيفة الدّينوريّ (م ٢٨٢ هـ).

١٥- مقتل الحسين عليه السلام- أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفيّ الكوفيّ صاحب كتاب الغارات[٨] (م ٢٨٣ هـ).

---

(١) السمعانيّ- المصدر السابق- ج ٢- ص ١٩١.

(٢) هذا الكتاب مأخوذ من كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة الموجود نسخة مخطوطة منه في الجامع الكبير في صنعاء، يحتوي على (٩٢) من الصفحات تحت الرقم ٢٢٠٠- (عبد الجبّار الرفاعيّ- معجم ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام- ج ٨- ص ٧٢).

(٣) يقارن ما بين ما ذكر في السطر الثاني من الصفحة – ٥ إلى ١٢ من كتاب الإمامة والسياسة مع العقد الفريد- ج ٤- ص ٣٥٢- ٣٥٦.

(٤) الشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ١٧٠- الرقم ٤٤٩- وابن شهرآشوب- معالم العلماء- ص ١١١- الرقم ٥٠٦.

(٥) عبد الرحمن ين الجوزيّ- كتاب الردّ على المتعصّب العنيد- ص ٣٥- ٤٢- ٤٤- ٤٦- ٤٧- ٥٠- ٥١.

(٦) ابن عساكر- ترجمة ريحانة رسول الله الإمام الحسين عليه السلام (من تاريخ مدينة دمشق) ص ٣٤٦- ٣٧٥- ٣٨٧- ٣٩٩- ٤١٢- ٤٣٦).

(٧) سبط ابن الجوزيّ- مصدر سابق- ج ٢- ص ١٨٤- ١٨٨- ١٩٧- ١٩٩.

(٨) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ١٧- الرقم ١٩- الشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ٣٧- الرقم ٧- وابن شهرآشوب- مناقب آل أبي طالب- ص ٣٩.

١٦- مقتل الحسين عليه السلام - حسن بن سهل المجوز البصريّ[١] (م ٢٩٠ هـ)[٢].

١٧- مقتل الحسين عليه السلام - أبو عبد الله محمّد بن زكريا الغلابيّ البصريّ البغداديّ[٣] (م ٢٩٨ هـ).

روى ابن عساكر عنه خبراً حول قبر الإمام الحسين عليه السلام[٤].

٣ - آثار القرن الرابع:

١- مقتل الحسين عليه السلام - محمّد بن سليمان الكوفيّ[٥] (كان على قيد الحياة إلى سنة ٣٠٠ هـ).

٢- مقتل الحسين عليه السلام[٦] أو مولد الحسين بن عليّ عليه السلام ومقتله[٧]: أبو الفضل سلمة بن الخطّاب البراوستانيّ الأزدورقانيّ (م ٣٠١ هـ).

٣- رواية النهضة العاشورائيّة في كتاب تاريخ الأمم والملوك: محمّد بن جرير الطبريّ (م ٣١٠ هـ).

٤- مقتل الحسين عليه السلام - أبو القاسم في كتاب الفتوح- أحمد محمّد بن عليّ بن الأعثم الكوفيّ- م ٣١٤ هـ).

٥- مقتل الحسين عليه السلام - أبو القاسم عبد الله بن محمّد البغويّ[٨] (م ٣١٧ هـ).

وقد نقل ابن عساكر[٩] عنه بعض الأخبار حول الإمام الحسين عليه السلام.

٦- مقتل الحسين عليه السلام - أبو جعفر محمّد بن يحيى العطّار القمّي[١٠] (م ٣٢٨ هـ).

---

(١) ابن ماكولا- الإكمال- ج ٧- ص ٢١٦.
(٢) الذهبيّ- تذكرة الحفاظ- ج ٢- ص ٦٣٩- وله أيضاً- سير أعلام النبلاء- ج ١٣- ص ٥٣٤.
(٣) ابن النديم- مصدر سابق- ص ١٢١- والنجاشيّ- مصدر سابق- ص ٣٤٦- ٣٤٧- الرقم ٩٣٦.
(٤) ابن عساكر- تاريخ مدينة دمشق- ج ١٤- ص ٢٤٥.
(٥) ابن سليمان الكوفيّ- مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام- المقدّمة: ص ١٢.
(٦) الشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ١٤٠- الرقم ٣٣٤- وابن شهرآشوب- معالم العلماء- ص ٩٢- الرقم ٣٧٨.
(٧) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ١٨٧- الرقم ٤٩٨.
(٨) الحاج خليفة- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون- ج ٢- ص ١٧٩٤.
(٩) ابن عساكر- تاريخ مدينة دمشق- ج ١٤- ص ١١٥- ١٤٩- ١٧١- ١٨٧- ١٩٩- ٢٢١- ٢٢٨- ٢٢٩.
(١٠) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ٣٥٣- الرقم ٩٤٦.

٧- نهضة عاشوراء في كتاب العقد الفريد- أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ (م ٣٢٨ هـ).

٨- مقتل الحسين عليه السلام وذكر الحسين عليه السلام - أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد عيسى الجلوديّ الأزديّ البصريّ[١] (م ٣٣٢ هـ).

٩- نهضة عاشوراء في كتاب المحن- أبو العرب محمّد بن أحمد بن تميم التميميّ (م ٣٣٣ هـ).

١٠- مقتل الحسين- أبو الحسين عمر بن الحسن الشيبانيّ القاضي المعروف بابن الأشنانيّ البغداديّ[٢] (م ٣٣٩ هـ).

١١- رواية النهضة الكربلائيّة في مروج الذهب ومعادن الجوهر- أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ (م ٣٤٦ هـ).

١٢- رواية واقعة كربلاء في كتاب البدء والتاريخ- مطهّر بن الطاهر المقدسيّ (المتوفّى بعد سنة ٣٥٥ هـ).

١٣- رواية نهضة عاشوراء في مقاتل الطالبيّين- أبو الفرج الأصفهانيّ[٣] (م ٣٥٦ هـ).

١٤- مقتل الحسين عليه السلام - سليمان بن أحمد حافظ الطبرانيّ (م ٣٦٠ هـ).

يعدّ الطبرانيّ من محدّثي القرن الرابع الكبار، وله كتابان مهمّان في الحديث، أحدهما المعجم الكبير، والثاني المعجم الأوسط، وذكر ابن منده (م ٤٧٥ هـ) للطبرانيّ عند ترجمته، كتاباً باسم (مقتل الحسين عليه السلام)[٤] وقد فُقد هذا الكتاب مع مرور الزمن، ولم يبق منه أيّ أثر، وأمّا الموجود بين أيدينا فهو جزء مستخرج

(١) المصدر نفسه- ص ٢٤٢- العدد ٦٤٠- والعلّامة الحلّي- إيضاح الاشتباه- ص ٢٤٥.
(٢) إسماعيل باشا البغداديّ- هديّة العارفين- ج ١- ص ٧٨٠.
(٣) طبع من هذا الكتاب الجزء المتعلّق بشهادة الإمام الحسين عليه السلام وبني هاشم في كربلاء، بتحقيق السيّد مصطفى مرتضى القزوينيّ (عبد الجبّار الرفاعيّ- مصدر سابق- ج ٨ ص ٧٤).
(٤) أبو عبد الله بن منده الأصفهانيّ- ترجمة الطبرانيّ- ص ٢٠- الرقم ٣٩.

مـن المجلّد الثالث لكتابه المعجم الكبير[١] وقد طبـع لأوّل مرّة ضمن كتاب بعنوان الحسين عليه السلام والسنّة، مع تحقيقات عليه للسيّد عبد العزيز الطباطبائيّ.

ورد فـي هـذا الكتاب ١٤٨ روايـة، تتضمّن كلّ واحدة منها شيئـاً من حياة الإمام الحسيـن عليه السلام وفضائلـه، أو مـن واقعـة كربـلاء، أو الكرامات والمعجـزات التي حصلت بعد شهادة الإمام عليه السلام.

وقـد طبع هذا القسـم أيضاً مـن المعجم بصـورة مستقلّة تحت عنـوان (مقتل الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام) مع تحقيقات لمحمّد شجاع ضيف الله، وقد امتـاز تحقيقه من تحقيقـات الطباطبائيّ بإضافة ثلاثين روايـة تتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام.

مـن الواضـح أنّ هـذا القسم المستخـرج من المعجـم لا يعتبر مقتـلاً بالمعنى المعـروف والمصطلح، ولكـن حيث إنّ هذه الروايـات تتمتّع بميزة القـدم الزمانيّ ونقلها الطبرانيّ أيضاً بشكل مسند، فإنّها تستحقّ الاهتمام والتوجّه والدراسة.

١٥- مقتل الحسين عليه السلام - الشيخ الصدوق[٢] (م ٣٨١ هـ).

مع ملاحظة انتشار مذهب المحدّثين بين العلماء القميّين، فقد كان مقتل الشيخ الصـدوق يعدّ كتابـاً حديثيّاً مثل بقيّة كتبـه الروائيّة، وقد نقل أغلـب الروايات- إن لـم نقل جميعها- مسنـدة إلى المعصوميـن عليهم السلام لا سيّما الإمـام السجّاد عليه السلام والإمـام الصادق عليه السلام والإمـام الرضا عليه السلام، ولو أخذنا بعيـن الاعتبار الاحتياط الذي كان موجوداً عند محدّثي حوزة قمّ في القرن الثالث والقرن الرابع- حيث كانوا يرفضون الأحاديث الضعيفة، بل وينتقدون المحدّثين الذين ينقلونها- فهذا يعني أنّ هـذا المقتل، بالمقارنة مع المقاتل الأخرى، يحتوي علـى مقدار قليل من الأحاديث

(١) من صفحة ٩٤- ١٣٦- الرقم ٢٧٦٦- ٢٩١٣.

(٢) الشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ٢٣٧- ابن شهرآشوب- معالم العلماء- ص ١٤٧- الرقم ٧٦٤- وقد عبّر الشيخ الصدوق فـي كتابـه (من لا يحضـره الفقيه) ج ٢- ص ٥٩٨- عن هذا المقتل بهذه العبارة (وقـد أخرجت في كتاب الزيارات وفي كتـاب مقتـل الحسين عليه السلام أنواعاً من الزيارات...) وقد ذكر هذا المقتل أيضـاً في كتاب الخصال هامش الحديث رقم: ١٠١).

والروايـات غير المعتبرة[١] وقد بقي هذا المقتل متداولاً حتّى القرن السادس، ونقل عنه ابن شهرآشوب[٢].

١٦- مقتـل الحسين عليه السلام - محمّد بـن عليّ بن فضل بن تمام بـن شهريار الأصغر الملقّب بـ (سكين)[٣] (عاش في حدود ٣٨١ هـ).

١٧- مقتـل الحسين عليه السلام - أبـو جعفر محمّد بـن أحمد يحيى الأشعـريّ القمّي[٤] (القرن الرابع الهجري).

١٨- كتـاب المقتل- محمّد بن إبراهيـم بن يوسف الكاتب الشافعيّ (ولادته ٢٨١ ق. وفاته القرن الرابع)[٥].

١٩- نهضة سيّـد الشهداء الحسين بن عليّ عليه السلام وانتقـام المختار برواية الطبريّ وإعداد أبي عليّ محمّد بن محمّد البلعميّ (القرن الرابع الهجري)[٦].

٢٠- مقتل الحسين عليه السلام - المصنّف مجهول[٧].

٤- آثار القرن الخامس:

١- مقتل الحسين عليه السلام - أبو عبد الله الحاكم النيشابوريّ[٨] (م ٤٠٥ هـ).

---

(١) راجـع مقتل الحسيـن عليه السلام - برواية الشيخ الصدوق (الإمام الحسين عليه السلام وعاشـوراء على لسان المعصومين عليهم السلام) - تحقيـق وترجمة محمّد صحّتي السردروديّ- صـ ٢٥- لقد قام المحقّق المذكور بجمع أكثر من مائتي حديث من روايات واقعـة عاشوراء مستخرجاً إيّاها من المصنّفات الروائيّة المتبقيّـة من مؤلّفات الشيخ الصدوق، وممّا نقله أيضاً البعض في كتبهم عن الصدوق ثمّ أخذ بتدوينها وتبويبها وترجمتها، وبذلك يكون قد جدّد هذا المقتل وأحياه من جديد.

(٢) ابن شهرآشوب- مناقب آل أبي طالب- ج ٤- ص ٦٤- ٩٥.

(٣) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ٣٨٥- الرقم ١٠٤٦.

(٤) المصـدر نفسه- صـ ٣٤٩- الرقم ٩٣٩- وقد أثبت له ابن النديم كتاباً مستقلّاً بعنوان (ما نزل من القرآن في الحسين بن عليّ عليه السلام) ويحتمل أن يكون كتاباً مغايراً لمقتل الحسين عليه السلام (مصدر سابق ص ٢٧٧).

(٥) النجاشـيّ- المصـدر نفسه- صـ ٣٧٢- الرقم ١٠١٥- الشيخ الطوسيّ- الفهرست- صـ ٢٠٨- ٢٠٩- الرقم ٦٠٠- إنّ عنـوان (المقتـل) وإن كان اسماً عامّاً إلّا أنّه مـع الالتفات إلى انصراف هذا العنـوان للإنطباق على مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فيكون المقصود منه بظنّ قويّ هو مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

(٦) مأخوذ عن البلعميّ، الرسالة التاريخيّة للطبريّ.

(٧) توجـد النسخـة المخطوطة لهذا الكتاب في دار الكتب في القاهرة تحت الرقم ١٢٤٥ (الطباطبائيّ- مصدر سابق- ص ٥٤٨- الرقم ٧٠٨).

(٨) الحاكم النيشابوريّ- المستدرك على الصحيحين- ج ٣- ص ١٧٧.

٢- سيرة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته في كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد- الشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ).

٣- فصل تاريخ عاشوراء من كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم- أبو عليّ مسكويه الرازيّ (م ٤٢١ هـ).

٤- مقتل الحسين بن عليّ عليه السلام - أبو زيد عمارة بن زيد الخيوانيّ الهمدانيّ[١] (المتوفّى قبل ٤٥٠ هـ).

٥- مقتل الحسين عليه السلام - الشيخ الطوسيّ[٢] (م ٤٨٥ أو ٤٦٠ هـ).

٦- مقتل الحسين عليه السلام - أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكريّ (القرن الخامس)[٣].

٥- آثار القرن السادس:

١- مقتل الحسين عليه السلام - أبو المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزميّ (م ٥٦٨ هـ).

٢- مقتل الأئمّة عليهم السلام (فارسي) أبو المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزميّ- نقل كمال الدّين حسين بن عليّ الواعظ الكاشفيّ (م ٩١٠ هـ) في كتابه روضة الشهداء حول أحداث نهضة عاشوراء، مطالب متنوّعة في عدّة مواضع، عن كتاب تحت عنوان (نور الأئمّة) للخوارزميّ[٤]. والسؤال الذي يُطرح هنا، هل إنّ الكتاب المذكور هو ترجمة مقتل الخوارزميّ، أم أنّ الخوارزميّ صنّف كتاباً آخر للناطقين باللغة الفارسيّة؟

إنّ الإجابة القطعيّة عن هذا السؤال لا يمكن أن تكون سهلة ودقيقة، من خلال

---

(١) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ٣٠٣- ص ٨٢٧.

(٢) الشيخ الطوسيّ- الفهرست- ص ٢٤٢- الرقم ٧١٤- معالم العلماء- ص ١٥٠- الرقم ٧٦٦- وقد عبّر عن مقتل الحسين عليه السلام للشيخ الطوسيّ بعنوان (مختصر في مقتل الحسين عليه السلام).

(٣) الطباطبائيّ- أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة- ص ٥٤٨- عبد الجبّار الرفاعيّ- معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام- ج ٨- ص ٧٤.

(٤) على سبيل المثال: الكاشفيّ- روضة الشهداء- ص ٢٦٠- ٣١٥- ٣٢٧- ٣٣٨- ٣٤٠- ٣٦٠- ٣٧١- ٤٢٠- ٤٢٧- ٤٤٠- ٤٤٥- ٤٧٣.

بحث سطحيّ ومقارنة إجماليّة سريعة، لأنّ بعض الأخبار التي نقلها الكاشفيّ عن الكتاب المذكور تشبه إلى حدّ كبير بعض المطالب الواردة في مقتله[١]، وفي المقابل هناك روايات أخرى منقولة إمّا أنّها غير موجودة أصلاً في مقتله[٢] وإمّا أنّها لا تشبه أبداً متن الأشعار العربيّة الواردة في المقتل، وذلك مثل الترجمة الفارسيّة للأشعار[٣].

٣- مقتل الحسين عليه السلام - السيّد نجم الدّين محمّد بن أمير كا ابن أبي الفضل الجعفريّ القوسينيّ[٤] (المتوفّى قبل ٥٨٥ هـ).

٤- سيرة الإمام الحسين عليه السلام ومناقبه وفضائله ونهضة عاشوراء من كتاب: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام - ابن شهرآشوب (م ٥٨٨ هـ).

٥- ترجمة ريحانة رسول الله الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق- أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المشهور بـ (ابن عساكر الدمشقيّ) (م ٥٧١ هـ).

٦- مقتل الحسين عليه السلام - أبو القاسم مجير الدّين محمود بن مبارك بن عليّ بن مبارك الواسطيّ البغداديّ[٥] (م ٥٩٢ هـ).

٧- نهضة الإمام الحسين عليه السلام المأخوذ من كتاب الفتوح لابن الأعثم، ترجمة محمّد بن أحمد المستوفي الهرويّ[٦] (ترجم في عام ٥٩٦ هـ).

---

(١) على سبيل المثال تُقارَن هذه الصفحات: ٢٠٥- ٢٦٠- ٢٦٩- ٢٨٧- ٢٨٩- ٢٩٥- ٣٦٤- ٣٨١ و٣٩١ من كتاب روضة الشهداء بالترتيب مع الصفحات- ٢٨٣- ٣٣٥- ٣٥٠ (من المجلّد الأوّل لمقتل الخوارزميّ) و١١ – ١٤- ١٧- ٤٦- ٤٧- ٦٤- ٦٥- ٨٢- ٨٣ (من المجلّد الثاني منه).

(٢) راجع الكاشفيّ- مصدر سابق- ج ١- ص ٢٥٩- ٢٧١- ٢٩٧- ٣٥٣.

(٣) يقارن بين هذه الصفحات: ٢٩٩- ٣١٥- ٣١٦- ٣٣٧- ٣٤٤- ٣٤٦ من كتاب روضة الشهداء بالترتيب مع الصفحة ٣٣٨ من المجلّد الأوّل لمقتل الخوارزميّ- والصفحات: ٣١- ٣٥- ٣٧- ٣٨ من المجلّد الثاني منه.

(٤) منتجب الدّين عليّ بن بابويه الرازيّ- الفهرست- ص ١١٩- رقم ٤٥٧.

(٥) إسماعيل باشا البغداديّ- هديّة العارفين- ج ٢- ص ٤٠٤- وله إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون- ج ٢- ص ٥٤٠- والسيّد عبد العزيز الطباطبائيّ- مصدر سابق- ص ٥٤٦- رقم ٧٠٤- وقد ذكر الطباطبائيّ اسمه مجير الدّين، وأمّا إسماعيل باشا فأثبته هكذا: (محبر).

(٦) بتصحيح غلام رضا المجدّ الطباطبائيّ- طهران- مؤسّسة المنشورات العلميّة والثقافيّة- ١٣٧٣ عدد الصفحات ١٠٩.

٨- مقتل الشهداء (فارسي)- أبو المفاخر الرازيّ[١]- كان الرازيّ من شعراء القرن السادس الناطقين باللغة الفارسيّة، ومقتله هذا يعتبر أهمّ أثر ومصنّف له، والظاهر أنّ المؤلّف قد أورد الكثير من أحداث واقعة كربلاء بقالب شعريّ.

وقد كان له سهم كبير في المقاتل الواردة باللغة الفارسيّة[٢]، بسبب ترجمته للأرجوزات والأشعار التي أنشدها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام. هذا المصنّف كان موجوداً لدى الكاشفيّ مؤلّف كتاب روضة الشهداء، حيث نقل عنه الكثير من الأشعار[٣] وأوردها في مواضع متعدّدة من كتاب الروضة[٤].

٦- آثار القرن السابع:

١- رواية النهضة العاشورائيّة في الكامل في التاريخ- عزّ الدّين أبو الحسن عليّ بن أبي كرم المعروف بـ (ابن الأثير).

٢- مثير الأحزان- نجم الدّين محمّد بن جعفر، المشهور بـ (ابن نما الحلّي) (م ٤٥ هـ).

٣- نهضة عاشوراء في كتاب الحدائق الورديّة في مناقب الأئمّة الزيديّة حميد ابن أحمد بن محمّد المحلّى (م ٦٥٢ هـ).

٤- درر السمط في خبر السبط- لكاتبه محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ، المعروف بـ (ابن أبار البلنسيّ) (م ٦٥٨ هـ).

٥- مقتل الحسين عليه السلام- عزّ الدّين أبو محمّد عبد الرزاق بن رزق الله ابن أبي بكر بن خلف الجزريّ- المشهور بـ (الرسعنيّ)[٥] (م ٦٦١ هـ).

---

(١) الشيخ آغا بزرك - الذريعة- ج ٢٢- ص ٣٢.

(٢) رسول جعفريان- تاريخ التشيّع في إيران منذ نشوئه إلى دولة الصفويّين- ص ٦٠٥- ٣٨١- ٣٨٥- ٣٩٢- ٣٩٤- ٣٩٥- ٤٠٢- ٤١١- ٤٢١ و ٤٢٧.

(٣) الكاشفيّ- مصدر سابق- ص ٢٦١- ٣٣٠- ٣٤٩- ٣٥١- ٣٦٠- ٣٨٠- ٣٨١- ٣٨٥- ٣٩٢- ٣٩٤- ٣٩٥- ٤٠٢- ٤١١- ٤٢١ و٤٢٧.

(٤) المصدر نفسه- ص ٤٥٥- ٤٧٤- ٤٩١.

(٥) شمس الدّين محمّد الذهبيّ- تذكرة الحفاظ- ج ٤- ص ١٤٥٢- ولكن حسب كلام الطباطبائيّ في كتابه (أهل البيت في المكتبة العربيّة- ص ٥٤٨- الرقم ٧٠٥) فإنّ ابن رجب الحنبليّ أثبت اسم الكتاب في هامش كتاب طبقات الحنابلة (ج ٢- ص ٢٧٥) بعنوان مصرع الحسين عليه السلام، وكذلك ما فعله عمر رضا الكحّالة في معجم المؤلّفين (ج ٥- ص ٢١٨).

٦- البـاب الخاصّ بالإمـام الحسين عليه السلام من تذكـرة الخواصّ مـن الأمّة بذكر خصائص الأئمّة- سبط بن الجوزيّ (م ٦٥٤ هـ).

٧- ترجمـة الإمام الحسين عليه السلام من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، أحمد ابن أبي جرادة الحلبيّ المشهور بـ (ابن العديم) (م ٦٦٠ هـ).

٨- الملهوف على قتلى الطفوف- السيّد رضيّ الدّين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (م ٦٦٤ هـ).

٩- روايـة حادثة عاشوراء ومناقبها وأحداثها حسب مـا ورد في كتاب كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام - عليّ بن عيسى الأربليّ (م ٦٩٢ هـ).

١٠- ذكر واقعة عاشوراء بناءً على ما ورد في كتاب الكامل للبهائيّ في السقيفة- عماد الدّين الطبريّ (كان حيّاً إلى سنة ٧٠١ هـ).

كتب المراثي والعزاء:

مع مراجعة الآثار المصنّفة حول واقعة كربلاء في هذه المرحلة الزمنيّة، نصادف بعض الأحيان مؤلّفات لا تتحدّث عن تاريخ عاشوراء، ولكن باعتبار أنّها تتضمّن أشعاراً في رثاء وعزاء الإمام الحسين عليه السلام وتمتاز بالقدم الزمنيّ الخاصّ، بل إنّ أهل البيت عليهم السلام قد مدحوا بعض هؤلاء الشعراء، فقد أوردنا ذكرها هنا على النحو الآتي:

١- المراثـي- أبو رميح عمير بـن مالك الخزاعيّ (المتوفّـى قريباً من سنة ١٠٠ هـ)[1].

٢- كتـاب المراثـي- جعفر بن عفّان الطائـيّ (م ١٥٠ هـ) وهو مـن أعظم شعراء الشيعة في الرثاء على عهد الإمام الصادق عليه السلام وقد أثنى عليه الإمام عليه السلام بسبـب الأشعـار التي أنشدها فـي رثاء الإمام الحسيـن عليه السلام بين يدي الإمام

(١) جواد شبّر- أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام- ج ١- ص ٥٩.

الصادق عليه السلام [١] - حسب رأي ابن النديم فإنّ كتاب الطائيّ في المراثي يصل إلى مائتين من الصفحات[٢].

٣- مراثي الحسين عليه السلام - أبو عبد الله محمّد بن زياد الأعرابيّ (م ٢٣٠ هـ). هذا الأثر حسب تصريح الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ، يوجد منه نسخة في المكتبة الخديويّة لدار الكتب المصريّة. وقد طبع مع مقدّمة وتعليقات عليه لأحد المحقّقين والباحثين الإنكليز[٣].

٤- مراثي الحسين عليه السلام - إبن حمّاد بن عمر بن كليب مولى بني عامر بن صعصة الذي عاصر عهد بني أميّة وبني العبّاس معاً[٤].

٥- كتاب المراثي- محمّد بن عمران المزربانيّ الخراسانيّ (م ٣٨٤ هـ). يحتوي هذا الكتاب على ما يقرب من (٥٠٠) صفحة[٥].

القسم الثاني: التعريف والتقييم للمقاتل والمصنّفات العاشورائيّة، من بداية القرن الثاني إلى القرن السابع.

كما سبق معنا في بداية هذه المقالة، فإنّ بعض الآثار المتضمّنة للتاريخ العاشورائيّ بقيت مَصونة من حوادث الزمان الغادرة، ونحن هنا نحاول ذكرها، والتعريف بها وبيان خصائصها، على الشكل الآتي:

١- تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام من ولده وإخوته وأهل بيته وشيعته، الفضيل ابن الزبير الأسديّ الرسّان الكوفيّ[٦].

أحصى الفضيل في هذا الكتاب أسماء الأشخاص الذين قتلوا مع الإمام عليه السلام

(١) الشيخ الطوسيّ- اختيار معرفة الرجال- ج ٢- ص ٥٧٤- ح ٥٠٨.
(٢) ابن النديم- الفهرست- ص ٢٧٥.
(٣) آغا بزرك الطهرانيّ- مصدر سابق- ج ٢٠- ص ٢٩٣- والطباطبائيّ- مصدر سابق- ص ٤٦٣.
(٤) آغا بزرك الطهرانيّ- مصدر سابق- ج ٢٠- ص ٢٩٣.
(٥) ابن النديم- مصدر سابق- ص ١٤٦- ١٤٨ ومحمّد بن عمران المزربانيّ الخراسانيّ- الموشّح- ص ٥.
(٦) طبع هذا الأثر في مجلّة تراثنا الفصليّة العدد الثاني من سنة (١٤٠٦ هـ) على يد المحقّق العزيز السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ.

وفـي بعض الأحيان كان يذكر أيضاً أسماء القتلة. في البداية ذكر أسماء عشرين مـن شهداء أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ثمّ أورد أسماء (٨٦) مـن الأصحـاب ليصبـح المجموع (١٠٦) مـن الشهداء[١]، وقـد أشار في الختـام إلى حـال الأسر الذي حصـل لأهل البيت عليهم السلام وبعض الخطابات التي وردت عنهم عليهم السلام.

والملاحظ في روايـات الفضيل بن الزبير وجود أخبار نادرة وغريبة، على سبيل المثـال نجده مع اعترافـه بمرض الإمـام السجّاد عليه السلام إلّا أنّه ينقـل مشاركته في بعض ميادين معركة كربلاء[٢].

وعلـى الرغم من كـون المصنّف محدّثاً من أصحاب الإمـام الخامس والسادس إلّا أنّـه- حسـب رأي بعض علماء الرجال- زيديّ المذهـب ومن الأصحاب البارزين المبلّغين بالمذهب الزيديّ[٣] ولكن مع ذلك فقد عدّوه ممدوحاً أو موثّقاً. سنة وفاته غيـر معلومـة، وإن كان لا بـدّ أن تكون في النصـف الثاني من القرن الثانـي. ثمّ إنّ الوصـول إلى هذا الأثر غيـر ممكن في زماننا الحاضر إلّا عـن طريق كتاب الأمالي الخميسيّـة، لمؤلّفـه يحيى بن حسيـن (م ٤٧٩ هـ)[٤]. وكتاب الحدائـق الورديّة[٥]، لمصنّفه حميد بن أحمد بن محمّد المحلّى (م ٦٥٢ هـ).

٢- مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزديّ الغامديّ (م ١٥٧ هـ)[٦].

---

(١) مـا ذكـر في تلك الرسالة هو (١٠٧) شهداء، وهذا خطأ فـي الطباعة حيث لم يُذكر زهير بن القين في الشهداء ، بينما ذُكر قاتلاه منهم!!

(٢) المصدر المذكور، مجلّة تراثنا الفصليّة العدد الثاني من سنة (١٤٠٦ هـ) ص ١٥٠.

(٣) سعد بن عبد الله الأشعريّ القمّي- المقالات والفرق- ص ٧١- والخوئيّ- معجم رجال الحديث- ج ٩- ص ٢٦٢.

(٤) بيروت- عالم الكتب- ج ١- ص ١٧١- ١٧٣.

(٥) حميد بن أحمد بن محمّد المحلّى- الحدائق الورديّة في مناقب الأئمّة الزيديّة- ج ١- ص ٢٠٧- ٢١٢- إلّا أنّ المحلّى لم يذكر بعض المطالب التي تتحدّث عن بعض الشهداء، ولا ما ورد في آخر صفحة من الرسالة المذكورة.

(٦) ياقوت بن عبد الله الحمويّ- معجم الأدباء- ج ١٧- ص ٤١- محمّد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ (٧٦٤ ق) فوات الوفيات- ج ٢- ص ١٧٥- والذهبيّ- سير أعلام النبلاء- ج ٧- ص ٣٠٢.

وهـو أيضاً من مؤلّفي المقاتل في القرن الثاني، وقـد عُدّ أبو مخنف عبر التاريخ أشهرهـم وأقدمهـم بعد تصنيفه كتـاب (مقتل الحسين عليه السلام). وهـو بالرغم من نشوئـه في عائلة وبيئة شيعيّة (بالمعنى السياسيّ للتشيّع ومحبّة أهل البيت عليهم السلام) إلّا أنّ تشيّعـه ليـس ثابتاً، فقد قال النجاشيّ (عالم الرجـال الشيعيّ المعروف) في كتابـه الرجاليّ: شيخ أصحاب الأخبـار بالكوفة ووجههم. ولم يقل (شيخ أصحابنا) ولذا فإنّ كلامه لا يدلّ على تشيّعه[١].

وذكر بعض المحقّقين قرينة أخرى على عدم تشيّعـه (بالمعنى العقائديّ) هي عدم اتّهام علماء الرجال من أهل السنّة له بالرفض، كما كان متعارفاً عندهم تجاه الشيعـة[٢]. وصرّح أيضـاً ابن أبي الحديد بعـدم تشيّعه[٣]، وقـال طائفة من علماء الرجـال بتشيّعـه، ودليلهـم على ذلك هـو اتهام علمـاء الرجال من غيـر الشيعة له بالتشيّع[٤].

فـي كلّ الأحوال، وبغضّ النظـر عن الرجل فإنّ مدح النجاشـيّ له بقوله: (وكان يسكن إلى ما يرويه) يدلّ على وثاقته[٥].

ولأبـي مخنـف آثـار عديـدة، يعتبر أكثرهـا فريداً مـن نوعه حيـث يتناول الأحـداث المهمّة من القـرن الأوّل والثانـي، ومن بين هـذه المصنّفات كتاب (مقتـل الحسين عليه السلام) الذي يمتاز ببعض الخصائص من بقيّة الآثار، ونحن نذكرها على الشكل الآتي:

أوّلاً: أهمّيّة الموضوع، فإنّ حادثة كربلاء لها موقع خاصّ- لا سيّما عند الشيعة- من بين جميع الوقائع.

---

(١) رجال النجاشيّ- ص ٣٢٠.
(٢) راجع وقعة الطفّ (مقتل أبي مخنف) مع مقدّمة وتحقيق محمّد هادي اليوسفيّ الغرويّ- ص ١٩.
(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٤٧.
(٤) عبد الله المامقانيّ، تنقيح المقال، ج ٢ الرقم ٩٩٩٢.
(٥) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ٣٢٠.

ثانياً: القرب الزمانيّ للمؤلّف والكتاب أيضاً من واقعة كربلاء، فقد كان أبو مخنف ينقل روايات هذا الكتاب مباشرة عن شهود عيان أو بوساطةٍ واحدة أو اثنتين، وهذه ميزة غير متوفّرة في المقاتل المدوّنة في الأزمنة المتأخّرة عن تلك المرحلة.

ثالثاً: اهتمام من تأخّر عنه من المؤرخّين بهذا الأثر- سواءً من الشيعة أو السنّة- حيث قاموا بنقل جميع رواياته أو معظمها، ومنهم تلميذ أبي مخنف هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ (م ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ). ومن بعده محمّد بن جرير الطبريّ (م ٣١٠ هـ) وأبو الفرج الأصفهانيّ (م ٣٥٦ هـ) والشيخ المفيد (٤١٣ هـ) وسبط بن الجوزيّ (م ٦٥٤ هـ).

رابعاً: رتبة المصنّف، وهي حسب قول النجاشيّ- (شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة)- وله روايات تاريخيّة كثيرة فريدة من نوعها.

وأمّا الحديث عن الزمان الذي كتب فيه أبو مخنف هذا المقتل، فيمكن القول طبقاً لبعض القرائن، إنّ تدوينه كان في العقد الثالث من القرن الثاني، فهو عند نقله خبراً عن دخول مسلم بن عقيل إلى دار المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ في الكوفة يقول: إنّ هذه الدار تعرف اليوم بدار مسلم بن المسيّب[١] الذي كان عاملاً ليوسف بن عمر على شيراز سنة ١٢٨ هـ[٢]. وكتب اليعقوبيّ في خصوص هذه المرحلة الزمنيّة قائلاً: بعد شهادة زيد بن عليّ سنة (١٢١ هـ) بدأ الشيعة في خراسان من العبّاسيّين والعلويّين بالتحرّك والثورة في وجه السياسة الأمويّة، وقد جمعوا أتباعاً كُثُراً، ومن الأمور التي قاموا بها فضح جرائم بني أميّة التي ارتكبوها مع أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكانوا أيضاً يتذّكرون كتب الملاحم بين الناس[٣] طبعاً المقصود من هذا النوع من الكتب هو كتب معارك وحروب المسلمين التي كان من أبرزها المقاتل

(١) الطبريّ- تاريخ الأمم والملوك- ج ٤- ص ٢٦٤.
(٢) المصدر نفسه- ج ٦- ص ٣٩.
(٣) تاريخ اليعقوبيّ- ج ٢- ص ٣٢٦.

ولا سيّما مقتل الإمام الحسين عليه السلام. ويظهر أنّ أبا مخنف قد وجد تلك المرحلة الزمنيّة مناسبة جدّاً من جهة الظروف والشرائط لتصنيف المقتل. وهذا ما ذكره بعض المحقّقين حيث قال: إنّ بعض مدّعي الخلافة من بني العبّاس قد شجّع وحثّ أبا مخنف على التشهير ببني أميّة ونشر جناياتهم ومفاسدهم، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى كان الضعف والأفول لدولة بني أميّة قد بدأ، ممّا هيّأ أجواء مناسبة لأمثال أبي مخنف من أجل بثّ جرائم ومثالب بني أميّة في حقّ أهل البيت عليهم السلام من خلال جمع أخبار واقعة عاشوراء في مقتله[1].

بناءً على ذلك يمكن القول بأنّ مقتل أبي مخنف قد صنّف مقارناً تقريباً مع تصنيف جابر ابن يزيد الجعفيّ لمقتله.

ولكن للأسف فإنّ هذا المقتل فُقِد مع مرور الزمن، ولولا بعض المصادر التي نقلت عنه الأخبار مثل: تاريخ الطبريّ، ومقاتل الطالبيّين لأبي فرج الأصفهانيّ، والإرشاد للشيخ المفيد، وتذكرة الخواصّ لسبط بن الجوزيّ، لما بقي في زماننا المعاصر من هذا المقتل إلّا اسمه، كما وقع للكثير من المقاتل الأخرى.

وليس بعيداً أن يكون السبب الأساس لاندثار مثل هذا المقتل هو إقدام تلميذ أبي مخنف هشام بن محمّد على نقل كلّ روايات مقتل أستاذه، أو على الأقلّ معظمها في مقتله هو وبنفس الاسم أيضاً (مقتل الحسين عليه السلام) لأنّ هذا الأمر سيتسبّب بنسيان تدريجيّ لمقتل أبي مخنف لدى المؤرّخين ومصنّفي المقاتل خلال القرون اللاحقة.

الأمر الآخر الذي يقال ها هنا، أنّ كلّ عمل وإنجاز مهمّ ومميّز على مدى الزمان كان يصاب بأضرار مع مرور الأيّام، وهذا ما حصل لمقتل أبي مخنف، إذ لم يسلم من تلك الأضرار أيضاً، فنحن نجد بعض المصنّفين منذ القرن السادس وما بعده، ومن أجل أن يقنعوا قرّاء كتبهم وبأيّة وسيلة بما يروونه من الأخبار والأحاديث

(١) وقعة الطفّ- تحقيق محمّد هادي اليوسفيّ الغرويّ- ص ١٦.

الضعيفة، كانوا ينسبون تلك المنقولات إلى أبي مخنف[١].

وقد وصل الحال إلى حدّ تصنيف كتاب منسوب إلى أبي مخنف باسم (مقتل الحسين عليه السلام) بسبب فقدان الكتاب الأصليّ للمقتل، وثَمَّ فرق فاحش بين ما يتضمّنه هذا الكتاب وبين ما ورد من الأخبار المنقولة عن أبي مخنف في المصادر التي سبق ذكرها.

هذا، مضافاً إلى الأخطاء الواضحة الموجودة في هذا الكتاب المنسوب إلى أبي مخنف[٢] والذي لا يُعلم زمان كتابته بشكل دقيق، وإن كان بعض المحقّقين يعتقد أنّ تاريخ تأليفه هو في العهد الصفويّ[٣]. ومن المظنون أنّ هذا الكتاب كانت طباعته الحجريّة الأولى في سنة (١٢٧٥ هـ) بخطّ محمّد رضا الخوانساريّ في طهران، مع كتاب الملهوف ومهيّج الأحزان في مجلّد واحد[٤].

وقد ترجم هذا الكتاب أيضاً- حسب معلوماتنا- إلى لغة الأردو مرّة، واللغة الفارسيّة مرّتين، الأولى سنة ١٣٣٢هـ- على يد محمّد طاهر بن محمّد باقر الموسويّ الدزفوليّ في مجلّد واحد، مع كتاب أخذ الثار في أحوال المختار، الذي يُنسب أيضاً إلى أبي مخنف في (٢٤٠) صفحة.

والثانية سنة (١٤٠٥ هـ) بعنوان (مقتل الحسين عليه السلام) في مجلّد واحد مع كتاب أخذ الثار في (٣١٧) صفحة[٥].

وقد بذلت جهود، في السنوات الأخيرة، من أجل جمع وتجديد آثار ومصنّفات أبي مخنف، ومن جملة ذلك ما قام به بعض المحقّقين من إحياء مقتله، تحت

---

(١) على سبيل المثال يمكن ذكر خبرين نقلهما ابن شهرآشوب حول بعض وقائع يوم عاشوراء نقلاً عن أبي مخنف برواية رجل مجهول باسم الجلوديّ (مناقب آل أبي طالب- ج ٤- ص ٦٥- ٦٦) إلّا أنّ هذين الخبرين لا أثر لهما في كتاب تاريخ الطبريّ ومقاتل الطالبيّين والإرشاد للشيخ المفيد.

(٢) وقعة الطفّ- المقدّمة- ص ٢٢- ٢٩.

(٣) السيّد عليّ مير الشريفيّ (أبو مخنف وسركذشت مقتل وي) مجلّة (آينيه بزوهش) العدد ٢- ١٣٦٩- ص ٣٤- السيّد حسن الأمين- مستدركات أعيان الشيعة- ج ٦- ص ٢٥٥.

(٤) مير شريفيّ- مصدر سابق- ص ٣٨- والسيّد حسن الأمين- مصدر سابق- ج ٦- ص ٢٧٥.

(٥) مير شريفيّ- مصدر سابق- ص ٣٦- والسيّد حسن الأمين- مصدر سابق- ج ٦- ص ٢٥٦.

عنـوان (وقعة الطفّ) من خلال الروايات والأخبار المنقولة عن المقتل والواردة في المصادر التي سبق تعدادها[١].

وهنـا أمر آخر يجـدر ذكره، وهو أنّ بعض المحقّقين قد صـرّح بوجود أربع نسخ خطّيّـة من (مقتل الحسين عليه السلام) فـي مكتبة (كوته) الرقـم (١٨٣٦) وفي برلين (الرقـم ١٥٩- ١٦٠) وليدن (الرقم ٧٩٢) وسنت بطرزبـورك (الرقم ٧٨)- وعلى الرغـم من تشكيك بعض المستشرقين بانتساب هـذه المخطوطات إلى أبي مخنف إلّا أنّ أحـداً لا يستطيـع التشكيـك في القدم الزمانـيّ الخاصّ الـذي تتمتّع به هذه المخطوطات[٢].

وينقـل محقّـق آخـر أيضاً وجـود نسخة من الكتـاب مصوّرة أخـرى باسم مقتل الحسيـن عليه السلام لأبـي مخنـف موجودة فـي مكتبة أمبـروز ياناي فـي مدينة ميلان الإيطاليّة تحت رقـم (٢٣٣)[٣] إلّا أنّ إحراز القدم الزمانيّ لهذه المخطوطة يحتاج إلى بحث وتحقيق.

٣- مقتل الحسين عليه السلام - هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ (م ٢٠٤[٤] أو ٢٠٦ هـ)[٥].

كمـا أشرنا سابقاً، فإنّ هشام بن محمّد بن السائـب الكلبيّ هو أحد تلامذة أبي مخنـف، وهو مـؤرّخ معروف ومقبول لـدى الشيعة والسنّة، وكان مـن تلامذة الإمام الصـادق عليه السلام. من جملة مصنّفاتـه كتاب (مقتل الحسيـن عليه السلام) الذي يحتوي على أخبار هي في معظمها تمثّل روايات أستاذه أبي مخنف[٦]. ولكن باعتبار فقدان

(١) جمـع هـذا المقتل من المصادر الأصليّة وحقّـق على يد المحقّق الجليل الأستاذ محمّد هـادي اليوسفيّ الغرويّ، وطبعه مركـز المنشورات الإسلاميّة التابع لجامعة المدرّسين، وطبعه ونشـره أيضاً المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام مع بعض الإضافات والتصحيحات في سنة ١٣٨٥ هـ.

(٢) محمّد مهدي الجعفريّ- (تشييع درمسير تاريخ)- التشيّع عبر التاريخ- ص ٢٥٤- ٢٥٥.

(٣) شمس الدّين محمّد بن طولون- الأئمّة الاثنا عشر- ص ١٢٨.

(٤) المسعـوديّ، مـروج الذهب ومعادن الجوهـر ج ٤ ص ٢٧، والذهبيّ، ميزان الاعتدال ج ٤ صـ ٣٠٥، وابن العماد الحلبيّ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٣ ص ٢٧.

(٥) ابن النديم- مصدر سابق- ص ١٠٨- والذهبيّ- تذكرة الحفاظ- ج ٨- ص ٣٤٣.

(٦) النجاشيّ- مصدر سابق- ص ٤٣٥.

كلّ أثـر لهـذا المقتل حاليّاً فلا يمكن الحكم بشكل صحيح على طريقة استفادته من أخبار أستاذه.

من الواضح أنّ الأخبار التي نقلها عن أستاذه أو عن غيره قد وردت فيما بعد في كتـب أمثال تاريخ الطبريّ، ومقاتل الطالبيّين، وإرشاد الشيخ المفيد، ويمكن اعتبار هذا المقتل من مصنّفات القرن الثاني باعتبار أنّ وفاة هشام كانت في أوائل القرن الثالث ممّا يعني أنّ أغلب سنوات عمره قد قضاها في القرن الثاني.

٤- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله (من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبرى) محمّد بن سعد (م ٢٣٠ هـ).

لقـد قـدّم محمّد بن سعد بيانـاً مهمّاً في هامش الحديث عـن شخصيّة الإمام الحسيـن عليه السلام فـي كتابه الطبقـات، إلّا أنّ الطبقة الأولى التي نشـرت على أساس النسخة الناقصة ما بين سنوات ١٩٠٤- ١٩١٧م، قد فقد منها قسم كبير من تراجم الرجال ومنهـا ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن فـي الطبعة اللاحقة أُعيد ذكر تلـك الموارد الناقصة، ومنها ترجمة حال الإمامين الحسنين (عليهما السلام) في ضمن ثلاثة أجزاء مستقلّة.

في العقدين الأخيرين قام السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ بتحقيق حول شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام على أساس نسخة محفوظة منذ القرن السابـع في تركيا، ثمّ قام بطبعها. فيما بعـد نشر هذا القسم الذي لم يكن مطبوعاً فـي البداية (ومن ضمنه ترجمة الإمامين الحسنيـن عليهما السلام) تحت عنوان الطبقات الكبـرى- الطبقة الخامسة من الصحابة، فـي جزءين اثنين مع تصحيحات محمّد بـن صامل السلمـيّ[1]. يتناول الجزء الأوّل الحديث عـن الإمام الحسين عليه السلام من صفحـة ٣٦٩- ٥١٩، طبعـاً أكثر مـن نصف هـذه الصفحات هي حواشٍ وهوامش لمصحّح الكتاب.

(١) الطبعة الأولى- الطائف- مكتبة الصديق- ١٤١٤ هـ.

يتضمّـن كتاب (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله) قسمين، أحدهما يتحدّث عـن نسب الإمام عليه السلام وولادته وخصائصـه وفضائله ومناقبه، والثاني يروي واقعة عاشـوراء من بدايتها إلى نهايتها، ومن ضمنها شهادة الإمام عليه السلام. إنّ طريقة ابن سعد في كتابة التاريخ روائيّة، ولذا نراه قد نقل الأخبار بصورة مسندة، ففي القسم الأوّل نقـل تسعين خبـراً، وأمّا في قسم المقتل فقد نقل ما يقرب من خمسين خبراً، ولكنّـه اكتفى ببعض الأسانيد العامّة فـي بداية المقتل، ولم يذكر سنداً مستقلّاً لكلّ واحد من تلك الأخبار.

وقد روى أيضـاً ابن سعد بعض الأخبار حول الوقائع والأحداث الغريبة والخارقة للعـادة، سواءٌ منها السماويّة أو الأرضيّة، وكذلـك العقوبات والبلاءات التي أصابت بعض القتلة من جيش عمر بن سعد، بعد واقعة عاشوراء.

وعلـى الرغم ممّا كان عليه أسلوب ابن سعد في كتابه (الطبقات) حيث لم يذكر الحوادث والتحوّلات التاريخيّـة المهمّة التي تقع متزامنة مع حياة الأشخاص الذين هم في متناول بحثه، إلّا أنّ عظمة واقعة عاشوراء اضطرّته للحديث كثيراً حول هذه الحادثـة وقائدهـا، ولكنّه مع ذلك لم يُبـدِ رأياً في العديد من المـوارد التي تناولها بالبحـث من جهـة صحّتها أو عدم صحّتها. ومن أمثلة ذلك تأكيده على الأخبار التي تبرّئ ساحة يزيد من دماء شهداء كربلاء، وتلقي بالمسؤوليّة على عاتق ابن زياد.

٥- أنساب الأشراف- أحمد بن يحيى جابر البلاذريّ (م ٢٧٩ هـ).

كان البـلاذريّ مؤرّخـاً وأديباً وعالماً بالأنساب من عهـد المأمون إلى المستعين العبّاسـيّ، وقـد تنـاول الحديث فـي كتابه الضخم حـول أنساب وتراجـم العائلات الكبيـرة والبـارزة من عرب قريش. كتب في قسم مـن كتابه عن نسـب أبي طالب وعائلتـه وأولاده، وعن أمير المؤمنيـن عليه السلام وأولاده، ومنهم الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، وأمّا القسم الذي يتحدّث عن الطالبيّين فقد طُبع في بيروت سنة ١٣٩٧ هـ.

مـع تحقيقات للمحقّق الشهيـر محمّد باقر المحموديّ، وفـي السنوات الأخيرة طُبع ضمـن مجموعة ثلاثة عشر جزءاً باسم (جمل من أنساب الأشراف) بتحقيق سهيل الـزكار ورياض الزركليّ. وقـد احتوت الصفحات مـن (١٤٢) إلى (٢٢٨) الحديث عن حياة الإمام الحسين عليه السلام وواقعة كربلاء في الجزء الثاني من طبعة المجلّدين مـن (أنساب الأشـراف) بتحقيق المحموديّ[١]. وفي طبعـة الثلاثة عشر جزءاً هي موجودة في المجلّد الثالث من الصفحة (٣٥٨) إلى (٤٢٥).

بعد أن ذكر البلاذريّ عدداً من الأخبار حول ولادة الإمام الحسين عليه السلام وأولاده شرع ببيان واقعة كربلاء، وقد كانت الروايات الأولى التي أوردها تتحدّث عن علاقة الشيعة بالإمام الحسين عليه السلام منـذ توقيع الإمام الحسن عليه السلام الصلح مع معاوية. وكانـت طريقة البلاذريّ في كتابه هي التركيب مثلما فعل اليعقوبيّ والدينوريّ، ولذا نـراه بدلاً من ذكر سند مستقـلّ لكلّ خبر كان في أغلب الحالات يكتفي بنقله مكتفياً بعبارة (قالوا).

في بعض الأحيان يشير أيضاً إلى السند، فينقل مثلاً عن أبي مخنف[٢]، أو هشام الكلبـيّ[٣]، أو عوانـة بن الحكم[٤] أو هيثم بن عديّ[٥] أو عتبى[٦] أو عمر بن شبّه[٧]، وفـي بعض الأوقـات كان يستخدم تعبيـر (حدّثني بعض الطالبيّيـن)[٨] و (حدّثني بعض قريش)[٩].

يُعـدُّ كتاب (أنساب الأشراف) أحـد المصادر التاريخيّة لواقعـة عاشوراء، وهو

(١) طبعـاً- حسـب بعض الطبعات- يعدّ المجلّـد الثاني هو الثالث، وقد نشر أيضاً في جـزء واحد بتحقيق المحموديّ ضمن السيرة النبويّة.
(٢) المصدر- تحقيق سهيل الزكار،ورياض الزركليّ- ج ٣- ص ٣٦٨- ٤١٢.
(٣) المصدر- ص ٤٠٩.
(٤) المصدر- ص ٤١٧.
(٥) المصدر- ص ٤١٥.
(٦) المصدر- ص ٣٦٨.
(٧) المصدر- ص ٤١٣- ٤١٤- ٤١٦- ٤٢٤.
(٨) المصدر- ص ٤١١.
(٩) المصدر- ص ٣٧١.

متوافـق مع أخبار أبي مخنف وابن سعد، وعلـى الرغم من بعض الاختلافات بينها، فإنّ بعضها يؤيّد بعضها الآخر.

٦- الأخبار الطوال- أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوريّ (م ٢٨٢ هـ).

يُعتبـر أبو حنيفـة الدينوريّ مـن علماء القرن الثالـث وهو مـؤرّخ ومنجّم وعالم رياضيّات ونحـويّ ولغويّ وخبير في الأعشاب[١]. له آثار كثيرة في مختلف العلوم إلّا أنّ ما وصل إلينا من كلّ ذلك كتابان، أحدهما الأنواء، والآخر الأخبار الطوال.

وقـد أولى الدينوريّ عناية خاصّة بتاريخ إيران- باعتبار أنّه إيرانيّ وولادته كانت في منطقة كرمانشـاه- فكتب عن تاريخها قبل الإسلام وبعده في مصنّفه (الأخبار الطـوال). لم يتعرّض الدينوريّ لشيء مـن السيرة النبويّة أو خلافة الشيخين بينما خصّصـ لنقـل أحداث عاشـوراء أكثر من ثلاثيـن صفحة[٢] مـن مجموع صفحات الكتاب التي تبلغ (٤٠٠) صفحة (أي ما يقرب من عُشر الكتاب).

كان أسلـوب الدينـوريّ في كتابـة التاريخ علـى طريقة اليعقوبـيّ والمسعوديّ، أي بشـكل تركيبـيّ ومع حـذف الأسناد، وعندمـا يأخذ بذكر الأخبـار يبدأ بعبارة (قالـوا)[٣]، مـا عدا ما نقلـه عن عمر بن سعـد من طريق حميد بـن مسلم الذي كان صديقـاً لابـن سعـد[٤]. وعلى الرغم مـن ورود مضامين أخبـار الدينوريّ في المصـادر الأخرى القديمـة، إلّا أنّ كلماته المستعملة في ذلـك لها وقعها الخاصّ ولم ترد في غيره من المصادر. على سبيل المثال، من الأخبار المثيرة التي نقلها- وهـي تدلّ علـى السيرة الدّينيّـة والأخلاقيّة الخاصّة عند الشيعـة- خبر الطريقة التـي استخدمها جاسوس ابن زيـاد واسمه معقلاً للتعرّف علـى المكان الذي لجأ إليـه مسلم بن عقيل، فقد ذكر أنّ معقـل عندما ورد مسجد الكوفة لم يدر إلى من

(١) ابن النديم- الفهرست- ص ٨٦.
(٢) أبو حنيفة الدّينوريّ- الأخبار الطوال- ص ٢٢٧- ٢٦٢.
(٣) المصدر- ص ٢٢٩- ٢٤٣- ٢٤٥- ٢٤٧- ٢٥٤- ٢٥٧- ٢٥٩- ٢٦٠- ٢٦٢.
(٤) المصدر- ص ٢٦٠.

يتحدّث فوجد رجلاً يتعبّد في إحدى زوايا المسجد، فحدّث نفسه: إنّ الشيعة كثيراً ما يقيمون الصلاة، ولذا توجّه إلى ذاك المصلّي الذي تبيّن أنّه مسلم بن عوسجة، فعرض عليه مسألته[١].

وكتب أيضاً عن الفاصلة الزمنيّة بين قتل الإمام الحسين عليه السلام وبين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي خمسون عاماً، ثمّ أبدى تعجّبه الشديد من وقوع هذه الحادثة خلال هذه المدّة الزمنيّة القصيرة!![٢].

٧- تاريخ اليعقوبيّ، ابن واضح اليعقوبيّ (م ٢٩٢ هـ).

إنّ ما يثير العجب من اليعقوبيّ الذي يعتبر مؤرّخاً شيعيّاً شهيراً وعالماً في الجغرافيا وصاحب تاريخ اليعقوبيّ أنّه- وخلاف المتوقّع منه- لم يتحدّث في تاريخه عن واقعة كربلاء بأكثر من أربع صفحات[٣]، ولعلّ رعاية الاختصار والايجاز في كتابه قد أثّرا في هذا الأمر أيضاً.

وقد عدّ بعض المعاصرين لليعقوبيّ مصنّفاً مستقلّاً بعنوان (مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام)[٤] أو (مقتل الحسين عليه السلام)[٥] ولكن مع مراجعة المصادر القديمة حول آثار اليعقوبيّ لا نجد له مثل هذا المصنّف أبداً.

٨- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن محمّد بن جرير الطبريّ (م ٣١٠ هـ).

بيّن الطبريّ في هامش حوادث أعوام- ٦٠ و٦١ هـ - بعض الوقائع المرتبطة بثورة عاشوراء، ويعتمد قسم كبير من رواية عاشوراء في هذا الكتاب على أخبار (مقتل الحسين) لأبي مخنف وقد نقلها الطبريّ عنه من خلال تلميذ أبي مخنف وهو هشام بن محمّد بن سائب الكلبيّ، فكان يروي على هذا النحو: (قال هشام بن

(١) أبو حنيفة الدّينوريّ- الأخبار الطوال- ص ٢٣٥.
(٢) المصدر ص ٢٥٩.
(٣) تاريخ اليعقوبيّ، ج ٢ ص ٢٤٣- ٢٤٦.
(٤) الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة ج ٢٢ ص ٢٣.
(٥) الطباطبائيّ، أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة، ص ٥٣٧.

محمّـد عن أبي مخنف) أو (قال هشام: قـال أبو مخنف) أو (حدّثت عن هشام عن أبي مخنف)...[١].

مضافـاً إلى ذلك فإنّ الطبريّ نقل كثيراً عن مقتل هشام نفسه أيضاً وأخذ بعض الأخبار التي نقلها هشام عن غير أبي مخنف[٢].

وفـي الحقيقة فإنّ هشام قد صنّف كتاباً يتضمّن كتاب أبي مخنف كلّه أو جلّه مع بعض الزيادات من طرق أخرى، فجاء الطبريّ بعد قرن من الزمن واستفاد من ذلك فائدة كاملة.

لـم يهمل الطبريّ الروايات الواردة عن الواقديّ أيضاً[٣] ونقل كذلك من خلال روايـة عمّـار الدهنيّ بعض المطالب عن الإمـام الباقر عليه السلام فيمـا يتعلّق بموت معاويـة وطلـب الوليد بن عتبـة البيعة ليزيد من الإمـام الحسين عليه السلام إلى رجوع أهل البيت عليهم السلام للمدينة وإقامة بني هاشم مجالس العزاء فيها، كلّ ذلك نقله في قسمين[٤] اثنين من دون معرفة المصدر.

وقـد نقل الطبريّ في القسـم الأوّل المشار إليه أوّلًا رواية الواقعة من بدايتها إلى شهـادة مسلـم بن عقيل بشكل مختصـر عن عمّار الدهنيّ ثـمّ فصّلها نقلاً عن أبي مخنف[٥].

وقـد طبعت جميـع روايات واقعة كربلاء الـواردة في تاريخ الطبـريّ مضافاً إلى رسالة رأس الحسين عليه السلام مع تحقيقات للسيّد جميلي[٦].

وجمعـت أيضـاً روايات الطبريّ حـول ثورة الحسين عليه السلام تحـت عنوان (الثورة الخالدة- قيام جاويد) مع ترجمة وتصحيح لحجّة الله الجودكي[٧].

(١) الطبريّ- تاريخ الرسل والملوك- ج ٤- ص ٢٥٠- ٢٦٧- ٢٨٦- ٣٠٢- ٣١١- ٣٣١- ٣٥٥- ٣٥٧- ٣٥٨.
(٢) المصدر- ص ٢٦٠- ٢٦٥- ٢٩٠- ٣٠٠- ٣١٠- ٣٤٣- ٣٤٨- ٣٥١- ٣٥٤- ٣٥٦- ٣٥٨.
(٣) المصدر- ص ٢٥٥- ٢٩٦.
(٤) ج ٤- ص ٢٥٧- ٢٦٠- ٢٩٢- ٢٩٤.
(٥) المصدر- ص ٢٥٧- ٢٦٠.
(٦) بيروت- دار الكتاب العربيّ- ١٤١٧ هـ.
(٧) الطبعة الأولى- طهران- المؤسّسة الثقافيّة للمنشورات- تبيان- ١٣٧٧.

٩- تاريخنامه طبري (تاريخ الطبريّ) أبو عليّ البلعميّ (القرن الرابع):

شرع البلعميّ حديثه عن واقعة كربلاء تحت عنوان (خبر خلافة يزيد بن معاوية) إلى حين إرسال يزيد أسرى أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة المنوّرة[١]. على الرغم من اشتهار القول بأنّ تاريخ البلعميّ هو ترجمة فارسيّة لتاريخ الطبريّ، إلّا أنّ الرجوع إلى هذا الكتاب مع قليل من التأمّل، شاهد بنفسه على أنّ الأمر ليس كذلك، أي ليس ترجمة تامّة ودقيقة لأخبار وروايات الطبريّ بل هو ترجمة مختصرة لتاريخ الطبريّ مترافقاً مع بعض الزيادات والإضافات من قبل المترجم. ولذا فإنّنا نجد هذا الجزء من البحث، أي رواية ثورة الإمام الحسين عليه السلام يشتمل على بعض الأخبار التي لا يمكن العثور عليها في كتاب تاريخ الطبريّ بأيّ وجه من الوجوه.

على سبيل المثال هو يدّعي أنّ الإمام الحسين عليه السلام أرسل مسلم بن عقيل باقتراحٍ من ابن عبّاس[٢]، وأنّ الطفل الرضيع للإمام عليه السلام كان يبلغ من العمر سنة كاملة[٣] وأنّ الجسد الطاهر للإمام الحسين عليه السلام بقي في العراء مع بقيّة الشهداء مقطوع الرأس والأقدام ثلاثة أيّام على أرض كربلاء[٤]، وأيضاً تعيينه محلّ دفن الإمام عليه السلام وعليّ الأكبر وأبي الفضل العبّاس[٥].

إنّ مثل هذه الأخبار لم ترد أبداً في تاريخ الطبريّ، نعم الخبر الأخير فقط موجود بنقل الشيخ المفيد في الإرشاد[٦].

بقي أمر آخر وهو أنّ القسم المتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام من (تاريخنامه طبري) قد طبع مع رواية ثورة المختار وطلبه للثأر استناداً إلى نسخة محفوظة من القرن السادس تحت عنوان (ثورة سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليه السلام وثأر

(١) البلعميّ (تاريخنامه طبري) ج ٤- ص ٦٩٨- ٧١٥.
(٢) المصدر- ج ٤- ص ٦٩٩.
(٣) المصدر- ص ٧١٠.
(٤) المصدر- ص ٧١٢.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المفيد- الإرشاد- ج ٢- ص ١١٤.

المختار) قيام سيّد الشهداء حسين بن عليّ عليه السلام وخونخواهي مختار[١].

١٠- كتاب الفتوح، أبو محمّد أحمد بن الأعثم الكوفيّ (م ٣١٤ هـ)[٢]:

صنّف ابن أعثم الكوفيّ كتابه بعنوان (الفتوح) لبيان وقائع التاريخ الإسلاميّ منذ وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ولا سيّما حروب وفتوحات الخلفاء والحكّام المسلمين طبقاً للتسلسل الزمنيّ للحوادث، وعندما وصل إلى أحداث سنة (٦٠- ٦١ هـ). شرع بتناول وقائع ثورة عاشوراء التي خصّص من صفحات كتابه ما يقرب من ١٥٧ صفحة (أي ما يقرب من عشر كتابه) وقد بدأ ابن أعثم روايته لثورة كربلاء تحت عنوان (ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل والحسين بن عليّ وولده وشيعته)[٣]. ثمّ أنهى روايته تلك برجوع أسرى أهل البيت عليهم السلام مكرّمين إلى المدينة المنوّرة بأمرٍ من يزيد[٤].

إنّ أسلوب إبن الأعثم في كتابة التاريخ شبيه لما هو موجود عند اليعقوبيّ والدينوريّ، أي من دون ذكر الأسانيد، وبنحوٍ تركيبيّ وفي بعض الموارد على طريقة القصص والحكايات[٥]، ولذلك يجب التحرّي في رواياته عن واقعة عاشوراء والاحتياط فيها ومقابلتها مع أخبار أبي مخنف في تاريخ الطبريّ والإرشاد للشيخ المفيد وروايات المؤرّخين من أمثال: البلاذريّ والدينوريّ، فإذا لم تكن متعارضة معها ومنافية لها فيمكن الأخذ بها والاعتماد عليها.

---

(١) المصنّف محمّد سرور مولاي- (انتشارات بنياد فرهنك إيران- ١٣٥٩هـ) وأيضاً (طهران- بزوهشكاه علوم إنساني ومطالعات فرهنكي ١٣٧٧).

(٢) قال الحمويّ إنّ لابن الأعثم كتاباً تاريخيّاً بقي إلى آخر عهد المقتدر (معجم الأدباء- ج ٢- ص ٢٣١) يعلم من هذه العبارة أنّ ابن الأعثم كان لا يزال على قيد الحياة إلى نهاية خلافة المقتدر، أي إلى سنة (٣٢٠ هـ).

(٣) ابن الأعثم- كتاب الفتوح- ج ٤- ص ٣٢٢.

(٤) المصدر- ج ٥- ص ١٣٤.

(٥) على سبيل المثال هو ينقل بالتفصيل كيفيّة خروج الإمام عليه السلام من المدينة خلافاً لكلّ الأخبار المعتبرة، فهو يقول إنّ الإمام طولب بالبيعة فرفض ذلك، وبعد خروجه من بيته ومحاججته مع مروان بن الحكم أرسل الوليد بن عتبة حاكم المدينة خبراً إلى الشام برفض الإمام عليه السلام البيعة. طبعاً كان الجواب من يزيد يحتاج إلى أيّام عدّة ليصل إلى المدينة، وعندما وصلت الرسالة التي تأمر بقتل الحسين عليه السلام كان لا يزال متواجداً هناك لعدّة أيّام يذهب خلالها إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وفي إحدى الليالي (يظهر أنّها الليلة الثالثة) يخرج الإمام عليه السلام من المدينة (المصدر- ج ٥- ص ١٠- ٢٢) ولكن حسب ما نقل عن المصادر المعتبرة فإنّ الإمام عليه السلام قد خرج من المدينة في الليلة الأولى، وهذا ما تؤيّده الشواهد والقرائن والظروف الحاكمة في ذلك الوقت).

ومـع كلّ ذلك، فإنّ هذا الأثر يعتبر مـن المصادر التاريخيّة القديمة الهامّة التي اعتمـد عليهـا الشيعـة والسنّة عبـر التاريخ، فنرى علـى سبيل المثـال بعض أخبار المناقـب لابن شهرآشوب وبحار الأنوار والكثير من مطالب (مقتل الحسين عليه السلام) للخوارزميّ قد نقلت عن ذلك الكتاب.

ثـمّ إنّ بعض روايات ابن الأعثم تتمتّع بمميّزات خاصّة، لأنّ له الأسبقيّة في نقلها قبـل غيره مـن المؤرّخين، مثل خبـر وصيّة الإمام الحسيـن عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفيّـة وكلمتـه المشهورة حول فلسفة نهضته عليه السلام، حيث يقـول: «**وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً و...**»[1].

ومن الأخبار المهمّة التي نقلها: الخطبة القاصعة التي ألقتها السيّدة زينب عليها السلام عند تقريعها لأهل الكوفة، فإنّ ابن الأعثم يعدّ الناقل الثاني لهذه الخطبة بعد ابن أبي طيفور[2] (م ٢٨٠ هـ). وكان أيضاً هو السبّاق على جميع المؤرّخين وأصحاب المقاتل فيمـا نقله من الحوار الذي جرى بين الإمام السجّاد عليه السلام وبين الشيخ الشاميّ عند دخـول الأسـرى إلى الشام واقتنـاع الشيخ بكلام الإمام عليه السلام وتوبتـه[3]، ويظهر أنّ الشيخ الصدوق أيضاً (م ٣٨١ هـ) الذي نقل هذا الخبر فيما بعد[4] كان قد أخذه عن ابن الأعثم.

وكذلـك فإنّ كتـاب ابن الأعثـم يُعتبر أقدم المصـادر التي نقلـت خطبة الإمام

---

(١) ابـن الأعثـم- كتـاب الفتوح- ج ٥- ص ٢٥ طبعـاً- وحسب ما سيأتي- فـإنّ ابن شهرآشوب (م ٥٨٨ هـ) أورد هذه الجملة المشهـورة بعنـوان جواب شفهي (وليس وصيّة مكتوبة) من قبل الإمام الحسين عليه السلام على اقتراح عبد الله بن مطيع، ومحمّد بن الحنفيّة وابن عبّاس لمنع الإمام عليه السلام من التوجّه إلى العراق. الأمر الآخر في هذا المجال، هو أنّ بعض المصادر الشيعيّة المتأخّـرة مثل (بحار الأنـوار) نقلت هذه العبارة الشهيرة بعنوان وصيّة مكتوبة ضمـن رسالة (راجع البحار- ج ٤٥- ٣٢٩- ٣٣٠) إنّ العلّامـة المجلسـيّ وإن كان قد نقل ذلك من كتاب (تسلية المجالس) للسيّد محمّد بن أبي طالب الموسويّ، إلّا أنّه ومع قليل من البحث والمراجعة يعلم أنّ كتاب تسلية المجالس قد نقل ذلك أيضاً عن (مقتل الحسين) للخوارزميّ الذي نقل ذلك بدوره عن ابن الأعثم.

(٢) ابن أبي طيفور- بلاغات النساء- ص ٢٣- ٢٤.

(٣) ابن الأعثم- كتاب الفتوح- ج ٥- ص ١٣٠.

(٤) الشيخ الصدوق- الأمالي- المجلس ٣١- ص ٢٣٠- الرقم ٣.

السجّاد عليه السلام في مجلس يزيد.[١] وهكذا بعض الأخبار التي نقلها حول علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته مسبَّقاً، ومن جملتها عندما رأى الإمام عليه السلام جدّه في منامه عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة حيث أخبره بذلك قائلاً له: «**إنّي يا بنيّ عن قريبٍ أراك مقتولاً في أرض كربلاء بيد قومٍ من أمّتي عطشانَ ظمآنَ**»[٢].

هذا، مضافاً إلى ما نقله من تنبّؤ الملائكة والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم باستشهاده بل هو يذكر أيضاً خبراً عن اليهوديّ كعب الأحبار في ذلك[٣]، والحال أنّ المصادر القديمة والمعاصرة لابن الأعثم لا تذكر مثل هذه الأخبار إلّا قليلاً وبالإشارة فقط.

ترجمة كتاب الفتوح:

ترجم محمّد بن أحمد المستوفي الهرويّ[٤] في القرن السادس (٥٩٦ هـ). كتاب الفتوح الذي يذكر الوقائع التاريخيّة، منذ خلافة أبي بكر إلى نهاية واقعة عاشوراء. وقد صُحّح وطُبع منذ عدّة سنوات[٥].

إنّ المترجم، وبسبب ميوله الشيعيّة، زاد بعض العبارات والآراء الشيعيّة في ترجمته[٦].

يتحدّث في القسم الأخير من الترجمة عن واقعة عاشوراء من بدايتها إلى نهايتها، ويوجد فيه بعض الاختلافات مع المتن الأصليّ للكتاب، ويظهر ذلك جليّاً عند المقارنة بينهما.

مثلاً في حادثة حفر الإمام الحسين عليه السلام بئراً في كربلاء، ينقلها المترجم كما

---

(١) ابن الأعثم- المصدر- ج ٥- ص ١٣٢- ١٣٣.
(٢) المصدر- ص ١٩- وأيضاً: ص ٨٧- ٩٩- ١٠٠.
(٣) المصدر- ج ٤- ص ٣٢٣- ٣٢٧.
(٤) راجع فيما يتعلّق بمترجم كتاب الفتوح (ترجمة الفتوح- مقدّمة المصحّح- ص ١٨ وما بعدها).
(٥) تصحيح غلام رضا المجدّ الطباطبائيّ- طهران- (إنتشارات وآموزش انقلاب إسلامي) ١٣٧٢- ص ٨١٩ و٩٢٤.
(٦) على سبيل المثال يقارن بين الصفحات ٤٩٩- ٥٦٧- ٦٤٤- ٨١١- من ترجمة الفتوح مع متن كتاب الفتوح- ج ٢- ص ٤٩٦- ج ٣- ص ٧٧ و١٥٩ وج ٤- ص ٣٤٦.

هـي موجودة في كتاب الخوارزمـيّ، لا كما هي واردة في كتاب ابـن الأعثم[١]. ومن المحتمـل وجود هذا الخبر في نسخةٍ من كتاب الفتوح عند المترجم أو أنّه نقل ذلك من مقتل الخوارزميّ وأضاف ذلك إلى نقل ابن الأعثم خلال الترجمة.

وقد اعتبر المترجم أيضاً بعض الأشخاص مثل مالك ابن أوس المالكيّ[٢] وعمرو بـن خباوه[٣] من أصحاب الإمام الحسيـن عليه السلام مع أنّه ليس فقط لم يذكرهما ابن الأعثـم، بل لـم يرد ذكر مثل هـؤلاء في أصحـاب الإمام عليه السلام فـي أيّ مصدر من المصادر المعتبرة أبداً.

الأمـر الأخيـر الـذي يُذكر هنا هـو أنّ هذا القسم الـذي يختصّ بسيـرة الإمام الحسيـن عليه السلام في هذه الترجمة قد طُبع بصورةٍ مستقلّـةٍ تحت عنوان (قيام إمام حسين) - نهضة الإمام الحسين عليه السلام المنتخبة من كتاب الفتوح[٤].

١١- العقد الفريد- أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ (م ٣٢٨ هـ):

كتب ابن عبد ربّه الأندلسيّ عدّة صفحات حول نهضة عاشوراء، عند ذكره لحوادث سنـة (٦١ هـ)[٥]. وبيّن بشكلٍ مختصر ثورة الإمـام الحسين عليه السلام من بدايتها إلى نهايتهـا. إنّ ممّـا يلفت النظر في هـذه الصفحات هو المصـادر التي اعتمدها هذا المصنّـف في كتابه ذلـك. هو في البداية ينقـل عن مقتلٍ مفقـودٍ لمؤلّفه قاسم بن سـلام الهرويّ بوساطـة شخص يُدعى عليّ ابـن عبد العزيز، ثمّ ينقـل أخباراً عن بعض المحدّثين والمؤرّخين وعلماء الأنساب والرجال مثل الزبير بن بكّار (بوساطة عليّ ابن عبد العزيز) والضحّاك بن عثمان الخزاعيّ، والشعبيّ (نقلاً عن يحيى بن إسماعيل) والحسن البصريّ (نقلاً عن أبي الحسن المدائنيّ).

---

(١) ابن الأعثم- ترجمة كتاب الفتوح- ص ٨٩٣- يقارن مع كتاب الفتوح- ج ٥- ص ٩١.
(٢) ابن الأعثم- ترجمة كتاب الفتوح- ص ٩٠٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) طهران- شركة انتشارات علمي وفرهنكي- ص ١٠٩.
(٥) ابن عبد ربّه- العقد الفريد- ج ٤- ص ٣٥٢- ٣٦٢.

ينقل ابن عبّد ربّه عن قاسم بن سلام بعض الروايات المخالفة للمشهور، مثل حادثة لقاء الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى مكّة، بعبد الله بن مطيع حيث أجابه الإمام عليه السلام بعدما سأله عبد الله عن وجهة سيره، فقال عليه السلام: «**إلى العراق، فإنّ أهله قد دعوني إليهم في رسائل تقدر بأكثر من حمل بعير**»[١].

هذا مع أنّ دعوة أهل العراق للإمام عليه السلام - كما سيأتي- إنّما كانت بعد إقامته في مكّة أيّاماً عديدة.

١٢- كتاب المحن، أبو العرب محمّد بن أحمد بن تميم التميميّ (م ٣٣٣ هـ):

أورد مصنف هذا الكتاب بعض الأخبار حول شهادة الإمام الحسين عليه السلام لا سيّما ما وقع بعدها من الحوادث الخارقة للعادة مثل ظهور الحمرة في السماء، وخروج الدم من تحت الأحجار[٢].

إنّ الصفحات الستّ الأولى ممّا ذكره أبو العرب منقولة عن قاسم بن سلام التي رواها أيضاً عنه ابن عبد ربّه.

١٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ (م ٣٤٦ هـ):

يُعتبر المسعوديّ من مؤلّفي وعلماء الجغرافيا المشهورين في القرن الرابع، وهو من أحفاد عبد الله بن مسعود[٣]، أحد أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد تناول بالحديث في عدّة صفحاتٍ حول واقعة كربلاء عند بيانه لوقائع عام (٦١ هـ)[٤].

إنّ ما أورده المسعوديّ حول عاشوراء، وإن كان مذكوراً في المصادر القديمة المشهورة، إلّا أنّ بعض رواياته قد اختصّ بها وحده. مثلاً هو يعتقد أنّ دخول

(١) ابن عبد ربّه- العقد الفريد- ج ٤- ص ٣٥٢.
(٢) التميميّ- كتاب المحن- ص ١٤٢- ١٥٥.
(٣) ابن النديم- الفهرست- ص ١٧١.
(٤) المسعوديّ- مروج الذهب- ج ٣- ص ٦٥- ٧٣.

مسلم بن عقيل إلى الكوفة كان في اليوم الخامس من شهر شوّال[١]، ويذكر أيضاً أنّ عدد أصحاب الإمام عليه السلام عند مسيره إلى كربلاء مع عسكر الحرّ هو (٥٠٠) راكب وما يقرب من (١٠٠) راجل)[٢]. واعتبر أيضاً أنّ شهداء كربلاء قد بلغوا (٨٧) شهيداً[٣].

١٤- البدء والتاريخ، المطهّر بن الطاهر المقدسيّ (المتوفّى ما بعد ٣٥٥ هـ):

تعرّض مصنّف هذا الكتاب، في عدّة صفحات، إلى أبحاثٍ مثل طلب البيعة ليزيد، وسفر مسلم إلى الكوفة، وواقعة كربلاء وأشعار يزيد عند نكته شفتي الإمام الحسين عليه السلام بقضيب الخيزران الذي كان في يده[٤].

١٥- مقاتل الطالبيّين، أبو الفرج الأصفهانيّ (م ٣٥٦ هـ):

كان الأصفهانيّ من الشيعة غير الإماميّة، فهو أمويّ النسب وشيعيّ الميول[٥]. كتب في مصنّفه (مقاتل الطالبيّين) خلال ذكره للروايات المسندة حول ثورات آل أبي طالب وقتلاهم، ما يقرب من (٣٨) صفحة عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وما حصل من السبي لحرمه أيضاً[٦].

في البداية تحدّث أبو الفرج عن أسماء شهداء بني هاشم وكيفيّة شهادتهم، وقد بلغوا (٢٣) شهيداً (مع الإمام الحسين عليه السلام) ثمّ ذكر كيفيّة شهادة مسلم بن عقيل في الكوفة بشكل مفصّل. وفي الختام روى حادثة شهادة الإمام الحسين عليه السلام والأخبار الواردة حول سبي النساء وأهل بيت الإمام عليه السلام، وقد كان بيانه لكلّ هذه الوقائع مقتضباً ومبنيّاً على الاختصار والإيجاز.

---

(١) المسعوديّ- مروج الذهب- ج ٣- ص ٦٥.
(٢) المصدر السابق- ص ٧١.
(٣) المصدر نفسه- ص ٧٢- طبعاً المقدسيّ أورد مثل هذا الإحصاء من بعد الأصفهانيّ (البدء والتاريخ- ج ٦- ص ١١).
(٤) البدء والتاريخ- ج ٦- ص ١٣٨.
(٥) يمكن استفادة ذلك من مقاتل الطالبيّين، وأمّا تشيّعه الإماميّ فلا يمكن إثباته.
(٦) أبو الفرج- مقاتل الطالبيّين- ص ٨٤- ١٢١- إنّ طريقة الأصفهانيّ هي روائيّة، فعادة ما ينقل الأخبار مرافقةً للأسانيد.

نقل أبو الفرج أخباراً حول واقعة كربلاء عن عدّة رواة، إلّا أنّ القسم الأهمّ من تلك الحادثة نقله عن أبي مخنف، وأمّا الوسائط بينه وبين أبي مخنف فتارة كان يذكر اسم نصر ابن مزاحم المنقريّ[١]، وتارة أخرى كان يورد اسم أبي الحسن المدائنيّ[٢].

وقد نقل أيضاً في ذلك أخباراً عن الإمام السجّاد عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق[٣] عليه السلام. وفي بعض الموارد- مثل أخبار كيفيّة شهادة الإمام عليه السلام- فقد نقلها الأصفهانيّ بأسلوب تركيبيّ، فبعد ذكر الأسانيد دفعة واحدة يشرع بذكر النصوص والأخبار. إنّ طريقته الروائيّة، والتزامه بذكر الأسانيد فتح الباب أمام نقد رواياته من جهة السند، وإن كان ما قام به الأصفهانيّ يعطي الأمل بإحياء المقتل المفقود لأبي مخنف (ولو بالمقدار الذي نقله عنه).

وأورد أيضاً في بعض الأحيان قصائد عن شعراء الرثاء مثل الكميت بن زيد الأسديّ[٤] وسليمان بن قتّة[٥].

١٦- شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام، القاضي النعمان التميميّ المغربيّ (م ٣٦٣ هـ).

يُعدّ القاضي المغربيّ من العلماء الشيعة الذين كتبوا مقتلاً عن الإمام الحسين عليه السلام في هذا القرن، وقد روى في كتابه (شرح الأخبار) أكثر من خمسين رواية حول شهادة الإمام الحسين عليه السلام وواقعة كربلاء والأحداث التي حصلت من بعدها[٦].

لم يكن القاضي النعمان شيعيّاً في الأصل بل كان من أتباع المذهب المالكيّ[٧]

---

(١) أبو الفرج- مقاتل الطالبيّين- ص ١١٣.
(٢) المصدر- ص ٨٥- ٩٢- ٩٤- ١٠٢- ١٠٩ و١١٤.
(٣) بالترتيب: الأولى- التاسعة وأربع روايات في ص ٨٥- ٨٨- ٩٠- ٩١- ٩٢- ٩٣- ٩٧- ٩٩- ١١٣.
(٤) المصدر السابق- ص ٩٠.
(٥) المصدر نفسه- ص ١٢١.
(٦) القاضي النعمان- شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام- ج ٣- ص ١٣٤- ١٩٩- الرقم- ١٠٧٤- ١١٢٨.
(٧) ابن خلكان- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ج ٥- ص ٤١٥.

(وعلى قولٍ إنّه كان حنفيّاً)[١]، وأمّا أنّه صار إماميّاً أو إسماعيليّاً فهناك خلاف في ذلك بين من ترجم له، فالكثير من علماء الشيعة وبعض من ترجم له من غير الشيعة عدّوه شيعيّاً إماميّاً، إلّا أنّه لم يظهر ذلك في كتاباته تقيّةً بسبب سلطة الدولة الفاطميّة، ولذا نراه يطلق الكنى على الأئمّة عليهم السلام من بعد الإمام الصادق عليه السلام بطريقةٍ مشتركةٍ بينهم[٢].

أورد النعمان، في البداية، الروايات التي تتحدّث عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام والأخبار التي رويت عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، ثمّ ذكر مسير الإمام عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، ثمّ شهادة مسلم في الكوفة، والمعركة التي حصلت في كربلاء وشهادة الإمام عليه السلام والأحداث التي وقعت بعد ذلك، مثل أسر أهل البيت عليهم السلام ومجلس ابن زياد ويزيد.

وقد نقل قولين فيما يتعلّق باسم عليّ الأكبر، هل هو الإمام السجّاد أم لا؟ وذكر احتمالين بالنسبة إلى عدد أصحاب الإمام عليه السلام هل كانوا (٧٢) شخصاً أو أقلّ من ذلك؟ وحسب ما رواه أيضاً فإنّ قاتل الإمام عليه السلام هو سنان بن أنس النخعيّ، وقاطع رأسه الشريف هو خولّي.

وفي جزءٍ من مقتله يبيّن أسماء الشهداء من أهل بيت الحسين عليه السلام، وكانت طريقة القاضي في نقل الأخبار عادةً مع ذكر الأسانيد، إلّا أنّه كان يتّبع أسلوب نقل جزء من السند وترك الجزء الآخر منه، اعتماداً على إسناد الراوي.

١٧- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بـ (الشيخ المفيد) المتوفّى عام (٤١٣ هـ):

(١) ابن تغري البرديّ- النجوم الزاهرة في أحوال ملوك مصر والقاهرة- ج ٤- ص ١٠٦.

(٢) يمكن الرجوع للتعرّف على حياته ومعتقداته ومذهبه وكتبه إلى: مقدّمة شرح الأخبار، بقلم المحقّق السيّد محمّد الحسينيّ الجلاليّ- قم مركز المنشورات الإسلاميّة التابع لجماعة المدرّسين- ١٤٠٩ هـ. ج ١- ص ٨٢٥- وقد بحث محقّق آخر حول مذهبه بالتفصيل، وأثبت انتماءه للمذهب الإسماعيليّ بالأدلّة والشواهد، راجع (أمير جوان راسته = قاضي نعمان ومذهب) أو القاضي النعمان ومذهبه- فصلنامه هفت آسمان- السنة الثالثة العدد (٩) و (١٠) ١٣٨٨- ص (٥٨) وما بعدها.

تناول الشيخ المفيد بعد حديثه عن أمير المؤمنين عليه السلام حياة الإمام الحسين عليه السلام وواقعة عاشوراء في فصلٍ مستقلّ بأكبر حجمٍ ورد في كتابه (ما يقرب من (١٠٩)[١] من الصفحات أي سُبع حجم الكتاب تقريباً) وهذا يدلّ على مدى اهتمامه وتعلّقه العظيم بهذه الواقعة ووقعها الخاصّ لديه.

وصرّح الشيخ المفيد بأنّ أخبار واقعة كربلاء قد نقلها عن هشام الكلبيّ (الذي كان هو بدوره ينقل أيضاً عن مقتل أستاذه أبي مخنف) وعن المدائنيّ وغيرهما.

إنّ مراجعة الأخبار التي أوردها الشيخ المفيد ولو بشكل إجماليّ تظهر لنا بسهولةٍ أنّ معظم الموارد التي ينقل فيها روايات (تاريخ الطبريّ) كانت مع حذف السند وبنحوٍ مختصر، فالمقارنة بين ما هو موجود في تاريخ الطبريّ مع الأسانيد وبين ما نقله الشيخ المفيد يثبت هذا الأمر بوضوح، وفي المقابل يوجد أمر يستحقّ الالتفات في منقولات الشيخ المفيد وهو الاضافات الموجودة عنده، ولا يمكن الحصول عليها في أخبار الطبريّ، على سبيل المثال فقد نقل المفيد كيفيّة قتال أبي الفضل العبّاس وشهادته[٢] وبيّن مكان دفن عليّ الأكبر والعبّاس وغيرهما من الشهداء[٣] ممّا لم يذكره الطبريّ أصلاً.

١٨- مقتل الإمام الحسين عليه السلام من كتاب تاريخ الخلفاء (المصنّف الذي عاش ما بين القرن الثالث إلى القرن الخامس مجهول) تحقيق رسول جعفريان:

طبع في موسكو عام ١٩٦٨ م. كتاب تحت عنوان (تاريخ الخلفاء) لمصنّف مجهول، يحتوي جزء منه على رواية واقعة كربلاء عند كلامه حول خلافة يزيد. يعتقد محقّق ذلك الكتاب أنّ أسلوب كتابة هذا الأثر يتناسب مع كتابات القرن الثالث والرابع، وتتلاءم رواياته مع المتون القديمة والموثّقة.

---

(١) الشيخ المفيد- الإرشاد- ج ٢- ص ٢٧- ١٣٥.
(٢) المصدر السابق- ص ١٠٨- ١٠٩.
(٣) المصدر نفسه- ص ١١٤.

إنّ مؤلّف هذا الكتاب قد استفاد من المصادر القديمة المعتبرة ونقل أخبار واقعة عاشوراء مع حذف الأسانيد وبشكل مختصر وبأسلوبٍ تركيبيّ مع تغيير طفيف في العبارات، من دون إضافة شيء جديد إلى المتون.

هو لم ينقل خبر الاحتجاج والحوار بين الإمام السجّاد عليه السلام وبين ابن زياد إلّا عن حميد بن مسلم[١] (الذي كان من عسكر الأعداء وحضر مجلس ابن زياد ونقل أبو مخنف عنه الكثير من الأخبار بوساطة سليمان بن أبي راشد).

يقول المصنّف في آخر حديثه عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام: إنّ ما فصّلناه من القول في سيرة الحسين عليه السلام ومقتله يعدّ قليلاً جدّاً مع ما هو منقول عن الرواة والمحدّثين، وإنّ علّة هذا الشرح والتفصيل هي عدم وقوع مثل هذه الحادثة من قَبل الإسلام ولا من بعده، ولا يوجد لها مثيل حتّى في الديانات الأخرى، بل لم يقع ما هو قريب منها أيضاً!!![٢]

١٩- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو عليّ مسكويه الرازيّ (م ٤٢١ هـ):

كتب أبو عليّ مسكويه ما يقرب من (٤٠) صفحة من كتابه هذا حول واقعة كربلاء عند تناوله لوقائع عصر خلافة يزيد، وقد اكتفى في هذا القسم من كتابه بتلك الأخبار الواردة عن الطبريّ في تاريخه من طريق أبي مخنف وغيره من الرواة، وكان نقله لأخبار هذه الحادثة بشكل مختصر وبأسلوب تركيبيّ مع حذف الأسانيد من بداية طلب البيعة ليزيد حتّى عودة أسرى أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة المنوّرة[٣].

٢٠- الإستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ القرطبيّ (م ٤٦٣ هـ):

كتب القرطبيّ تقريباً خمس صفحات حول شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام في

(١) مقتل الحسين عليه السلام- تحقيق رسول جعفريان- مجلة تراثنا الفصليّة (فارسي) العدد ٤٨- ص ٢٤٤.
(٢) المصدر السابق- ص ٢٤٧.
(٣) ابن مسكويه الرازي- تجارب الأمم وتعاقب الهمم- ج ٢- ص ٣٨- ٨٣.

هـذا الكتـاب[١]. ومن الأمـور التي ذكرها خبـر يحيى بن معين الـذي نقل عن أهل الكوفـة أنّ قاتـل الإمام عليه السلام هو عمر بن سعـد، وقد حاول توجيـه كلام الكوفيّين بالقـول: إنّ عمر بن سعد هـو القاتل باعتبار أنّ شرط حكومـة الريّ الذي وعده بها ابن زياد هو قتال الحسين عليه السلام وكان هو قائد جيش إبن زياد في تلك المعركة[٢].

إنّ الأخبار التي ذكرها ابن عبد البرّ- باستثناء بعض الروايات الفقهيّة- لا تحمل شيئاً جديداً، بل هي أخبار مشهورة وردت في مصادر أخرى.

٢١- روضة الواعظين، محمّد بن فتّال النيشابوريّ (م ٥٠٨ هـ):

لقـد رتّب ابن فتّال كتابه هذا بطريقـة المجالس، فكتب حول حياة الأئمّة عليهم السلام وحوادث عصرهم تحت عنوان (مجلس)[٣] ونقل الأخبار الرئيسيّة والأساسيّة عن كتـاب الإرشاد للشيـخ المفيد، وكتاب الأمالي للشيخ الصـدوق، حيث نقل باختصار أخبار شهادة الإمام الحسن عليه السلام وحركة الشيعة في العراق، إلى حين التحاق الحرّ بـن يزيد الرياحيّ بالإمام الحسين عليه السلام عن إرشـاد الشيخ المفيد[٤]. وأمّا الحوار الـذي حصل بين الإمام عليه السلام وبين عبد الله بـن حوزة واحتجاجه على الناس، إلى شهادة القاسم فقد نقلها عن الشيخ الصدوق[٥]. ثمّ رجع مرّة أخرى، في نقل شهادة الطفل الرضيع وشهادة الإمام عليه السلام (بشكل مختصر) إلى حين داست الخيل على جسـده الشريف، إلى الشيـخ المفيد[٦]. ثمّ أورد بعد ذلك عـن كتاب الأمالي للشيخ الصدوق أخبار تلطّخ وجه الجواد ورأسه بدماء الإمام عليه السلام وأخبار حضور الأسرى مـن أهـل البيت عليهم السلام فـي الكوفة واحتجاجاتهم علـى ابن زياد ويزيـد، مع تقديم وتأخير بعض الأخبار، وحذف بعضها الآخر[٧].

(١) ابن عبد البرّ- الإستيعاب في معرفة الأصحاب- ج ١- ص ٤٤٢- ٤٤٧- الرقم ٥٧٤.
(٢) المصدر نفسه- ج ١- ص ٤٤٣.
(٣) محمّد بن فتّال النيشابوريّ- روضة الواعظين- ص ١٦٩- ١٩٥.
(٤) المصدر- ص ١٧١- ١٨٥- يقارن مع (الإرشاد- الشيخ المفيد)- ج ٢- ص ٣٢- ١٠٠.
(٥) المصدر نفسه- ص ١٨٥- ١٨٨- يقارن بالأمالي- الشيخ الصدوق- المجلس ٣٠- ص ٢٢١- ٢٢٦.
(٦) المصدر نفسه- ص ١٨٨- ١٨٩- يقارن بالإرشاد- الشيخ المفيد- ج ٢- ص ١٠٨- ١١٣.
(٧) المصـدر نفسـه- ١٨٩- ١٩٢- يقـارن بالأمالـي- الشيخ الصدوق- المجلـس ٣٠- صـ ٢٢٦- ٢٢٧- والمجلس ٣١- ص ٢٢٨- ٢٣٢.

وفـي الختام، ينقل باختصار خبر عودة أهـل البيت عليهم السلام إلى المدينة المنوّرة، بأمرٍ من يزيد مع مجالس عزاء بني هاشم فيها، عن الشيخ المفيد[١].

في الصفحات الثلاث الأخيرة[٢] من هذا المجلس، وكذا في الصفحتين الأوليين منـه[٣] نجد ابن فتّال قد ذكر عدّة روايـات وردت أيضاً، إمّا في كتاب الإرشاد، وإمّا في كتاب الأمالي.

٢٢- إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسيّ (م ٥٤٨ هـ):

تحـدّث الشيخ الطبرسيّ في هذا الكتاب عن حيـاة الإمام الحسين عليه السلام ضمن (٥٩) صفحةٍ في خمسة فصول[٤]:

الفصل الأوّل: ولادة الإمام عليه السلام وعمره الشريف.

الفصـل الثانـي: ذكر أدلّة إمامتـه والروايات التي صرّحـت بإمامته على لسان والده عليه السلام وأخيه عليه السلام.

الفصل الثالث: بعض خصائصه وفضائله ومناقبه.

الفصل الرابع: ذكر أخبار ثورته على يزيد وشهادته بنحوٍ مختصر.

الفصل الخامس: عدد أولاده وأسماؤهم.

لقد نقل الشيخ الطبرسيّ أخبار واقعة عاشوراء عن الشيخ المفيد وإن لم يصرّح بذلـك، وهذا يظهـر بسهولةٍ من خلال المقارنة بين ما ذكره الطبرسيّ وبين ما رواه المفيـد فـي هذا الخصوص مع اختصـارٍ قليل واختلافٍ يسير فـي بعض العبارات، نعـم هو في آخر ما أورده يذكر القول المختار عند الشيخ المفيد حول دفن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام[٥].

---

(١) محمّد بن فتّال النيشابوريّ- روضة الواعظين- يقارن بالإرشاد- الشيخ المفيد- المجلس ٣٠- ص ١٢٢- ١٢٥.
(٢) المصدر نفسه- ص ١٩٣- ١٩٥.
(٣) المصدر نفسه- ص ١٦٩- ١٧١.
(٤) الطبرسيّ- إعلام الورى بأعلام الهدى- ج ١- ص ٤٢٠- ٤٧٨.
(٥) المصدر نفسه- ص ٤٧٧.

٢٣- مقتل الحسين عليه السلام الموفّق بن أحمد الخوارزميّ (م ٥٦٨ هـ).

المصنّف هو أبو المؤيّد الموفّق[١] بن أحمد بن محمّد[٢] البكريّ المكّي الحنفيّ المعروف بـ (أخطب خوارزم)- فقيه وخطيب وقاضٍ وأديب وشاعر، لقّب بـ (صدر الأئمّة) و (أخطب خوارزم)[٣] و (خليفة الزمخشريّ) ولد تقريباً عام (٤٨٤ هـ)[٤]. وتوفّي في سنة (٥٦٨ هـ)[٥].

يمكن القول بالنسبة إلى مذهب الخوارزميّ، وباعتبار أنّ المذهب الحنفيّ هو المتعارف في عصره بين الناس في بلاد خراسان الكبرى وما وراء النهر والتي منها منطقة خوارزم، فإنّ الخوارزميّ كان على المذهب الحنفيّ في الفروع، ومن الشواهد القويّة على ذلك كتابه (مناقب أبي حنيفة) الذي يتضمّن فضائل أبي حنيفة، وقد أورد في الكتاب مدحاً كبيراً له في قصيدة طويلة.

نعم، في الأصول العقائديّة هو أشعريّ، ولكن وبالرغم من كلّ ذلك فقد كان يحمل ميولاً شيعيّة وعلاقة قويّة بأهل البيت عليهم السلام وهذا ما تدلّ عليه مصنّفاته التي كتبها عنهم عليهم السلام فمضافاً إلى كتاب (مقتل الحسين عليه السلام) فقد صنّف في فضائل أمير المؤمنين كتاباً تحت عنوان: (المناقب) وكتاب (ردّ الشمس لأمير

---

(١) اعتقد البعض خطأ أنّ اسمه هو (موفّق الدّين) (محمّد بن عبد الحيّ الكنويّ الهنديّ- الفوائد البهيّة في تراجم الحنفيّة- ص ٣٩).

(٢) اعتبر البعض أنّ جدّ الخوارزميّ يدعى (إسحاق) وكنيته (أبو سعيد) (ياقوت بن الحمويّ- معجم الأدباء- ج ١٩- ص ٢١٢- وجلال الدّين عبد الرحمن السيوطيّ- بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة- ج ٢- ص ٤٠١- ومحمّد باقر الموسويّ الخوانساريّ الأصفهانيّ- روضات الجنّات- ج ٨- ص ١٢٤- وعبد الحسين أحمد الأمينيّ- الغدير- ج ٤- ص ٢٩٨). إلّا أنّ تصريح أكثر علماء الرجال بأنّ جدّه يدعى (محمّد) يدلّ على أنّ هذا القول هو الأقرب إلى الحقيقة.

(٣) ذكر البعض من أمثال القرشيّ (عبد القادر بن أبي الوفاء القرشيّ، الجواهر المضيئة- ج ٢- ص ١٨٨) والفاسيّ (تقيّ الدّين محمّد ابن أحمد الحسنيّ الفاسيّ المكّي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين- ج ٧- ٣١٠) أنّ الخوارزميّ يلقّب بـ (خطيب خوارزم) وهذا لا يدلّ على اختلافٍ زائد. طبعاً عندما نعته البعض بصيغة أفعل التفضيل (أخطب) إنّما أراد بذلك إظهار التعظيم والتقدير والإحترام له وبيان تبحّره في إنشاء الخطابة. (راجع الخوارزميّ- المناقب- مقدّمة جعفر السبحانيّ- ص ١٧).

(٤) القرشيّ- المصدر نفسه- ج ٢- ص ١٨٨- السيوطيّ- المصدر- ج ٢- ص ٤٠١- محمود بن سليمان الكفويّ- أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان نقلاً عن: مير حامد حسين النيشابوريّ الهنديّ- عبقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار عليهم السلام- ج ٦- ص ٢٩٦.

(٥) جمال الدّين أبو الحسن عليّ بن يوسف القفطيّ- إنباه الرواة على أنباه النحاة- ج ٣- ص ٢٣٢- القرشيّ- المصدر نفسه- ج ٢- ص ١٨٨- والفاسيّ- المصدر- ج ٧- ص ٣١٠.

المؤمنين عليه السلام) وكتاب (قضايا أمير المؤمنين عليه السلام) و(الأربعين في مناقب النبيّ الأمين) و(وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام).

يُعتبر هذا المصنّف (مقتل الحسين عليه السلام) كتاباً تاريخيّاً روائيّاً، حيث ذكر في معظم أخباره السلسلة السنديّة. وقد أخذت أكثر مطالبه- كما صرّح بذلك الخوارزميّ في عدّة مواضع من كتابه- من كتاب الفتوح لابن الأعثم في فصله التاسع إلى نهاية فصله الحادي عشر، وهي الفصول التي تتحدّث عن معاوية حيث شرع بطلب البيعة لولده يزيد وتنتهي بشهادة الإمام الحسين عليه السلام مع أنصاره.

كان الخوارزميّ يضيف في بعض الموارد أخباراً على الروايات التي ينقلها عن ابن الأعثم ثمّ يرجع ويقول استمراراً في نقل الأخبار: (قال أحمد بن أعثم الكوفيّ)[1] وقد كان ينقل معظم هذه الأخبار المضافة مسندة عن مشايخه، وعلى رأسهم عند الخوارزميّ: جار الله بن عمر الزمخشريّ (م ٥٣٨ هـ). وأبو منصور الشهردار بن شيرويه الديلميّ (م ٥٥٨ هـ). والحسن بن أحمد العطّار الهمدانيّ (م ٥٤٤ هـ). وأبو الحسن عليّ بن أحمد العاصميّ.

فصول مقتل الخوارزميّ:

يحتوي كتاب الخوارزميّ على مقدّمةٍ وخمسة عشر فصلًا ضمن جزءين في مجلّدٍ واحد. يشتمل الجزء الأوّل على عشرة فصول، والقسم الأوّل من الفصل الحادي عشر، ويتضمّن الجزء الثاني القسم الثاني من الفصل الحادي عشر، والفصول الأربعة المتبقّية. أمّا عناوين هذه الفصول فهي على النحو الآتي:

الجزء الأوّل:

١- بعض فضائل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- فضائل خديجة بنت خويلد.

---

(١) الخوارزميّ- مقتل الحسين عليه السلام- ج ١- ص ٢٥٤- ٢٦٣- ٣٠٨- ٣٢٣.

٣- فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أمّ أمير المؤمنين عليه السلام.

٤- بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

٥- فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦- فضائل الحسن والحسين عليهما السلام.

٧- الفضائل الخاصّة بالحسين عليه السلام.

٨- تنبّؤ رسول الله صلى الله عليه وآله حول الحسين عليه السلام وما يجري عليه.

٩- ما جرى بين الحسين عليه السلام وبين الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم في المدينة، على عهد معاوية وبعد مماته.

١٠- ما حصل مع الحسين عليه السلام حين إقامته في مكّة، والرسائل التي وصلت إليه من أهل الكوفة، وإرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة وشهادته هناك.

١١- خروج الحسين بن عليّ عليه السلام من مكّة إلى العراق، والحوادث والوقائع التي حصلت أثناء المسير، ونزوله في أرض الطفّ (القسم الأوّل).

الجزء الثاني: شهادة الإمام الحسين عليه السلام (القسم الثاني).

١٢- العقوبات التي نزلت بقتلة الحسين عليه السلام.

١٣- بعض قصائد الرثاء التي قيلت في الحسين عليه السلام.

١٤- زيارة الحسين وفضيلتها.

١٥- الانتقام الذي نفّذه المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ ثأراً للحسين عليه السلام.

وقد تعرّض الخوارزميّ، في نهاية هذا الفصل، لحادثة قتل مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله.

الخوارزميّ وابن الأعثم:

إنّ الخوارزميّ، وكما سبق معنا، قد استفاد كثيراً في روايته لواقعة كربلاء، من

بدايتهـا إلى ما قبل يوم عاشوراء، من كتـاب الفتوح لابن الأعثم، ولكن عند المقارنة بيـن أخبار ابن الأعثم وبين الروايات التي أوردهـا الخوارزميّ نجد بعض الإضافات والاختلافات والاختصارات، والظاهر أنّ سبب ذلك يعود إلى عوامل ثلاثة، الأوّل: أنّ كتـاب الفتوح له نسخ متعدّدة، وهي مختلفة من جهـة الزيادات والاختصارات، وممّا يشهد لهذا المدّعى، اختلاف النسخ الموجودة فعلاً عن النقل الذي ذكره الخوارزميّ، ومـن الأمثلة البارزة على ذلك اختـلاف الأشعار التي ذكرها ابن الأعثم، في الفتوح، من جهة الكمّ ومن جهة المضمون، عن الأشعار التي أوردها الخوارزميّ في مقتله.

الثانـي: أنّ الخوارزميّ كان من أصحاب المنبـر والخطابة، وقد كان لهذا العمل تأثيـر كبير في تغيير بعض روايات ابن الأعثم من ناحية الكمّ، أو من ناحية الكيف، أو النقـل بالمعنـى لتصبح تلك الأخبار أكثـر قبولًا عند القرّاء، وأقـوى منطقاً لدى المستمعين. طبعاً هذا التغيير في الكثير من الموارد كان إلى حدّ عدم تحريف أصل الوقائع والأحداث.

الثالـث: أنّ الحـوادث والقضايا التاريخيّـة يقع فيها- في الأعـمّ الأغلب- بعض التغييرات والإضافات والاختصـارات، لا سيّما مع طول المدّة الزمنيّة الفاصلة بين المؤلّفين الذين يشرعون بالكتابة في القرون المتأخّرة، وبين وقائع القرون الغابرة، فيقع حينئذٍ تلك التبدّلات عند الحديث عن التفاصيل والتفريعات التي لا يوجد منها أيّ أثرٍ في مصادرها الأوّليّة.

٢٤- مقتل الحسين عليه السلام: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمّد البكريّ (القرن الخامس والسادس).

كتـب البكـريّ رسالة مختصرة حـول الإمام الحسين عليه السلام، يوجـد نسخة منها محفوظة باسم (حديث وفاة سيّدنا الحسين عليه السلام) في مكتبة جامعة القرويّين في مدينة فاس في مراكش تحت الرقم (٣/٥٧٥، ص ٧٧- ٨٦)[١].

(١) السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ- أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة- ص٥٤٨- الرقم ٧٠٦.

انتقد علماء الرجال من أهل السنّة البكريَّ انتقاداً لاذعاً ونعتوه بـ (الكذّاب الدجّال)[١] و (القصّاص) وأشدّ كذباً من مسيلمة الكذّاب[٢]. وأضاف ابن حجر قائلاً: إنّ البكريّ أورد في كتابه المشهور (الذروة في السيرة النبويّة) أخباراً في حروب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إمّا أنّها غير موجودة أصلاً، وإمّا أنّه نقلها بطريقةٍ خاطئة ومغلوطة[٣].

إنّ رسالة البكريّ هذه، وإن كانت مختصرة، إلّا أنّ أسلوب كتابتها كان مميّزاً وعلى طريقة القصّاصين والأدباء، وكانت هذه طريقة جديدة ومبتكرة من أمثال البكريّ الذي عاش في القرن الخامس والسادس، وقد كان هذا فتحاً جديداً في عرض تاريخ عاشوراء بهذه الطريقة التي سلكها البكريّ في كتابه «**الذروة في السيرة النبويّة**».

٢٥- ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام (من تاريخ مدينة دمشق): أبو القاسم عليّ بن الحسن هبة الله الشافعيّ المعروف بـ (ابن عساكر الدمشقيّ)- (م ٥٧١ هـ).

عندما شرع ابن عساكر بالحديث عن العظماء والأشخاص البارزين الذين سكنوا دمشق أو جاؤوا إليها وإلى أطرافها وضواحيها، تعرّض للكلام حول الإمام الحسين عليه السلام[٤]. وقد تضمّن كلامه عن الإمام عليه السلام وواقعة كربلاء من الروايات (٤٠٢) رواية استغرقت من الصفحات (١٥٠) صفحة ولو أنّ الكثير منها مكرّر.

إنّ هذا الكتاب لا يتمتّع بنظمٍ وترتيبٍ مناسبَيْن، بل في بعض القضايا والعناوين نجد الأخبار موجودة بشكلٍ متفرّقٍ ومشتّت[٥]. إلّا أنّ الأمر الذي يلفت الانتباه في

---

(١) الذهبيّ- ميزان الاعتدال- ج ١- ص ١١٢- وابن حجر- لسان الميزان- ج ١- ص ٢٠٢.

(٢) الذهبيّ- سير أعلام النبلاء- ج ١٩- ص ٣٦.

(٣) ابن حجر- المصدر نفسه.

(٤) تاريخ مدينة دمشق- ج ١٤- ص ١١١- ٢٦٠- الرقم ١٥٦٦- وقد قام أيضاً المحقّق الجليل محمّد باقر المحموديّ بتحقيق هذا القسم وطبعه مستقلّاً تحت عنوان (ريحانة رسول الله الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق). مضافاً إلى ما اختاره المحقق السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ من أخبار هذا الكتاب، وطبعه ضمن عدّة أبوابٍ تحت عنوان (الحسين عليه السلام سماته وسيرته.

(٥) كما ورد في الأخبار المتعلّقة بولادة الإمام وشهادته وعمره الشريف، والروايات التي تتحدّث عن العقوبات التي نزلت بقتلة الإمام عليه السلام.

مصنّف ابن عساكر هو نقله قسماً من مقدّمة مقتل ابن سعد[١] بأسانيدها المذكورة عنده أيضاً[٢]. هذا بالاضافة إلى الأخبار الأخرى التي أوردها أيضاً عن ابن سعد بصورةٍ متفرّقة في تاريخ دمشق[٣]:

أولاً: إنّ المصنّف اختار من الأخبار ما كان غير مشهور ومعروف منها، بل ذكر بعض المسائل والقضايا التفصيليّة القليلة الأهمّيّة من تلك الروايات.

ثانياً: ما أشرنا إليه سابقاً، وهو التكرار الزائد لمضامين الروايات التي نقلها ابن عساكر؛ يوجد مثلاً ما يقرب من مائة رواية تتحدّث عن يوم وسنة ولادة الحسين عليه السلام وشهادته ومدّة عمره الشريف، واسمه وكنيته[٤]، وأكثر من (١٢٠) رواية (أي أكثر من ربع سيرة الإمام عليه السلام) حول مناقبه وفضائله[٥]. هنا نجد أنّ هذين القسمين من الأخبار يحتويان على الكثير من الروايات المتكرّرة، وهناك أكثر من ثلاثين روايةٍ تتحدّث عن تنبّؤ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام بمقتل الإمام الحسين عليه السلام[٦] ويوجد أكثر من عشر روايات تذكر منع بعض الأشخاص الإمام عليه السلام من الذهاب إلى الكوفة[٧]، وأكثر من عشرين رواية حول ثورة الإمام عليه السلام مع الخطب التي ألقاها في يوم عاشوراء[٨]، وأكثر من عشرين خبراً يتحدّث عن الوقائع الغريبة والخارقة للعادة التي حصلت بعد شهادته عليه السلام[٩]، وهناك عشرون رواية

(١) ابن سعد- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله- ص ٥٣- ٦٣- الرقم ٢٨٢- ٢٨٥.

(٢) ابن عساكر- ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام- ص ٢٨٧- ٣٠١- الحديث ٢٥٥- ٢٥٨- وله أيضاً: تاريخ مدينة دمشق- ج ١٤- ص ٢٠٤- ٢١٣.

(٣) راجع مثلاً: ابن عساكر- المصدر- ص ٣٧- والحديث ٣١- ص ٢٧٥- ٢٧٦- والحديث ٢٤١- ٢٤٢- ص ٣٠٨- ٣٠٩- والحديث ٢٦٦- ٢٦٨ وص ٣٨٦ الحديث ٣١٠- ٣١١- يقارن بالترتيب بروايات إبن سعد في كتابه ص ١٧- ٤٩- ٥٠- والحديث ٢٧٨- ٢٨٠- ص ٦٤ والحديث ٢٩٠ وص ٩٠- الحديث ٣٢٠.

(٤) ابن عساكر- ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام- ص ٢٠- ٤٠- الحديث ١٠- ٣٨- وص ٤١٢- ٤٤٣- الحديث ٣٤٩- ٣٩٦.

(٥) المصدر نفسه- ص ٥١- ١٩٩- رقم الخبر ٥٥- ١٧٧.

(٦) المصدر السابق- ص ٢٣٦- ٢٧٥- الحديث- ٢١٣- ٢٤٠- وص ٣٤١- ٣٤٤- الخبر ٢٧٨- ٢٨٠.

(٧) المصدر نفسه- ص ٢٧٨- ٢٨٥- الحديث ٢٤٤- ٢٥٤ وأيضاً ص ٢٨٨- ٢٩٣- ٢٩٨.

(٨) المصدر السابق- ص ٢٨٧- ٣٢٥ و٣٤٠- الخبر ٢٥٥- ٢٧٧.

(٩) المصدر نفسه- ص ٣٥٣- ٣٦٧- الحديث ٢٨٧- ٣٠٩.

تتضمّن العقوبات التي نزلت بقتلة الإمام عليه السلام [١]، وأمّا ما تبقى من الأخبار فهي متفرّقة ومختلفة في مضامينها وموضوعاتها.

كما يلاحظ، فإنّ ابن عساكر- وبالمقارنة بحجم الترجمة التي عرضها حول الإمام الحسين عليه السلام - نجد فقط ما يقرب من العشرين رواية تتحدّث عن ثورة الإمام عليه السلام وشهادته مع أنصاره، مضافاً إلى بيان ما هو الأهمّ أيضاً من كلّ ذلك، وهو الهدف من نهضته عليه السلام. إنّ السبب في هذا الإجمال يكمن في كونه من أهالي بلاد الشام ومن سكّان دمشق الذين كانوا يوالون بني أميّة ويؤيّدونهم، كما هو حال الكثير من مؤرّخيهم، ولا نجد لديهم في المقابل اهتماماً ملحوظاً بأهل البيت عليهم السلام ولا المحبّة لهم، ولذا نرى هؤلاء لا يذكرون، كما ينبغي، جنايات بني أميّة التي ارتكبوها في حقّ الإمام الحسين عليه السلام وعياله وأنصاره في واقعة عاشوراء.

الأمر الأخير الذي يجدر ذكره هنا، هو أنّ المزّيّ [٢] (م ٧٤٢ هـ) والذهبيّ [٣] (م ٧٤٨ هـ) نقلا الكثير من روايات ابن عساكر فيما يرتبط بسيرة الإمام الحسين عليه السلام وثورته.

٢٦- مناقب آل أبي طالب أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن شهرآشوب (م ٥٨٨ هـ):

تناول ابن شهرآشوب الحديث عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام في فصل مستقلٍّ عندما تعرّض لسيرة الإمام عليه السلام وفضائله ومناقبه، فهو بعد أن بيّن في عدّة فصول شيئاً من معجزات الإمام عليه السلام ومكارم أخلاقه والحوادث الخارقة للعادة التي حصلت بعد شهادته، وبعد أن أورد بعض الأخبار التي تبيّن المحبّة الشديدة والعلاقة القويّة بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين الإمام الحسين عليه السلام والتي تتحدّث أيضاً عن تاريخ ولادته وألقابه، وعندها شرع بالبحث حول واقعة عاشوراء.

---

(١) ابن عساكر- ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام - ص ٣٦٨- ٣٧٦- الحديث ٣١٠- ٣١٧- وص ٤٤٦- ٤٤٨- الحديث ٣٩٨- ٣٩٩.

(٢) جمال الدّين أبو الحجّاج يوسف المزّي- تهذيب الكمال في أسماء الرجال- ج ٦- ص ٣٩٦- ٤٤٩- الرقم ١٣٢٣.

(٣) شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ- سير أعلام النبلاء- ج ٣- ص ٢٨٠- ٣٢١- الرقم ٤٨.

كمـا هو واضح من عنوان الكتاب فإنّه ليس مصنّفاً تاريخيّاً، بل إنّ المؤلّف حاول جمـع الأخبار والروايات حول مناقب الأئمّة عليهم السلام وفضائلهم، مع الإشارة إلى شيء من وقائع عصرهم، من دون مراعاةٍ للترتيب الزمنيّ فيها.

إنّ ابـن شهرآشـوب، وبسبب مراعـاة الاختصار فـي كتابه واجتنـاب التفصيل والتطويـل فيه، لـم يتعرّض إلى جزئيّات واقعة عاشـوراء وتفصيلاتها، لكنّه تناولها بالإجمال مضافاً إلى أنّه لم يراع كثيراً الترتيب الزمنيّ بين الأحداث، بل لم يتعرّض أصلاً لكثير من الوقائع بسبب اختياره بعضها دون البعض الآخر.

وقـد نقل المصنّف حـول سيرة الإمام الحسين عليه السلام ومناقبـه وواقعة عاشوراء وشهادتـه عليه السلام روايات عديـدة عن الإمام السجّـاد عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام والإمـام الرضا عليه السلام، مضافاً إلـى الأخبار التي أوردها عن مصـادر متعدّدة مثل: أنسـاب الأشراف للبلاذريّ، وتاريـخ الطبريّ، ومقتل ابن بابويـه، وفضائل العشرة لأبي السعادات، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهانيّ، وعن أشخاصٍ مثل أبي مخنف، وشعيب بـن عبد الرحمان الخزاعـيّ، والسيّد الجرجانيّ، وابن مهـديّ المامطيريّ وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وشاكر بن غنمة وأبي الفضل الهاشميّ.

هنا يجدر ذكر بعض الأمور حول الأخبار والروايات التي نقلها ابن شهرآشوب:

الأوّل: يعتبـر ابن شهرآشـوب الشخص الوحيد، بعد ابـن الأعثم، الذي ينقل كلام الإمـام الحسين عليه السلام المشهور «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً...»، إلّا أنّـه مع وجـود فارقٍ بينهما وهو أنّ ابن شهرآشـوب يعتبر هذا الكلام جواباً مـن الإمام عليه السلام (وليـس وصيّة خطيّة منه إلى أخيـه محمّد بن الحنفيّة) لأشخاص من أمثال محمّد بـن الحنفيّة، وعبد الله بـن مطيع وابن عبّاس الذين حاولوا منع الإمام عليه السلام من الذهاب إلى العراق[1].

الثاني: أنّ ابن شهرآشوب، وإن كان قد نقل بعض الأخبار عن أبي مخنف، ولكنّه

(١) ابن شهرآشوب- مناقب آل أبي طالب- ج ٤- ص ٩٦- ٩٧.

في بعض الموارد، روى عنه روايات[١]، مضافاً إلى أنّها غير معقولة ولا يمكن القبول بها، فإنّنا لا نجد لها أثراً في المصادر القديمة المعتبرة. وهنا يظهر أنّ الأخبار المجعولة التي نسبت إلى أبي مخنف كانت رائجة في عصر ابن شهرآشوب الذي نقل بعضاً منها.

الثالث: إنّ ابن شهرآشوب وإن لم يصرّح بأنّ أخبار مبارزات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وارتجازاتهم منقولة عن فتوح ابن الأعثم، إلّا أنّه، ومع قليل من التأمّل والبحث والمقارنة بين هذين الكتابين، يتبيّن بسهولةٍ التشابه الكبير بينهما، وأنّ ابن شهرآشوب قد نقل الكثير عن كتاب ابن الأعثم[٢].

الرابع: إنّ ابن شهرآشوب هو المؤرّخ الوحيد من المتقدّمين الذي نقل أخباراً حول واقعة كربلاء لا يمكن تعقّلها ولا القبول بها، مثلاً هو يروي أنّ قتلى الأعداء بيد الإمام الحسين عليه السلام - ما عدا الجرحى- قد بلغ (١٩٥٠) رجلاً[٣]. وكذا ما ذكره حول شهادة أبي الفضل العبّاس، فإنّه يختلف عمّا رواه الشيخ المفيد.

الخامس: إنّ هذا الكتاب يعدّ أقدم مصدر للأراجيز التي أطلقها العبّاس، وما قاله أيضاً الإمام الحسين عليه السلام منها[٤]، في يوم عاشوراء والتي لم يرد ذكرها في أيّ مصدر آخر..

٢٧- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد بن الجوزيّ (م ٥٩٧ هـ).

تحدّث ابن الجوزيّ في جزء من كتابه عن واقعة عاشوراء عند عرضه لوقائع سنة

---

(١) ابن شهرآشوب- مناقب آل أبي طالب- ج ٤- ص ٦٥- ٦٦.

(٢) المصدر السابق- ص ١٠٩- ١١٨- يقارن بابن الأعثم- كتاب الفتوح- ج ٥- ص ١٠١- ١١٥- كان ابن شهرآشوب بعد نقله مبارزة كلّ واحد من أصحاب الإمام عليه السلام وما يرتجزه من الأشعار، يذكر عدد قتلى عسكر عمر بن سعد بأعداد كبيرة لا يعلم المصدر الذي اعتمد عليه.

(٣) المصدر نفسه- ج ٤- ص ١٢٠.

(٤) مثل أبيات: «**أنا الحسين بن عليّ أحمي عيالات أبي...**».

(٦٠ و٦١ هـ)[١]. وكانت طريقة كتابته تركيبيّة مع حذف الأسانيد، ورواياته في هذا المجال شبيهة جدّاً بروايات الطبريّ، ولو أنّه كان يذكر في بعض الموارد أخباراً مسندة[٢].

٢٨- الكامل في التاريخ: عزّ الدّين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم المعروف بـ (ابن الأثير) (م ٦٣٠ هـ).

كتب ابن الأثير كتابه (الكامل في التاريخ) بعد الطبريّ بثلاثة قرون وقد صرّح بنفسه في مقدّمة كتابه[٣]، أنّ معظم روايات هذا الكتاب مقتبسة من تاريخ الطبريّ، ولذا نراه قد نقل أيضاً أخبار حوادث سنة (٦٠ و٦١ هـ). حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام عن روايات الطبريّ مع الاختصار وحذف الأسانيد[٤]. طبعاً هو صرّح أيضاً في مقدّمة الكتاب[٥] أنّه قام بزيادة بعض الاضافات ضمن روايات الطبريّ[٦] أو في أواخرها[٧]. وفي مصنّف آخر لابن الأثير وهو (أُسد الغابة في معرفة الصحابة) تعرّض فيه للحديث عن ولادة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته وبعض مناقبه وثورته ضمن خمس صفحات[٨]. وقد صرّح في قضيّة قاتل الإمام عليه السلام بعد نقله أقوالاً عديدة: إنّ الصحيح أنّ قاتل الحسين بن عليّ هو سنان بن أنس[٩].

٢٩- مثير الأحزان: نجم الدّين جعفر بن محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله ابن نما المشهور بـ (ابن نما الحلّي) (م ٦٤٥ هـ)[١٠].

---

(١) ابن الجوزيّ- المنتظم- ج ٥- ص ٣٢٢- ٣٢٩- ٣٣٥- ٣٤٧.
(٢) المصدر السابق- ج ٥- ص ٣٤٢- ٣٤٦.
(٣) ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ج ١- ص ٥.
(٤) المصدر نفسه- ج ٣- ص ٢٦٣- ٢٠٣.
(٥) المصدر السابق.
(٦) كما في نقل بيتين عن عمر بن سعد: (أأترك ملك الريّ والريّ منيتي...)- (المصدر- ج ٣- ص ٢٨٣).
(٧) كما في نقل خبرين حول شهادة الإمام الحسين عليه السلام أحدهما عن ابن عبّاس والآخر عن أمّ سلمة (المصدر- ج ٣- ص ٢٠٣).
(٨) ابن الأثير- أسد الغابة في معرفة الصحابة- ج ٢- ص ١٨- ٢٢.
(٩) المصدر السابق- ص ٢١.
(١٠) اختلف العلماء حول سنة وفاته، قال الشيخ آقا بزرك إنّها عام ٦٤٥- (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)- ج ١٣- ص ١٧٠- وج ١٩- ص ٣٤٩ وأمّا المحدّث القمّي فقد اعتبر أنّ تلك السنة هي عام وفاة أبيه نجيب الدّين، ولم يذكر سنة وفاة نجم الدّين (الكنى والألقاب- ج ١- ص ٤٤٢).

رتّب ابن نما هذا الكتاب حول واقعة كربلاء في ثلاثة مقاصد، الأوّل: يتحدّث عن الأمور التي حصلت قبل معركة كربلاء، مثل ولادة الإمام الحسين عليه السلام وتنبّؤ رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة الإمام عليه السلام ووقائع ثورة عاشوراء من حين موت معاوية وطلب البيعة ليزيد وخروج الإمام عليه السلام من المدينة إلى حين الوصول إلى كربلاء، وأيضاً عرض النشاطات والتحرّكات الشعبيّة، وثورة مسلم بن عقيل.

المقصد الثاني: تحدّث فيه المصنّف بشكل مختصر، عن أيّام الإقامة في كربلاء، وليلة عاشوراء ويومها، ووقائع المعركة وشهادة بني هاشم، إلى حين شهادة الإمام عليه السلام وبعض الحوادث التي وقعت بعد الشهادة.

المقصد الثالث: يتناول فيه بعض القضايا التي حصلت بعد الشهادة وبيان حادثة أسر أهل البيت عليهم السلام وحملهم إلى الكوفة ثمّ إلى الشام ثمّ إرجاعهم إلى المدينة المنوّرة.

نقل الخوانساريّ عن الشهيد الثاني احتمال أن يكون كتاب (مثير الأحزان) وكتاب آخر له باسم (ذوب النضار) ليسا لابن نما بل لحفيده الذي يحمل اسم جدّه[١]. إلّا أنّ العلّامة السيّد محسن الأمين ردّ هذا الكلام بقوله: ليس معلوماً أن يكون لابن نما حفيد يحمل اسمه[٢].

٣٠- الحدائق الورديّة في مناقب الأئمّة الزيديّة: حميد بن أحمد بن محمّد المحلَّى (م ٦٥٢ هـ).

تحدّث المحلَّى الذي يعدّ من علماء الزيديّة ومحقّقيهم، في كتابه هذا، بما يقرب من خمسين صفحة[٣] حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام عند بحثه في سيرة الأئمّة الذين خاضوا ثورات ضدّ حكّام وسلاطين زمانهم.

---

(١) محمّد باقر الخوانساريّ- روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات- ج ٢- ص ١٧٩.
(٢) السيّد محسن الأمين العامليّ- أعيان الشيعة- ج ٤- ص ١٥٩.
(٣) المحلّى- الحدائق الورديّة في مناقب الأئمّة الزيديّة- ج ١- ص ١٨٨- ٢٣٤.

فبعد عرضه لأخبار ولادة الإمام عليه السلام وخصائصه وصفاته ومناقبه، تحدّث، باختصارٍ، عن ثورة عاشوراء، معتمداً على الروايات المشهورة. إنّ من مميّزات هذا الكتاب اللافتة للنظر هو تعداده لأسماء شهداء كربلاء التي نقلها عن الفضيل بن الزبير وإن لم يصرّح المحلَّى بذلك إلّا أنّه عند المقارنة بين الكتابين يظهر جليّاً أنّ الجزء الأكبر من هذا الموضوع قد نقله عن الفضيل.

ومن الروايات التي ذكرها أيضاً بيان حوادث ما بعد شهادة الإمام عليه السلام وحمل الأسرى إلى الكوفة ثمّ الشام، واحتجاجاتهم هناك، إلى حين العودة إلى المدينة.

ونقل أيضاً زيارة جابر وعطيّة العوفيّ لقبر الإمام الحسين عليه السلام ومحاولة المتوكّل لمحو أثر القبر الشريف.

في الصفحات الأخيرة يذكر المحلَّى قصائد بعض الشعراء في رثاء الإمام عليه السلام. ومن رواياته المثيرة للاهتمام تعيين سنة ولادة عليّ الأكبر، ويعتبرها قبل نهاية خلافة عثمان بسنتين أي في عام (٣٣ هـ)[١]. هذا، مع أنّ بعض المصادر المتقدّمة، مثل مقاتل الطالبيّين، ذكرت أنّ عليّ الأكبر قد ولد في عهد خلافة عثمان، من دون تعيين أيّ زمانٍ في ذلك. يمكن القول- بشكلٍ عامّ- إنّ المصنّف قد استفاد كثيراً، في روايته وقائع ما بعد الشهادة، من كتاب (مقتل الحسين عليه السلام) للخوارزميّ.

٣١- تذكرة الخواصّ من الأمّة بذكر خصائص الأئمّة عليهم السلام يوسف بن قزغليّ البغداديّ المعروف بـ (سبط بن الجوزيّ) (م ٦٥٤ هـ):

تحدّث سبط بن الجوزيّ بما يقرب من ثلث المجلّد الثاني من هذا الكتاب، في الباب التاسع حول سيرة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته[٢] في البداية، وبعد الإشارة إلى تاريخ ولادة الإمام عليه السلام وكنيته وألقابه، نقل أخباراً تدلّ على المنزلة

(١) المصدر السابق- ص ٢٠١.

(٢) سبط بن الجوزيّ- تذكرة الخواصّ من الأمّة بذكر خصائص الأئمّة عليهم السلام- ج ٢- ص ١١٥- ٢٨٢.

والمكانة الخاصّة للحسين عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وبعض الروايات حول موقف الإمام الحسين عليه السلام من الخليفة الثاني ومروان بن الحكم. ثمّ أورد تحت عنوان (ذكر سيرته مختصراً) روايات ثورة كربلاء التي بدأت مع موت معاوية وطلب البيعة ليزيد. إنّ إحدى الروايات التي تفرّد ابن الجوزيّ في نقلها بالتفصيل هي رواية الرسالة التي بعث بها يزيد إلى ابن عبّاس ليمنع الإمام الحسين عليه السلام من القيام بثورته، مع ذكر جواب ابن عبّاس عليها[1].

ومن ثمّ يتناول بالحديث ثورة مسلم في الكوفة، وشهادته وذهاب الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، واستشهاده مع أنصاره، وذكر أسماء شهداء بني هاشم. ونقل حول قاتل الإمام عليه السلام عدّة أقوالٍ، ثمّ صرّح بأنّ أصحّها هو سنان بن أنس النخعيّ بمشاركة الشمر.

البحث الآخر الذي تعرّض له سبط بن الجوزيّ ما يرتبط بحمل الأسرى مع الرؤوس إلى الكوفة والشام.

وذكر بالنسبة إلى مكان دفن رأس الإمام عليه السلام خمسة أقوالٍ ثمّ قال: ففي أيّ مكان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الأسرار والخواطر، أنشدنا بعض مشايخنا في هذا المعنى:

لَا تَطْلُبُوْا المَوْلَىٰ حُسَيْنَ بِأَرْضِ شَرْقٍ أَوْ بِغَرْبِ
وَدَعُوْا الجَمِيْعَ وَعَرِّجُوْا نَحْوِي فَمَشْهَدُهُ بِقَلْبِي [1]

وأمّا المطالب المتبقيّة من هذا الفصل فهي: بعض المرثيّات الواردة في الإمام عليه السلام ثمّ ذكر الحمرة التي ظهرت في السماء بعد شهادته عليه السلام وما لحق ذلك، ورسالة يزيد إلى ابن عبّاس (بعد شهادة الإمام عليه السلام) وجوابه

(١) سبط بن الجوزيّ- تذكرة الخواصّ من الأمّة بذكر خصائص الأئمّة عليهم السلام- ج ٢-ص ١٣٣- ١٣٦- ذكر ابن سعد باختصار خبر الرسالة وجوابها- (ترجمة الحسين عليه السلام ومقتله- ص ٥٩- ٦٠)
(٢) المصدر نفسه- ج ٢- ص ٢٠٦- ٢٠٩.

عليهـا، وأولاد الحسيـن عليه السلام، وجزاء قتلـة الإمام عليه السلام والانتقـام من الذين اعتـدوا عليه عليه السلام، (وثـورة التوّابين والمختـار وقتل ابن زيـاد). وفصل حول جواز لعن يزيد بن معاوية.

من الروايات المثيرة للانتباه، في هذا الكتاب، ذكر خبر شهادة الطفل الرضيع، حسـب رواية هشام الكلبيّ (تلميـذ أبي مخنف) التي تختلف عـن الروايات الواردة فـي المصـادر المتقدّمة ويقول: عندما أخذ الطفل بالبـكاء من شدّة العطش تناوله الإمـام عليه السلام بين يديه ونادى بالناس: «**أيّها القـوم، إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل**»، فرمى أحد الأعداء الطفل بسهم فقتله[١].

المسألـة الأخرى التـي تستحقّ الالتفات، في هـذا الكتاب، هـي أنّ ابن الجوزيّ كان فـي حوزته بعض المقاتل المفقودة في زماننا الحاضـر، والتي نقل عنها بعض المؤرّخيـن المتقدّمين فـي مصنّفاتهم، وقد نقل ابن الجوزيّ بعض الأخبار عن تلك المقاتـل، كمـا نقل في عدّة مواضع عـن مقتل الحسين لمحمّد بن هشـام الكلبيّ[٢] والواقـديّ[٣] والمدائنيّ[٤] وابـن أبي الدنيا[٥]، وهذا ممّا يدلّ علـى أنّ هذه المقاتل كانت لا تزال موجودة إلى القرن السابع، وما قبل غزو المغول لبلاد المسلمين.

٣٢- درر السِّمْط في خبر السِّبْط: محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ المعروف بـ (ابن أبار البلنسيّ) (م ٦٥٨ هـ):

هذا الكتاب هو عبارة عن رثاء نثريّ في الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، كما أنّ مصنَّفه الآخر (معادن اللجين في مراثي الحسين عليه السلام) هو رثاء شعريّ في ذلك.

إنّ نثر هذا الكتاب (درر السمط) عميق ومعقّد ومسجّع، يحتوي على نكاتٍ أدبيّة

(١) سبط بن الجوزيّ- تذكرة الخواصّ من الأمّة بذكر خصائص الأئمّة عليهم السلام- ج ٢- ص ١٦٤.
(٢) المصدر- ج ٢- ص ١٣٥- ١٤٥- ١٤٨- ١٥٦- ١٦٣- ١٦٧- ١٧٢- ١٨٢- ١٨٥- ١٨٧- ٢٠٣- ٢٠٦- ٢٠٧.
(٣) المصدر نفسه- ص ١٣٣- ١٣٤- ١٣٨- ١٥١- ١٥٤- ١٥٧- ١٦٣- ١٧١- ١٨٢- ١٨٧- ١٩٣- ١٩٨- ١٩٩- ٢٠٩.
(٤) المصدر- ص ١٧٩- ١٨٧- ٢٢٥.
(٥) المصدر- ص ١٨٤- ١٨٨- ١٩٧- ١٩٩- ٢٠٠.

وقد أنشئ على طريقة المقامات، ومتن ألفاظه مختصر، طبع هذا الكتاب في (١٢٦) صفحة مع حواشٍ لمصحّحه ومحقّقه، الذي تناول حياة المصنّف ومكانته العلميّة وقيمة كتابه إلى الصفحة (٦٠) بما يقرب من خمسين صفحة، وأمّا الصفحات المتبقيّة (٦٦ صفحة) فما يقرب من نصفها يُعتبر حواشيَ وهوامشَ، وعليه فإنّ أصل الكتاب لا يتعدّى (٣٠) صفحة يتضمّن نصفها الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام [١].

لا يوجد لمطالب هذا الكتاب عناوين، بل كلّ قسمٍ منه يبدأ بعنوان (فصل). وقد أشار المصنّف، في حديثه عن نهضة عاشوراء، إلى الرسائل التي بعث بها أهل الكوفة للحسين عليه السلام وإرسال مسلم إليهم، وخروج الإمام عليه السلام من مكّة وذهابه إلى العراق، وملاقاته مع الحرّ وشهادته في آخر المطاف. وقد عدّ البعض البلنسيّ شيعيّاً بسبب المدائح التي أبداها للحسين عليه السلام وأنواع الذمّ والتقريع الذي كاله ليزيد [٢]. كتب أبو سعيد بن مسعود الماغوسيّ (م ١٠١٦ هـ) في أوائل القرن الحادي عشر، شرحاً على كتاب البلنسيّ باسم (نظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر) [٣].

٣٣- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام - (من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب) كمال الدّين عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبيّ المشهور بـ (ابن العديم) (م ٦٦٠ هـ).

يحتوي هذا الكتاب على (٢٤٨) رواية حول الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء وهو مأخوذ من كتاب (ابن العديم) المفصّل، من استخراج وتحقيق وتصحيح بعض المحقّقين المعاصرين.

---

(١) الفصول التي تتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام من الصفحة ٩٣ وما بعدها.

(٢) الشيخ آقا بزرك- المصدر- ج ٤- ص ٤٠٩- وج ٨- ص ١٢٤- ١٢٥.

(٣) للإطّلاع أكثر حول هذا الكتاب يراجع- السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ- أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة- ص ١٦٥- ١٦٧- ٦٤٧- ٦٤٨.

إنّ أسلوب السرد الروائيّ، في هذا الأثر من ناحية المطالب والمباحث والموضوعات، شبيه بما هو موجود في كتاب ابن عساكر، ما عدا الجزء المتعلّق بالمقتل فإنّه مقتبس من كتاب الدينوريّ (الأخبار الطوال)[١] كما صرّح بذلك الكاتب نفسه.

٣٤- الملهوف على قتلى الطفوف عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (م ٦٦٤ هـ):

رتّب السيّد ابن طاووس هذا الكتاب على ثلاثة عناوين وأقسام، كما فعل ابن نما في كتابه مثير الأحزان. في القسم الأوّل تحدّث عن الأمور التي حصلت قبل معركة كربلاء، والقسم الثاني فيه بيان لمعركة يوم عاشوراء، والقسم الثالث يعرض وقائع ما بعد الشهادة.

وقد ذكر المصنّف أنّ الهدف من تصنيف هذا الكتاب هو اصطحاب زائري الإمام الحسين عليه السلام كتاباً في المقتل، مضافاً إلى كتاب (مصباح الزائر وجناح المسافر) ليكتفوا به عن أيّ مقتل آخر، وقد جعل ابن طاووس هذا المقتل مختصراً ليتناسب مع وقت الزائرين الضيّق[٢]. وفي رأيه أنّ كلّ من يطّلع على هذا الكتاب وعلى ترتيبه سيكتشف علّة اختصاره، وما يمتاز به من بقيّة المقاتل[٣].

إنّ الأخبار والروايات التي رواها ابن طاووس وطريقة كتابتها واختياره للمطالب تشبه كثيراً ما هو موجود في كتاب (مثير الأحزان) وإن ذكر هو- حسب رأيه- أنّ أحداً لم يسبقه في كتابة هذا المقتل بخصائصه وامتيازاته من قبل أبداً[٤].

وهناك بعض الروايات التي تفرّد بنقلها السيّد ابن طاووس، مثل حديث (المشيّة) المشهور، وكذا الحوار الذي حصل بين محمّد بن الحنفيّة وبين الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) ابن العديم- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام- ص ١٤١- ١٥٦- يقارن قسم المقتل من هذا الكتاب برواية الدّينوريّ حول هذا الموضوع في كتابه: الأخبار الطوال- ص ٢٤٧- ٢٦١.

(٢) السيّد ابن طاووس- الملهوف على قتلى الطفوف- ص ٨٧.

(٣) المصدر السابق- ص ٢٣٤.

(٤) محمّد الإسفنديارىّ- مصنّفات سيرة الإمام الحسين عليه السلام- ص ٨٠ نقلاً عن السيّد ابن طاووس- الإجازات لكشف طرق المغازات فيما يخصّني من الإجازات- ص ٦٥.

أثناء خروجه من مكّـة، ومثل القولين المشهورين عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، الأوّل: «**إنّ الله شاء أن يراك قتيلاً**»، جواباً لمن سأل: لماذا يريد الإمام عليه السلام الخروج من مكّة؟. والثانـي: «**إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا**»، جواباً لمن سأل عن علّة إخراج الإمام عليه السلام للنسـاء معـه[١]. إنّ هذا الخبـر وإن لم يكن موجوداً فـي أيّ مصدرٍ سابـقٍ على كتاب (الملهوف) إلّا أنّه وحسب بعض نسخه فإنّ ابن طاووس قد نقل هذا الخبر من مصدرٍ قديـم تحت عنوان (أصل أحمد ابـن الحسين بن عمر بن بريدة) الذي ينقل هو بدوره عن شخصٍ آخر باسم محمّد بن داود القمّي[٢].

مضافـاً إلى ما ذكر فـإنّ بعض روايات هذا الكتاب مأخوذة من مقتل الخوارزميّ الـذي ينقل هو بدوره- وكما سبق القول منّا- عن كتاب الفتوح لابن الأعثم، وهذا ما نجده في الكلمة المشهورة: «**ما رأيت إلّا جميلاً**» المنسوبة إلى السيّدة زينب عليها السلام.

٣٥- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام: عليّ بن عيسى الأربليّ (م ٦٩٢ هـ)[٣].

كتب الأربليّ هذا الكتاب فـي القرن السابع، حول سيرة الأئمّة عليهم السلام، وخصّص للحديـث عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام وثورة عاشوراء، اثني عشر فصلاً مضافاً إلـى بحـثٍ حول الوقائـع التي حصلت بعد شهـادة الإمام عليه السلام بمـا يقرب من ربع المجلّد الثاني[٤]، وهذه هي عناوين تلك الفصول:

١- ولادة الإمام الحسين عليه السلام ٢- نسبه الشريف ٣- تسميته ٤- كنيته ولقبه ٥- ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه وإمامته ٦- شجاعته ومروءته ٧- جوده وكرمه ٨- أقواله ٩- أولاده ١٠- عمره الشريف ١١- خروجه إلى العراق ١٢- شهادته ومقتله.

حسـب كلام الأربلـيّ فقد كتب المجلّد الأوّل من هـذا الكتاب (الذي يتحدّث عن

---

(١) السيّد ابن طاووس- الملهوف على قتلى الطفوف- ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه- ص ٢٠١- للاطلاع على شخصيّة الأربليّ وسيرة حياته وكتاب كشف الغمّة وغيره من مصنّفاته، يراجع: رسـول جعفريـان عليّ بن عيسى الأربليّ وكشف الغمّة- وأيضاً (الأربلـيّ- كشف الغمّة- مقدّمة محقّق الكتاب- ج ١- ص ٧- ٤٥).

(٤) الأربليّ- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة- ج ٢- ص ٤٢٩- ٥٥٤.

حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في عام ١٧٨ هـ[١]، وأنهى المجلّد الثاني منه (الذي يتناول حياة السيّدة الزهراء عليها السلام وباقي الأئمّة عليهم السلام) في سنة ٦٨٧ هـ[٢].

إنّ المصنّف قد نقل عن مصادر متعدّدة، منها: مقتل الحسين للواقديّ- وترجمة الحسين ومقتله، لابن سعد- كتاب الفتوح لابن الأعثم- الإرشاد للشيخ المفيد- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهانيّ- تاريخ مواليد الأئمّة عليهم السلام ووفياتهم لابن خشّاب- مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة الشافعيّ- معالم العترة الطاهرة لعبد العزيز بن أخضر الجنابذيّ (كتابادي) وغيرها، وواضح أنّه قد نقل الكثير من مطالب هذا القسم من المصدرين الأخيرين.

وباعتبار أنّ الأربليّ يجمع الأخبار من مصادر مختلفة، فإنّ ترتيب هذه الأخبار كان يختلف عن المصدر الذي يأخذ منه، على سبيل المثال: فقد كان أحياناً يذكر سلسلة الرواة وفي أحيانٍ أخرى كان يعرضها بأسلوب تركيبيّ. إنّ نثر الكتاب مسجّع وفصيح بليغ، وقد نقل أيضاً قسماً من كتابه عن ابن طلحة الشافعيّ في كتابه مطالب السؤول الذي يعدّ كتاباً مسجّعاً بليغاً، فكان الأربليّ يذكر مطالبه، قبل كلام الشافعيّ أو بعده، بنفس الطريقة والأسلوب[٣].

بالنسبة إلى الشعر، فقد أورد، في عدّة مواضع من كتابه، أشعاراً عن أبي مخنف[٤]، ومن ذلك يعلم وجود ديوان ينسب إلى أبي مخنف في ذاك الزمان، إلّا أنّ أبا مخنف- وكما ذكرنا سابقاً- لم يأت على ذكر القصيدة المعروفة (غدر (كفر) القوم وقدماً رغبوا) في ديوانه[٥].

٣٦- الكامل في السقيفة: (كامل البهائيّ) حسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن

---

(١) الأربليّ- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة- ج ٢- ص ١٣٦.

(٢) المصدر السابق- ج ١- مقدّمة المحقّق- ص ٦٤- أمّا الشيخ آقا بزرك فقد اعتبر أنّ تاريخ كتابه هو عام ٦٨٢ ق. (المصدر السابق- ج ١٨- ص ٤٧).

(٣) على سبيل المثال: راجع الأربليّ- المصدر- ج ٢- ص ٤٤٩- ٤٦٨ الفصول المتعلّقة بعلم الإمام عليه السلام وشجاعته وجوده.

(٤) المصدر السابق- ص ٤٨٢- ٤٨٩.

(٥) المصدر نفسه- ص ٤٨٩.

حسن الطبريّ، المعروف بـ (عماد الدّين الطبريّ)- كان حيّاً إلى عام ٧٠١ هـ.

استغـرق كتابة هذا الأثر من الوقت- كما صـرّح بذلك الطبريّ نفسه- ما يقرب مـن اثنتي عشرة سنةً، وفرغ منه في عام ٦٧٥ هـ[١]. يحتوي الكتاب على (٢٨) باباً يتضمّـن كلّ باب عدّة فصـول، وقد تحدّث الطبريّ عن واقعة كربـلاء من أوّلها إلى آخرها في الفصول الأخيرة من كتابه، أي في الفصل السابع عشر والثامن عشر من الباب السابع والعشرين، والفصول الستّة الأولى من الباب الثامن والعشرين.

اعتمـد الطبريّ في عرضـه لواقعة كربلاء- من دون ذكـر أسماء المصادر التي استنـد إليها- في الأعمّ الأغلب، على المصـادر القديمة المشهورة إلّا أنّه في بعض الأحيان كان يذكر روايات لا وجود لها في تلك المصادر. مثلاً هو وحده الذي نقل في قضيّـة خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة قائلاً: إنّ الحسين عليه السلام خرج من المدينـة مع جميع بني هاشم ما عدا محمّد ابـن الحنفيّة ركباناً على (٢٥٠) جملاً بعدما طلب من قيس بن سعد بن عبادة أن يلحق به مع مائتي رجلٍ حتّى إذا ما أرسل حاكم المدينة جلاوزته للقبض على الحسين عليه السلام وأصحابه، يتآزر رجال قيس مع الحسيـن عليه السلام وأنصاره للقضاء على هؤلاء الجـلاوزة[٢]. وأيضاً حادثة قطع رأس الإمـام عليه السلام من القفا[٣]، ودفـن جسد الحرّ بن يزيد الرياحيّ علـى يد أقاربه في المـكان الذي قتل فيـه[٤]، ورواية القول الآخر حول دفن أجسـاد الشهداء، وأنّه كان علـى يد بعض اليهود من سكان ضواحي كربلاء[٥]، ودخول أسرى أهل البيت عليهم السلام في السادس عشر من ربيع الأوّل[٦]، ووفاة السيّدة أمّ كلثوم في دمشق[٧]، إنّ كلّ هذه الروايات واردة عن الطبريّ فقط ولا غير.

---

(١) عماد الدّين الطبريّ- الكامل في السقيفة- ج ٢- ص ٣٠٦.
(٢) المصدر السابق- ص ٢٧١.
(٣) المصدر نفسه - ص ٢٨٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر السابق- ص ٢٨٨.
(٦) المصدر نفسه- ص ٢٩٣.
(٧) المصدر نفسه- ص ٣٠٢.

النتيجة:

نستنتج، من خلال البحث في الآثار التي صنّفت في هذا المقطع الزمانيّ، أنّ المقاتل التي كتبت من القرن الثاني إلى القرن السابع يمكن الاستفادة منها والاعتماد عليها والوثوق بها باعتبار قدمها وعدم دخول التحريف عليها، وذلك بسبب عرضها واقعة عاشوراء مستندة إلى مصادر تاريخيّة أصيلة وأساسيّة، مثل مقتل أبي مخنف وهشام الكلبيّ وغيرهما، بصورة روائيّة مع ذكر الأسانيد.

نعم، يوجد بعض المؤرّخين من أمثال البلاذريّ والدينوريّ واليعقوبيّ والشيخ المفيد الذين كتبوا، في تاريخ كربلاء، رواياتٍ محذوفة السند ومختصرة مع ترك التفاصيل وعلى طريقة التلفيق والتركيب، من أجل رعاية الاختصار، أو لرفع التناقض والتنافي الموجود في بعض الروايات والأخبار.

من الواضح أنّه، عند المقارنة بين كتابات هؤلاء المؤرّخين وبين أخبار المؤرّخين وكتّاب المقاتل القدماء، سنجد الانسجام والتناسب والتوافق الكامل بينهما، وإن وجد من أولئك المؤرّخين مثل ابن الأعثم الكوفيّ الذي كان- وبسبب استعداده الخاصّ، وذوقه المميّز في كتابة السيرة وعرض المجريات- يعرض تلك الأخبار والروايات الأصيلة مع بعض الإضافات والزيادات التي لا يمكن العثور عليها في تلك المصادر.

هنا ينبغي للباحث والمحقّق أن يحتاط ويأخذ حذره عند الاستفادة من أمثال تلك المنقولات، إلّا أنّه- وبشكلٍ عامّ- يمكن الاعتماد على مصادر تاريخ عاشوراء المصنّفة خلال فترة ما قبل القرن السابع، وأمّا ما كان منها في القرن الثامن وما بعده، فإنّه لا يمكن الوثوق بها.. بسبب النهب والخراب الذي أصاب بلاد المسلمين على يد المغول وفقدان ميراثٍ علميٍّ إسلاميّ كبير- لا سيّما عند الشيعة- ومنها بعض المصادر العاشورائيّة المعتبرة.

وما استند إليه أولئك المصنّفون، في تلك الحقبة الزمانيّة منها ما مصادره

ضعيفة وغير معتبرة وقد نقل منها الحكايات والأساطير والقصص المجعولة والملفّقة، ما يضطر معه الباحث إلى الاجتناب عن نقلها. نعم، ما نقلته تلك الآثار من الأخبار والروايات عن مصادر أصيلة وموثّقة يمكن الأخذ به والاستناد إليه وحده لا غير.

المقطع الثاني: (من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر)

قبل الشروع في هذه المرحلة التاريخيّة، يلزم التذكير بأمر، وهو أنّ أزمنة القرن الثامن والتاسع والعاشر كانت مرحلة أفول وانحسار تصنيف المقاتل وكتابة الآثار الكربلائيّة، ما عدا بعض الموارد المحدودة التي تذكر حيث لم يدوّن في هذه القرون آثار مهمّة معتدّ بها، وحتّى لو قلنا بتأليف مثل تلك المصنّفات، إلّا أنّها، بالإضافة إلى عدم وجودها في يومنا هذا فإنّه لا يوجد لها أيّ اسم وذكر في مؤلّفات الأزمنة اللاحقة أبداً. نعم، كانت العصور الذهبيّة والمتفوّقة، خلال هذه المرحلة كلّها، في القرن الرابع عشر.

وأمّا بالنسبة إلى مستوى تأليف المقاتل في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر فهو متساوٍ، مع الالتفات إلى أنّ قسماً من مصنّفات تاريخ عاشوراء من القرن الثامن إلى عصرنا الحاضر قد أخذت من الأخبار والروايات الموجودة في المصادر القديمة لواقعة كربلاء، وهناك قسم آخر منها قد اعتمد في نقل الأحاديث على مصادر ضعيفة الاعتبار، لذلك فإنّ استعراض هذه الكتب بشكلٍ مفهرس- لا سيّما وأنّها آخذة في الازدياد- من القرن الثاني عشر إلى الآن، غير مستطاعٍ في هذه المقالة[1]، مضافاً إلى أنّه لا فائدة من ذلك، ومع عدم إمكان استعراضها- ولو بالاسم- فإنّ الحديث عنها والتعريف بها غير ممكنٍ بطريق أولى.

---

(١) للإطّلاع على فهرسة هذه المصنّفات راجع: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لا سيّما ج ٢٢- عبد الجبّار الرفاعيّ: معجم ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ج ٧- ٨ ومحمّد الإسفنديارىّ- كتابشناسي تاريخي إمام حسين عليه السلام- (معرفة كتب سيرة الإمام الحسين عليه السلام).

ومن هنا فإنّنا سنبدأ بتعريف بعض الآثار المهمّة والمشهورة حول واقعة عاشوراء، خلال تلك المرحلة الزمنيّة، ومن ثمّ نتناول الحديث حول بعض المصنّفات المهمّة التي كان لها الدور الأكبر في ظهور ما يسمّى بالصورة المحرّفة لحادثة كربلاء وانتشارها، والتي يحلو لبعضهم تسميتها (مصادر التحريف).

البحث الأوّل: التعريف ببعض الكتابات المهمّة حول عاشوراء:

سواءٌ ما كان مستقلّاً أو ضمن مصنّفات أخرى:

بالرغم من أنّ التعرّض للكثير من مصنّفات هذه المرحلة الزمنيّة قليل الفائدة، إلّا أنّ البعض من آثار هذه المرحلة يتمتّع بامتيازات خاصّة وخصائص مميّزة، ولذا فإنّ تناولها بالبحث ولو إجمالاً، يعدّ مفيداً، بل هو لازم في بعض الموارد، وهي كالآتي:

١- البداية والنهاية: أبو الفداء بن إسماعيل بن كثير الدمشقيّ (م ٧٧٤ هـ).

إنّ ابن كثير مؤرّخ شافعيّ المذهب، هو ينقل معظم أخباره حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام عن تاريخ الطبريّ بشكل مختصر[١]. هذا، مضافاً إلى ما نقله عن بعض المقاتل الأخرى مثل مقتل أحمد بن حنبل[٢]، وابن أبي الدنيا[٣] والبغويّ[٤]، وينقل أيضاً عن بعض المحدّثين من أمثال الشعبيّ[٥] ويعقوب بن سفيان[٦] وغيرهما.

وقد تأثّر ابن كثير بأفكار أستاذه ابن تيميّة[٧] (مؤسّس الفكر الوهّابيّ، م ٧٢٨ هـ) المتشدّدة تجاه الشيعة، ولذا نراه في كتاباته ينتقد الشيعة بسبب مجالس العزاء

(١) ابن كثير- البداية والنهاية- ج ٨- ص ١٥٦- ٢٣٠.
(٢) المصدر: ص ٢٠٦- ٢١٦ و٢١٨- ٢١٩.
(٣) المصدر: ص ٢١٨.
(٤) المصدر: ص ٢١٧.
(٥) المصدر: ص ١٧٣.
(٦) المصدر: ص ١٧٤- ١٨٣.
(٧) يوسف رحيم لو (ابن كثير) دائرة المعارف بزرك إسلامي (الإسلاميّة الكبرى) ج ٤- ص ٥١١.

التـي يقيمونها للإمام الحسين عليه السلام ويعتبر هذا العمـل من البدع[١]، بل قد تجرّأ أكثـر في ذلك عندما تحدّث، تحت عنوان (قصّـة الحسين بن عليّ وسبب خروجه مـن مكّة فـي طلب الإمارة[٢]..) عن هـدف النهضة الحسينيّـة والباعث الذي دفع الإمـام عليه السلام للثورة، فقد حرّف بكلامه ذاك الهـدف الصحيح والباعث الحقيقيّ الذي قام الإمام عليه السلام من أجله، وجعله ابن كثير طالباً للسلطة والإمارة، مثل بقيّة النـاس الذيـن لا دين لهم ولا إيمان، وبهـذا يكون قد فسّر الحركـة الدّينيّة الإلهيّة بحركة سياسيّة ودنيويّة.

مضافـاً إلـى ذلك، فقـد بدأ بحثه حـول وقائع سنـة (٦١ هـ) ونهضـة الإمام الحسيـن عليه السلام بوضـع عنوان (وهـذه صفة مقتلـه مأخوذة مـن كلام أئمّة هذا الشأن، لا كما يزعمه أهل التشيّع من الكذب). وبذلك يكون قد أبدى تشدّده تجاه الشيعـة وعداوتـه معهم. هو في بحثه هذا وبالرغم من نقلـه للأخبار الواردة عن الطبريّ الذي ينقل هو أيضاً أغلب تلك الروايات عن أبي مخنف وغيره من الرواة، إلّا أنّـه في النهايـة ينتقد الطبريّ لنقلـه الأخبار عن أبي مخنـف الشيعيّ (الذي عـدّوا رواياتـه ضعيفة بالرغم من أن أهل السنّة قـد اعتبروه من أهل الضبط؟!) ثـمّ يضيف ابـن كثير: ولولا نقل الطبريّ وأمثاله هـذه الأخبار حول ثورة عاشوراء لما نقلها هو أيضاً، وقد ناقش في بعض تلك الروايات وأبدى رأيه الخاصّ بها[٣].

ثـمّ هـو وإن قبل الروايـات التي تتحـدّث عن العقوبـات الدنيويّة لقتلـة الإمام الحسين عليه السلام واعتبر أنّ القليل منهم قد نجا بحياته منها[٤]، إلّا أنّه أنكر الحوادث الخارقة للعادة التي حصلت بعد شهادة الإمام عليه السلام مثل احمرار السماء، وبكائها دمـاً، وكسوف الشمس وجريان الدم من جـدران قصر ابن زياد، وصرّح قائلاً: إنّ

(١) ابن كثير- المصدر- ج ٨- ص ٢٢٠- ٢٢١.
(٢) المصدر- ١٦٠.
(٣) المصدر- ٢٢٠.
(٤) المصدر- ٢٢٠.

أمثـال هذه الأحاديـث الملفّقة والكاذبة هي مـن تأليفات ومجعـولات الشيعة، مع اعترافه بورود مثل هذه الأخبار في مصنّفات الطبريّ والحاكم النيشابوريّ[١].

٢- تسلية المجالس وزينة المجالس- السيّد محمّد بن أبي طالب الحسينيّ الموسويّ الحائريّ الكركيّ (المتوفّى في القرن العاشر).

يعتبر مؤلّف هذا الكتاب من علماء القرن التاسع والعاشر المجهولين، فمن جهة لا يوجـد معلومات دقيقة حول زمـن ولادته ووفاته، إلّا أنّه فـي موضع من كتابه هذا تحـدّث عن زيارتـه للمرقد الشريف للرسـول الأعظم صلى الله عليه وآله سنـة (٩٢١ هـ)[٢]. وفي مـكان آخر من الكتاب نفسه يذكـر مصنّفاً آخر من تأليفه باسم السجع النفيس في محاورة الغلام (الدلام وإبليس)[٣]. وبرأي آغا بزرك الطهرانيّ فإنّ هذا الكتاب قد صنّـف في سنة (٩٥٥ هـ)[٤]. وعليه يكون زمان تأليف كتاب (تسلية المجالس) بعد عام (٩٥٥ هـ).

يحتوي هذا الكتاب على عشرة مجالس: في المجلس الأوّل (ج ١- ص ٥٣- ١٣٩) والمجالـس مـن الخامـس إلى العاشـر (ج ٢- صـ ٨٥- ٥٤٨) يتحدّث عـن الإمام الحسين عليه السلام. وفي كلّ من المجلس الثاني والثالث والرابع يتناول بالترتيب الكلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام.

وباعتبـار أنّ معظـم الكتاب يتضمّن سيـرة الإمام الحسيـن عليه السلام، فقد اشتهر الكتاب باسم (مقتل الحسين عليه السلام)[٥].

يدّعي المصنّـف- ومن دون التصريح باسم كتاب (روضـة الشهداء) بل يشير إليـه بالقول- أنّ مـا كتبه هو شبيه به[٦]. إلّا أنّه مـع المقارنة بين كتابه وبين كتاب

(١) ابن كثير- المصدر- ج ٨- ص ٢١٩.
(٢) الحسينيّ الموسويّ الحائريّ الكركيّ- تسلية المجالس وزينة المجالس- ج ١- ص ٢١٢.
(٣) المصدر- ج ١- ص ٥٠.
(٤) المصدر- ج ١٢- ص ١٤٨.
(٥) المجلسيّ- بحار الأنوار- ج ١- ص ٢١- آغا بزرك الطهرانيّ- الذريعة- ج ٢٢- ص ٢٧.
(٦) الحسينيّ الموسويّ الحائريّ الكركيّ- المصدر- ج ١- ص ٥١- ٥٢.

(روضة الشهداء) يتّضح أنّ هذا الأثر لا يتمتّع بالنظم والأسلوب الموجود في كتاب الروضة، نعم هو من جهة النثر فصيح ومسجّع مثله، وكذلك من جهة تأثّره بالأساس والقاعدة التي اعتمد عليها كتاب الروضة، ونُظم ورُتّب في ضوئها، وهي مسألة وقوع البلاءات والمصائب على أولياء الله تعالى وأحبّائه، وأنّ أعظم الناس بلاء الأنبياء عليهم السلام والأولياء عليهم السلام ثمّ الأمثل فالأمثل.

يُعدّ هذا الكتاب أثراً تاريخيّاً روائيّاً، وقد تأثّر كثيراً في روايته لثورة كربلاء بالأخبار الواردة في مقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ، وقد نقل الكثير منها مع اختلاف يسير، ونجد أيضاً العلّامة المجلسيّ قد نقل في كتابه بحار الأنوار الكثير من هذا الكتاب.

وأمّا موضوعات تلك المجالس التي تتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام فهي على الشكل الآتي:

- المجلس الأوّل: المصائب التي جرت على الإمام الحسين عليه السلام وثواب البكاء عليه.
- المجلس الخامس: فضائل الإمام الحسين عليه السلام ومناقبه وروايات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حول شهادته.
- المجلس السادس: خروج الإمام عليه السلام من المدينة، وإقامته في مكّة، وإرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة.
- المجلس السابع: توجّه الإمام عليه السلام نحو الكوفة، والحوادث التي وقعت أثناء المسير إلى كربلاء، إلى حين الوصول إليها وشهادة الإمام عليه السلام وأنصاره.
- المجلس الثامن: وقائع ما بعد عاشوراء، وحمل الأسرى إلى الكوفة والشام، والخطابات التي حدثت خلال ذلك.
- المجلس التاسع: عناوين متفرّقة مثل: عدد جراحات الإمام الحسين عليه السلام

والروايـات الواردة فـي شهادته- ثواب الشهادة- وموقف حـكّام بني أميّة وبني العبّاس من قبر الإمام عليه السلام وثورة المختار.

- المجلس العاشر: فضيلة ثورة الإمام الحسين عليه السلام وثوابها.

٣- بحار الأنوار (المجلد ٤٤- ٤٥) وجلاء العيون: محمّد باقر المجلسيّ (م ١١١٠ هـ).

عندما شرع العلّامـة المجلسيّ بالحديث عن سيرة الأئمّة عليهم السلام في كتابه بحار الأنـوار، خصّصـ للحديث عـن حياة الإمـام الحسين عليه السلام ومقتلـه والوقائع التي حدثت بعد شهادته، سبعةً وعشرين باباً تبدأ من المجلّد الرابع والأربعين (الباب ٢٤ ص ١٧٤ وما بعدها) وتنتهي في آخر المجلّد الخامس والأربعين (إلى آخر الباب ٥٠ مـن الطبعة الجديدة الموافق للجزء الثاني والثالث مـن المجلّد العاشر من الطبعة القديمـة) فيكون المجموع أكثر مـن مجلّد ونصف المجلّد من كتـاب بحار الأنوار. ويعرف هذا القسم من الكتاب بعنوان: مقتل بحار الأنوار- وقد أنهى المجلسيّ كتابة هذا الجزء (المجلّد العاشر من الطبعة القديمة) في ربيع الأوّل- ١٠٧٩ هـ[1].

أمّـا عناوين هـذه البحوث في هذيـن الجزءين فهي متعدّدة، نذكـر بعضها على النحـو الآتي: إمامـة الحسين عليه السلام ومعجزاتـه، ومكارم أخلاقـه- إحتجاجاته مع معاوية- الآيات المؤوّلـة بشهادته، إخبار الله تعالى أنبياءه عليهم السلام بشهادته عليه السلام- ثـواب البكاء علـى مصائبه- حوادث ما بعـد بيعة الناس ليزيد إلـى حين شهادته- وقائـع ما بعد شهادته- الحوادث الخارقة للعـادة التي وقعت بعد مقتله عليه السلام (مثل بـكاء السماء والأرض والخسـوف والكسوف وغيرهمـا)- المراثي التـي قيلت في عزائه- العقوبات التـي نزلت على قاتليه- أحوال أهل زمانه- نساؤه وأولاده- أخبار المختار- اعتداء الخلفاء والحكّام على قبره الشريف).

هنـا ينبغي الإشارة إلى أنّ المجلّـد (٩٨) من كتاب بحار الأنوار يتحدّث أيضاً عن

(١) المجلسيّ- بحار الأنوار- ج ٤٥- ص ٤٠٩.

فضيلة زيارة الإمام الحسين عليه السلام وثوابها مع نقل عدد من الزيارات المختلفة هناك.

إلّا أنّ المجلسيّ نقل بعض الأحاديث الضعيفة والشاذّة بسبب جمعه لأخبار ثورة عاشوراء في هذا الكتاب من مصادر متعدّدة يوجد فيها روايات ضعيفة ومجهولة وشاذّة- على سبيل المثال..أسطورة الجمّال الخرافيّ للإمام الحسين[١] عليه السلام وحكاية شفاء البنت اليهوديّة بدماء جناح الطير[٢]، وقصّة الرجل من بني أسد مع بعض السباع[٣].

وقد تُرجم وطُبع قسم المقتل من هذا الكتاب تحت عنوان (محن الأبرار في ترجمة مقتل البحار) في مصائب وكرامات قرّة عين أحمد المختار، بقلم محمّد حسين الهشترورديّ التبريزيّ[٤]. وطبع أيضاً بشكل مرتّب ومشذّبٍ بعنوان (المختار من مقتل بحار الأنوار: عرض وثائقيّ موجز لأحداث ثورة الحسين عليه السلام) بإشراف محسن الأراكيّ[٥].

وقد خصّص المجلسيّ أيضاً أكثر من ثلث كتابه الفارسيّ (جلاء العيون) الذي يتحدّث فيه عن سيرة المعصومين عليهم السلام الأربعة عشر، لنقل الروايات عن حياة الإمام الحسين عليه السلام ومناقبه ومعجزاته والأخبار التي تتنبّأ بمقتله، والنهضة العاشورائيّة والوقائع التي حصلت بعدها، وذلك ضمن (٢٣) فصلاً[٦].

نقل المصنّف في هذا الكتاب أخباراً وروايات متعدّدة عن مصادر قديمة ومتأخّرة ولم يسلم هذا الكتاب أيضاً.. من نقل بعض الأخبار الضعيفة والملفّقة والمجعولة[٧].

---

(١) المجلسيّ- بحار الأنوار- ج ٤٥- ص ٣١٦- ٣١٩.
(٢) المصدر- ص ١٩١- ١٩٣.
(٣) المصدر- ص ١٩٣- ١٩٤.
(٤) خان بابا مشار- (فهرست كتابهاي جابي فارسي)- ج ٤- ص ٤٦٣٠.
(٥) الطبعة الأولى- مجمع الفكر الإسلاميّ- محرّم- ١٤١١- (١٧٤ – صفحة).
(٦) المجلسيّ- جلاء العيون- ص ٢٦٢- ٤٤٧.
(٧) راجع مثلاً: المصدر نفسه- ص ٣٧٠- ٣٧١- ٣٧٤- ٣٧٦- ٣٧٧- ٣٨٧.

٤- مقتل الإمام الحسين عليه السلام (الجزء (١٧) من كتاب عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال)- عبد الله البحرانيّ (م ١١٣٠ هـ).

يُعتبر عبد الله البحرانيّ من تلامذة العلّامة المجلسيّ البارزين، وقد خصّص- كأستاذه المجلسيّ- سبعةً وعشرين باباً في المجلّد السابع عشر من كتابه المفصّل (عوالم العلوم) للحديث عن حياة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، وما حصل بعد ذلك من الوقائع مثل ثورة المختار الثقفيّ.

إنّ طريقة التأليف والأبواب والعناوين الموجودة في العوالم شبيهة إلى حدٍّ كبير بما هو موجود في كتاب بحار الأنوار، لأنّ أكثر ما نقله من هذه الموضوعات إنّما هو- وكما في بقيّة أجزاء كتاب العوالم- مقتبس من كتاب أستاذه المجلسيّ، وقد أضاف إليها بعض المطالب في بعض الموارد، وهذا ما جعل مقتله أكبر حجماً من مقتل البحار بما يقرب من مائة صفحة. ويظهر أنّ التبويب فيه وتقسيم فصول الكتاب أفضل ممّا هو في كتاب البحار.

٥- القمقام الزخّار والصمصام البتّار: لمؤلّفه فرهاد ميرزا معتمد الدولة (م ١٣٠٥ هـ).

إنّ مصنّف هذا الأثر ابن عبّاس ميرزا وحفيد فتحعليّ شاه، من رجال دولة العهد الناصريّ[١]. شرع بتأليف الكتاب سنة (١٣٠٣ هـ) وأنهاهُ في ذي الحجّة من سنة (١٣٠٤ هـ)[٢].

صُنّف الكتاب باللغة الفارسيّة، وقام بتأليفه بسبب تفاؤلٍ بالقرآن ونذرٍ قد نذره[٣] وقد عنون الكتاب بهذا الاسم الغريب وغير المتعارف (القمقام... والصمصام...).

يعدّ هذا الكتاب من المقاتل المهمّة لأنّ المؤلّف- وكما ذكر هو بنفسه- قام

(١) للإطّلاع أكثر على سيرة حياته يراجع: إسماعيل نوّاب الصفا- شرح حال فرهاد ميرزا معتمد الدولة.
(٢) ميرزا معتمد الدولة- قمقام زخار وصمصام بتار- مقدّمة عماد زاده- ص ٤- ومقدّمة المؤلّف- ص ٨.
(٣) المصدر- ص ٥- ٦.

بالكثيـر من التتبّع والتحقيـق في ذلك الكتاب، ولم ينقل شيئـاً من المصنّفات التي كُتبـت بعد القـرن الحادي عشر (لعدم اعتبارها وضعفهـا) [١] ولهذا فإنّ هذا الأثر يتمتّع باعتبار خاصّ بالمقايسة مع المؤلّفات المعاصرة، بل ما قبلها أيضاً.

رُتّـب هـذا الكتـاب فـي مجلّديـن: الأوّل منهما يتحـدّث عن حيـاة الإمام الحسيـن عليه السلام وبعض البحوث مثل: ثورة مسلم بـن عقيل، وأحداث النهضة الحسينيّة يوم عاشوراء من بدايتها إلى شهادة الأصحاب. وأمّا المجلّد الثاني فقـد تضمّن مباحث مثل: شهـادة بني هاشم والإمـام عليه السلام، وما حصل بعد الشهـادة مثل أسـر أهل البيت عليهم السلام ونقلهم إلى الكوفـة والشام ثمّ إعادتهم إلى المدينة المنوّرة، والعقوبات التي أصابت قتلة الإمام عليه السلام وثورة التوّابين وثورة المختار، ونقل بعض الأشعار في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

مـن الميزات الخاصّـة والمحقّقة فـي هذا الكتـاب، الضبطُ الصحيـح لأسماء الأشخاص والأمكنـة، والبيان الدقيق لمعانـي الأسماء والأمكنة واللغـات والأشعار والأمثـال في كثير من المـوارد، وفي بعض الأحيان كان يتعرّض لترجمةٍ مختصرةٍ حول بعض الأفراد.

البحث الثاني: التعريف ببعض المصنّفات المهمّة من مصادر التحريف لتاريخ عاشوراء في القرون الأخيرة:

كمـا مرّ معنا فـإنّ هناك الكثير مـن المؤلّفات كتبت في القـرون المتأخّرة حول ثـورة سيّد الشهداء عليه السلام والتي يوجد من بينها مصنّفـات كان لها- وبسبب شهرة مؤلّفيهـا أو بسبـب بعض الخصائـص الموجودة فيها- تأثير كبير فـي نشر وترويج بعضـ الأخبار الضعيفة والمحرّفة وغير الصحيحـة بل والموهنة في بعض الحالات لواقعة عاشوراء والثورة الحسينيّة.

(١) ميرزا معتمد الدولة- قمقام زخار وصمصام بتار- مقدّمة عماد زاده - ص ٨.

طبعـاً إنّ البحـث والمطالعـة، حـول علل وعوامل جعـل ونشر مثل هـذه الأخبار والمسائـل المحرّفـة والمخرّبة لتاريـخ عاشوراء، يحتاجـان إلى دراسـة مستقلّةٍ، والمقدار الذي يمكن الإشارة إليه في هذا المختصر، هو أنّ كتابة التاريخ والسيرة قـد بدأت بالانحسار منذ القرن الخامس وما بعده. أمّا الأسباب التي أدّت إلى ذلك فهـي متعـدّدة، فمن جهةٍ هناك البعـد الزمنيّ عن المصـادر القديمة وذهابها في عالـم النسيان، ومن جهة أخرى هناك الإهمال بل الحذف المتعمّد لتلك المصادر من قبل بعض الفرق المذهبيّة المتعصّبة، ومن جهة ثالثة فقد ظهر إقبال واهتمام قويّان في المجتمع للتعرّف أكثر على هذه الواقعة، فتهيّأ نتيجةً لذلك، المناخُ الملائم لانحسـار المصنّفـات المحقّقـة واستبدالها بكتابـاتٍ مصنّفةٍ علـى طريقة علماء الأدب والاجتمـاع والتـي أكثرها متأثّر بعوامل مثل المعتقـدات المذهبيّة، والسليقة الشخصيّـة والفكريّـة للمؤلّفيـن، مضافـاً إلى الظـروف الاجتماعيّـة والجغرافيّة الحاكمة، والاهتمـام بما يرغب فيه ويطلبه المخاطبون والقرّاء والجمهور، وبعبارةٍ أخـرى فـإنّ كتابة المقاتل والسيـرة العاشورائيّة خلال تلك العصـور، وبسبب تلك العوامل التي سبق ذكرها، قلّصت من الاهتمام بالمصادر القديمة لواقعة عاشوراء، هذا من ناحية.

ومن ناحيةٍ أخرى وبسبب عظمة هذه الحادثة وانفتاح المجتمع الشيعيّ، بل السنيّ أيضـاً على هذه الواقعة للتعـرّف عليها أكثر، كلّ ذلك قد فتح الباب للتوسّع والتفريع في بعض أخبار هذه الواقعة، بل في بعض الموارد أضافوا إلى حوادثها من عنديّاتهم وبأذواقهـم الخاصّة وتفنّناتهم في هذا المجال، حتّى وصل الحال من القرن العاشر وإلـى زماننـا المعاصر ومـع كتابة (روضة الشهـداء) إلى بروز هـذه الطريقة على الساحـة وبشكل واسع وسريع على مدى القـرون الأربعة الأخيرة المتتالية من خلال مصنّفـاتٍ أمثال: المنتخب للطريحـيّ، وتظلّم الزهراء للقزوينـيّ، ومحرق القلوب للنراقيّ، والدمعة الساكبة للبهبهانيّ، ومعالي السبطين للمازندرانيّ، والأهمّ من كلّ

ذلك إكسير العبادات للدربنديّ.

وباعتبار أنّ اهتمام مؤلّفي هذه المقاتل كان يعتمد على أمرين اثنين: أحدهما قضيّة الابتلاء والامتحان والاختبار، والثاني إثارة العواطف والأحاسيس، فقد درسوا هذه الواقعة العظيمة من هذه الجهة ونقلوا الروايات التي تتناول هذا الجانب (الذي يساعد كثيراً في إيجاد الحزن والبكاء والغمّ والهمّ) ولذا فقد أهملوا مراجعة المصادر القديمة التي يمكن الاستناد إليها والاعتماد عليها، بل كان كلّ اهتمامهم وتوجّههم إلى القضايا التي تحرّك العواطف والمسائل التي تثير- وبأكبر قدرٍ ممكن- الأحزان والآلام عند المخاطبين والسامعين لأحداث كربلاء ووقائع عاشوراء في مجالس العزاء الحسينيّة.

ومن هنا فقد كان استخدام المصطلحات والعبارات التي تصبّ في ذلك الهدف وتلك الفائدة كثيراً جدّاً، وفي بعض الأحيان مع المبالغة أيضاً، مثل: البكاء والدمع والمصيبة والحزن والغمّ والغربة والوحدة والعطش، والأسر والابتلاء.

إنّ من الأمور التي ساعدت على انتشار هذه الطريقة، في إحياء مناسبات عاشوراء، والسيرة الكربلائيّة وتأييدها وتقويتها، هو اكتفاء بعض الشعراء وقرّاء العزاء بالأسلوب السطحيّ في عرض قضايا عاشوراء، والاهتمام بما هو مقبول عند عوامّ الناس من أجل إثارة مشاعرهم أكثر، ويكون التأثير فيهم أكبر لدفعهم من هذا الطريق إلى الحزن والغمّ والبكاء وذرف الدموع بدرجة أقوى، باعتبار أنّ البكاء والتعزية في مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام - حسب الروايات الكثيرة- لهما الفضل العظيم والأجر الجزيل.

وفي عقيدة بعض هؤلاء لا مانع من استخدام أيّة وسيلة للوصول إلى ذلك الثواب الكبير، ولو كان على حساب الأخبار الصحيحة والمعتبرة الواردة في هذه الحادثة؛ لأنّ الكثير من هذه الأخبار لا تنسجم مع تلك المعاني والمضامين المطلوبة لهم، ولا تستطيع أن تحقّق ذاك الهدف المقصود عندهم.

على كلّ حالٍ فإنّ نظرةً إجماليّة إلى أسماء وعناوين بعض الآثار التي صنّفت حول عاشوراء منذ العهد الصفويّ وما بعده- لا سيّما في العصر القاجاريّ- سيثبت هذه الدعوى بشكل قويّ.

من جملة تلك المصنّفات: طريق البكاء- طوفان البكاء- عمان البكاء- محيط البكاء- أمواج البكاء- رياض البكاء- مفتاح البكاء- منبع البكاء- مخزن البكاء- معدن البكاء- مناهل البكاء- مجرى البكاء- سحاب البكاء- عين البكاء- كنز الباكين- بكاء العين- مبكي العيون- مبكي العينين- المبكيات- بحر البكاء في مصائب المعصومين- بحر الحزن- بحر الدموع- بحار الدموع- فيض الدموع- عين الدموع- سحاب الدموع- ينبوع الدموع- منبع الدموع- دمع العين- مدامع العين- مخازن الأحزان- بيت الأحزان- رياض الأحزان- قبسات الأحزان- كنز المصائب- مجمع المصائب- وجيزة المصائب- إكليل المصائب- إبتلاء الأولياء، وهناك بعض المؤلّفات الفارسيّة، مثل: بحر غم- داستان غم- غمكده مأتمكده- بستان ماتم- هم وغم- بلا وابتلا در روياد كربلا.

هنا نبيّن أهمّ هذه المصادر التي صار بعضها من مصادر الروايات غير المعتبرة والضعيفة والغريبة لتاريخ عاشوراء، مع ذكر بعض تلك الروايات:

١- روضة الشهداء:

مصنّف هذا الكتاب هو كمال الدّين حسين بن عليّ الواعظ الكاشفيّ (م ٩١٠ هـ) أستاذ في الأدب الفارسيّ. وقد أورد في كتابه هذا كلّ البلايا والمصائب التي وقعت للأنبياء عليهم السلام منذ آدم عليه السلام إلى النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ يكمل الكلام حول مصائب الأئمّة عليهم السلام.

في هذا المجال يخصّص المؤلّف أكثر من نصف الكتاب للحديث عن حياة الإمام الحسين عليه السلام وواقعة عاشوراء والحوادث التي حصلت بعدها، أي أربعة

أبـواب منـه (من السابع إلى العاشـر) في سيرة الإمـام عليه السلام وعياله وأصحابه، ومـا بقـي من الكتاب (أي من البـاب الأوّل إلى السادس) مـع الخاتمة هو أقلّ من النصف!

وهذه عناوين الأبواب التي لها علاقة بالإمام الحسين عليه السلام:

الباب السابع: مناقب الإمام الحسين عليه السلام منذ ولادته، وبعض أحواله من بعد أخيه.

الباب الثامن: شهادة مسلم بن عقيل بن أبي طالب وقتل بعض أولاده.

البـاب التاسـع: وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وجهاده ضدّ الأعداء، وشهادته مع أولاده وأقاربه وأصحابه.

الباب العاشر: الوقائع التي حصلت مع أهل البيت عليهم السلام بعد كربلاء، والعقوبات التي نزلت بالأعداء الذين شاركوا في المعركة[1].

إنّ الكاشفـيّ قدّم بحثه حول واقعة كربلاء علـى أساس البلاء والأذى والامتحان الذي يقع على أولياء الله تعالى، بمعنى أنّ الله، سبحانه، من خلال حادثة عاشوراء ووقائعها المؤلمة، كان يريد أن يرفع من درجات أحد أوليائه المصطفين، وهذه هي سنّة الله تعالى مع خلقه وأحبّائه.

ولـم يتعرّض الكاتب، في بحثه أبداً، لأيّ بُعـد آخر لثورة عاشوراء، لا سيّما البعد السياسيّ.

كان تصنيـف هذا الكتاب بطلب أحد أعيان وسادات مدينة هرات الكبار، واسمه (مرشـد الله) المعـروف بـ (السيّد ميـرزا) وذلك في أواخر عمـر الكاشفيّ[2]، أيّ مـن المرحلة التي تكثر فيهـا الموانع مثل الكبر والضعف فـلا يستطيع بعد أن ينزل

(١) إنّ هذا الفهرس هو حسب طبعة المنشورات الإسلاميّة.

(٢) حسين بن عليّ الواعظ الكاشفيّ- روضة الشهداء- ص ٢٣.

ببلاغته وفصاحته العالية إلى الميدان[١]. كان تأليف هذا الأثر سنة (٩٠٧ هـ) وليس (٩٠٨ هـ) فقد صرّح المصنّف نفسه قائلاً: (إنّ الفاصل بين شهادة الإمام الحسين عليه السلام وبين تاريخ تصنيف هذا الكتاب يقرب من ٨٤٧ عاماً)[٢].

بالنسبة إلى مذهب الكاشفيّ، يمكن القول إنّه كان على المذهب السنّي الحنفيّ، كما نقل ذلك الأفنديّ عن الميرداماد في بعض فوائده[٣].

لم يبيّن الكاشفيّ كثيراً من مصادر كتابه، بل حتّى في نقله للأخبار المهمّة كان يهمل ذكر مصادرها، وفي كثير من الموارد عندما يصرّح بمصادر رواياته يتبيّن أنّها غير مشهورة، ولا معتبرة. وهذا ما ذكره الأفنديّ أيضاً عند تعداده لبعض المصادر الشيعيّة التي نقل عنها الكاشفيّ مثل: عيون أخبار الرضا، والإرشاد، وإعلام الورى، وكتاب الآل لابن خالويه، حيث يقول الأفنديّ هناك: إنّ روايات هذا الكتاب بل كلّها مأخوذة من الكتب غير المشهورة والتي لا يمكن الاعتماد عليها[٤].

وأمّا سبب فقدان القيمة العلميّة لهذا الكتاب فهو أنّ الكاشفيّ لم يعتمد، في بيانه للأخبار المهمّة لهذه الواقعة التاريخيّة العظمى، على الأسلوب العلميّ في كتابة التاريخ، أي الاعتماد على المصادر التاريخيّة القديمة والموثّقة، ونقل وتحليل ونقد الأخبار الواردة فيها حول هذه الحادثة.

ولهذا فإنّ كتاب (روضة الشهداء) بالفارسية وبتعبير بعض المحقّقين المعاصرين، ليس كتاباً تاريخيّاً بل هو مصنّف أدبيّ[٥] يشتمل على حكايات تاريخيّة أعان على تأليفه وانتشاره بعض الظروف الاجتماعيّة والعلميّة والثقافيّة التي كانت

---

(١) حسين بن عليّ الواعظ الكاشفيّ- روضة الشهداء- ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه- ص ٤٤١- يعلم من خلال الجملة الأخيرة أنّ هذا الأثر صنّف قبل محرّم (٨٤٧) أي في عام ٨٤٦، ولو أضيف إليه (٦١) عاماً لأصبح عام (٩٠٧) وليس (٩٠٨) كما قال الكثيرون.

(٣) الميرزا عبد الله الأفنديّ الأصفهانيّ- رياض العلماء وحياض الفضلاء- ج ٢- ص ١٨٦.

(٤) المصدر نفسه - ج ٢- ص ١٩٠.

(٥) رسول جعفريان (ملا حسين واعظ الكاشفي وكتاب روضة الشهداء) المصدر السابق- ص ٣٥٤.

مسيطرة على عهد المؤلّف.

وبعبارة أخرى إنّ هذا الكتاب هو نتيجة مرحلةٍ زمنيّة كان النقد والبحث العلميّ فيها ضعيفاً جدّاً، لدى المراكز الأكاديميّة والعلميّة الإيرانيّة وما وراء النهر، بل إنّ ما كان منتشراً ومتداولاً بين أيدي الناس هو بعض المتون القصصيّة، مثل رسائل أبي مسلم ورسائل أبي حمزة التي استبدلت بعد اضمحلالها بكتاب من تصنيف الكاشفيّ[١].

ويصرّح محقّق آخر حول أسلوب هذا الكتاب وقيمته التاريخيّة قائلاً: إنّ (روضة الشهداء) كتاب قصصيّ أكثر منه كتاباً تاريخيّاً، ولذا فإنّه يحتوي على حكايات خياليّة، وحيث إنّ مؤلّفه أديب مبدع فإنّ اختراع القصص ظاهر فيه أيضاً[٢].

وقد أخذ هذا الكتاب مكانه الخاصّ بسرعةٍ فائقة في المحافل والمجالس الشيعيّة والسنّيّة، نتيجة للقبول الواسع والكبير لمثل هذه المؤلّفات، لدى عموم الناس، بل وحتّى من قبل العلماء والمفكّرين. حيث كان الكثير من الوعّاظ والخطباء يتحدّثون، على المنابر، عن مصائب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته استناداً إلى هذا الكتاب، وحتّى مصطلح (قارئ الروضة) إنّما استعير من اسم هذا الكتاب لإطلاقه على مجالس قرّاء الروضة، أي العزاء[٣].

الأمر الأخير، في هذا الموضوع، هو أنّ لهذا الكتاب عدّة نسخ موجودة في المكتبات، وطبع مختصراً مرّات عديدة، وترجم أيضاً بلغاتٍ مختلفة، وفي بعض هذه الترجمات طبع منظوماً[٤].

---

(١) رسول جعفريان (ملا حسين واعظ الكاشفي وكتاب روضة الشهداء) المصدر السابق- ص ٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمّد الإسفنديارىّ- نفس المصدر.

(٤) راجع للإطّلاع على نسخات هذا الكتاب وتلخيصاته وترجماته: شارلز آمبروز استوري (ادبيات فارسي برمبناي تأليف أستوري) ج ٢- ص ٩٠٣- ٩١٢- أحمد منزوي (فهر ستواره كتابهاي فارسي) ج ٣- ص ١٦٦١- ١٦٦٤.

بعض النماذج الغريبة والضعيفة:

١- ذكر بعض الأسماء المجهولة والغريبة تحت عنوان: أسماء أنصار الإمام الحسين عليه السلام وجنود عمر بن سعد، مثل: زهير بن حسّان الأسديّ، وسامر، وحجر الحجّار، وحمّاد ابن أنس، والقاصّ بن مالك، وشريح بن عبيد، وقيس بن منبه، وهاشم بن عتبة وغيرهم[١].

٢- قصّة عرس القاسم[٢].

٣- حضور زعفر الجنّيّ الزاهد في كربلاء، واستعداده لنصرة الإمام الحسين عليه السلام ورفض الإمام عليه السلام ذلك[٣].

٤- حادثة شفاء البنت اليهوديّة المعلولة بوساطة دماء جناح الطير[٤].

٥- أسطورة السيّدة شيرين[٥]. وغير ذلك.

٢- المنتخب في جمع المراثي والخطب (المشهور بـ الفخريّ):

فخر الدّين الطريحيّ (٩٧٩- ١٠٨٧ هـ)[٦] هو مصنّف هذا الكتاب[٧] إلّا أنّ هذا الكتاب لا يمكن اعتباره مصنّفاً تاريخيّاً في سيرة الإمام الحسين عليه السلام أو ثورة عاشوراء ومقتل سيّد الشهداء، بل هو مجموعة روايات مثيرة للحزن والبكاء رتّبت على صورة خطابٍ نثريّ وشعريّ.

(١) راجع للإطّلاع على نسخات هذا الكتاب وتلخيصاته وترجماته: شارلز آمبروز استوري (ادبيات فارسي برمبناي تأليف أستوري) ج ٢- ص ٩٠٣- ٩١٢- أحمد منزوي (فهر ستواره كتابهاي فارسي) ج ٣- ص ٣٥٤- ٣٨٨.

(٢) المصدر نفسه- ص ٤٠٠- ٤١٠.

(٣) المصدر نفسه- ص ٤٣١- ٤٣٢.

(٤) المصدر السابق- ص ٤٤٧- ٤٤٩.

(٥) المصدر نفسه- ص ٤٥٩- ٤٦٢.

(٦) راجع حول نسب الطريحيّ وولادته ووفاته وسيرة حياته وآثاره: مجمع البحرين- ج ١- ص ١٨٦- المقدّمة. وقد جمع المحقّق المذكور في هذه المقدّمة المصادر التي تتحدّث عن سيرة حياة الطريحيّ ومن جملتها: الأفنديّ- رياض العلماء وحياض الفضلاء- ج ٤- ص ٣٣٢- ٣٣٥- والخوانساريّ- روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات- ج ٥- ص ٣٤٩- ٣٥٣- والمحدّث القمّي- الكنى والألقاب- ج ٢- ص ٤٤٨.

(٧) بناءً على قول الشيخ الحرّ العامليّ فإنّ للطريحيّ كتاباً آخر بعنوان (مقتل الحسين عليه السلام) مغايراً لكتابه المنتخب (محمّد حسين الحرّ العامليّ- أمل الآمل- ج ٢- ص ٢١٥) وهو كتاب مخطوط لم يطبع بعدُ، وقد رأى الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ نسخة منه في مكتبة محمّد عليّ الخوانساريّ في النجف (الذريعة إلى تصانيف الشيعة- ج ٢٢- ص ٢٧).

إنّ معظم أبحاث هذا الكتاب تتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام وجزء منها يتناول شيئاً من حياة بعض الأئمّة عليهم السلام وقد كتب على صورة كشكول. يتألّف هذا الأثر من جزءين، كلّ جزءٍ يحتوي على عشرة مجالس، كلّ مجلسٍ يتضمّن عدّة أبواب، يشتمل كلّ مجلسٍ وكل بابٍ على مواضيع متعدّدة لا رابط بينها.

اعتمد هذا المؤلّف في كتابه على منقولات كتاب (روضة الشهداء) للكاشفيّ ونقل عنه الكثير من المطالب الضعيفة وغير المعتبرة... إلّا أن الطريحي كان يعدّ في فترة كتابته لهذا المصنّف من الوعّاظ المقتدرين وصاحب خبرةٍ في فنّ الخطابة.

ومع مراجعة الكتاب يتبيّن أنّ الكاتب كان في البداية يلقي بعض مطالبه في أيّام محرّم عند قراءة العزاء في المحافل والمجالس، ومن ثمّ ينظمها إلى مجالس مكتوبة ومقروءة. وقد كان هذا الكتاب مورد نقدٍ من قبل الكثير من العلماء المحدّثين بسبب نقله الأخبار والروايات غير المعتبرة والمرسلة[١]، ومع كلّ ذلك فقد أخذ هذا الأثر موقعه المهمّ بين قرّاء العزاء، وكان له أثر كبير على المقاتل التي صنّفت من بعده، بل كان له الأثر في وجود بعض الروايات الضعيفة والغريبة التي وقعت في قراءة مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام في القرون الأخيرة.

١- عدد أفراد جيش عمر بن سعد كان سبعين ألفاً[٢].

٢- قصة عرس القاسم[٣].

٣- قتل الإمام الحسين عليه السلام عشرة آلاف رجلٍ من جيش العدوّ من دون هزيمة ذلك الجيش بسبب أعداده الكبيرة[٤].

---

(١) المحدّث النوريّ- اللؤلؤ والمرجان- ص ١٨٣- ١٨٤- الميرزا محمّد الإشراقيّ المعروف بأرباب- الأربعين الحسينيّة- ص ١٤- ٥٦- ٢٠٨.

(٢) الطريحيّ- المنتخب في جمع المراثي والخطب- ص ٣٧- ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه- ص ٣٧٢- ٣٧٥.

(٤) المصدر نفسه- ص ٤٦٣.

٤- أسطورة راعي إبل الإمام الحسين عليه السلام [١].

وغير ذلك..

٣- مقتل الحسين عليه السلام المنسوب إلى أبي مخنف:

إنّ بعض الأخبار الكاذبة والضعيفة قد نسبت- وكما أُشير إلى ذلك سابقاً- إلى أبي مخنف منذ القرن السادس وما بعده، بسبب اعتبار ووثاقة أخباره وقدمها الزمانيّ، إلّا أنّ تلك الأخبار غير موجودة في أيّ مصدر من المصادر المعتبرة التي نقلت روايات أبي مخنف. فقد وصل الحال في نسبة الأخبار الكاذبة والضعيفة والسخيفة إلى أبي مخنف في القرون المتعاقبة إلى حدّ أنّ البعض قد ألّف كتاباً، في القرون المتأخّرة، منسوباً إلى أبي مخنف تحت عنوان (مقتل الحسين عليه السلام المشتهر بمقتل أبي مخنف) من أجل أن تلقى الأخبار والروايات الكاذبة والضعيفة قبولاً لدى القرّاء والمستمعين.

بعض النماذج الغريبة والمحرّفة:

١- نقل أخبار المقتل عن أبي مخنف، وهو عن هشام، عن أبيه محمّد بن سائب الكلبيّ، والحال أنّ هشاماً هو تلميذ أبي مخنف، وهو الذي يروي عن أستاذه وليس العكس!![٢]

٢- نقل خبرٍ عن الكلينيّ، مع أنّ أبا مخنف توفّي عام (١٥٧ هـ) ووفاة الكلينيّ كانت عام (٣٢٩ هـ)[٣].

٣- خبر رجوع الإمام الحسين عليه السلام عن مسير كربلاء نحو المدينة، عند سماعه خبر شهادة مسلم وهاني، ولواذه بقبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وبكائه هناك[٤].

---

(١) المصدر السابق- ص ٩٠- ٩٢.
(٢) أبو مخنف - مقتل الحسين عليه السلام - ص ٢.
(٣) المصدر نفسه- ص ٧.
(٤) المصدر السابق- ص ٣٩.

٤- ركـوب الإمام عليه السلام سبعة من الجياد وتخلّيه عنهـا بسبب توقّفها عن الذهاب إلى كربلاء[١].

٥- روايـة شهادة الطرماح بن عديّ في كربلاء، والحـال أنّه لم يذهب إلى كربلاء أصلاً[٢].

٦- خبـر الطفل الرضيـع للإمام الحسين عليه السلام وأنّـه كان ذا ستّـة أشهر، وبقاؤه ثلاثة أيّام لم يذق ماءً، وذبحه بسهم من الأذن إلى الأذن الأخرى[٣].

٧- جلوس الشمر على صدر الإمـام عليه السلام والحوار الذي جرى بينـه وبين الشمر حـول شفاعة النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم هل هي أفضـل أم الحصول على الجائـزة من يزيد؟ وعندما أجاب الشمر بأنّ الحصول على الجائزة أفضل طلب الإمام عليه السلام منه ماءً، فرفض الشمر وقال: لا والله لن تشرب الماء حتّى تذوق الموت[٤].

٤- تظلّم الزهراء من إهراق دماء العباد:

إنّ مؤلّف هذا الكتاب هو رضى بن نبي القزوينيّ (عاش إلى سنة ١١٣٤ هـ). وتاريـخ تأليفه كان عام (١١١٨ هـ)، يقـول الكاتب في مقدّمة كتابه: هذا الأثر هو شرح لكتاب الملهوف للسيّد ابن طاووس ومعظم مصادره هي مصادر بحار الأنـوار مثل: الملهوف، ومجالس (الأمالي) للشيـخ الصدوق، والإرشاد للشيخ المفيـد، والمنتخـب للطريحيّ، ومثير الأحـزان، ومقاتـل الطالبيّين، ومناقب آل أبـي طالـب، وتسلية المجالـس للسيّد محمّد بن أبي طالـب الحسينيّ وغير ذلك[٥].

إنّ ترتيب هذا الكتاب وتبويبه هما على نسق ترتيب كتاب الملهوف وتبويبه، حيث

(١) المصدر نفسه- ص ٤٨- ٤٩.
(٢) أبو مخنف - مقتل الحسين عليه السلام - ص ٧٢.
(٣) المصدر نفسه - ص ٩٢.
(٤) المصدر السابق- ص ٩٢.
(٥) رضى بن نبي القزوينيّ- تظلّم الزهراء من إهراق دماء آل العباد- ص ٦.

يتألّف من ثلاث مقدّمات وثلاثة مقاصد وخاتمة، كلّ مقصد مع الخاتمة يحتوي على عدّة مجالس. المقدّمة الأولى: بعض معجزات الإمام الحسين عليه السلام وكراماته ومكارم أخلاقه واحتجاجاته. المقدّمة الثانية: بعض الروايات حول فضيلة البكاء والتباكي على الإمام الحسين عليه السلام وبقيّة الأئمّة عليهم السلام. المقدّمة الثالثة: الروايات الواردة في آداب التعزية لا سيّما في اليوم التاسع والعاشر.

وأمّا المقاصد، فالمقصد الأوّل: يتحدّث عن بعض الأمور التي حصلت قبل المعركة في كربلاء وفيه ستّة مجالس. المقصد الثاني: وقائع كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره وفيه أربعة مجالس. المقصد الثالث: أسر أهل البيت عليهم السلام والمسير إلى الكوفة والشام ورواية حضور أهل البيت عليهم السلام يوم الأربعين إلى كربلاء ورجوعهم إلى المدينة، وفيه أربعة مجالس. وأمّا خاتمة الكتاب- وهي أكثر من (١٦٠) صفحة، فإنّها تتضمّن مباحث مثل: رجعة الإمام الحسين عليه السلام في زمن الإمام الحجّة عجل الله فرجه، والعقوبات التي نزلت بقاتلي الإمام الحسين عليه السلام وثورة المختار، وموقف الحكّام الأمويّين والعبّاسيّين من قبر الإمام الحسين عليه السلام.

وقد قال الواعظ التبريزيّ الخيابانيّ، مضافاً إلى ذمّه لبعض الأخبار الواردة في هذا الكتاب وانتقاده بشدّة مؤلّف هذا الكتاب، لنقله مثل هذه الأخبار، قال: إنّ بعض النساخ قد غيّر وبدّل وتصرّف بهذا الأثر[١]، إلّا أنّ بعض المحقّقين تجاهل كلام الخيابانيّ وعمل على تصحيح ذاك الكتاب!!

بعض النماذج الضعيفة:

١- خبر خروج الطرماح بن عدي يوم عاشوراء[٢]، مع أنّه لم يكن موجوداً أصلاً في كربلاء.

(١) الواعظ التبريزيّ الخيابانيّ- وقائع الأيّام في تتمّة محرّم الحرام- ج ٤- ص ١١٢- ١٢١.
(٢) رضى بن نبي القزوينيّ- المصدر- ص ٢٢٧.

٢- نقل خبر منتخب الطريحيّ حول قتل الإمام الحسين عليه السلام عشرة آلاف مقاتل من جيش الأعداء، مع توجيه ذلك الخبر وتأييده[١].

٣- حكاية الطائر المجروح جناحه وشفاء البنت اليهوديّة[٢].

٥ - محرق القلوب:

إنّ مصنّف هذا الكتاب هو محمّد مهدي بن أبي ذرّ الكاشانيّ المشهور بالنراقيّ[٣] ([٤]١٢٠٩ أو ١٢١١هـ[٥]). وهو والد الملّا أحمد النراقيّ صاحب كتاب معراج السعادة وجامع السعادات. كتب هذا الأثر باللغة الفارسيّة بشكل مفصّل، ويحتوي على مقدّمةٍ وعشرين مجلساً[٦]، وباعتبار أنّه يتضمّن بعض المطالب الغريبة والضعيفة، لم يلق قبولاً فيما مضى، وهو مطبوع فقط بنسخةٍ حجريّة.

نماذج من المطالب الضعيفة والغريبة:

١- حضور هاشم بن عتبة المرقال (ابن عمّ عمر بن سعد) يوم عاشوراء في كربلاء، وسماح الإمام عليه السلام له بقتال الأعداء، وحكاية قتاله الخرافيّة[٧]، والمعروف من خلال الروايات التاريخيّة المعتبرة أنّ هاشماً كان من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام وكان حامل لوائه في حرب صفّين، وقد قاتل ضدّ جيش معاوية حتّى استشهد[٨].

٢- وصول جيش من أهل الشام قوامه ألف مقاتل إلى كربلاء بإمرة شمعان (شمعون) ابن مقاتل[٩].

(١) المصدر السابق- ص ٢٠٨.
(٢) المصدر- ص ٢٣٣- ٢٣٥.
(٣) راجع حول سيرة النراقيّ ومصنّفاته: الميرزا محمّد التنكابنيّ (قصص العلماء)- ص ١٣٢- ١٣٣.
(٤) الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ- الذريعة إلى تصانيف الشيعة- ج ٢٠- ص ١٤٩.
(٥) إسماعيل باشا البغداديّ- هديّة العارفين- ج ٢- ص ٣٥١.
(٦) النراقيّ- محرق القلوب- ص ٢.
(٧) المصدر نفسه- ص ١١٨- ١١٩.
(٨) نصر بن مزاحم المنقريّ- وقعة صفّين- ص ١٩٣- ٣٥٣.
(٩) النراقيّ- المصدر نفسه- ص ١١٨.

٣- حكاية زعفران الزاهد[١].

٤- قصة عرس القاسم، والطريقة الخياليّة في قتاله الأعداء[٢].

٥- قصّة الطائر الملطّخ بالدماء وشفاء البنت اليهوديّة[٣].

٦ - إكسير العبادات في أسرار الشهادات:

هذا الأثر من تصنيف الملّا آغا بن عابد بن رمضان بن زاهد الشيروانيّ الدربنديّ الحائريّ المعروف بـ (الفاضل الدربنديّ) (م ١٢٨٥ أو ١٢٨٦هـ)[٤] ويشتهر هذا الكتاب باسم (أسرار الشهادة) حيث شرح فيه المؤلّف واقعة عاشوراء بشكل موسّع وقد ضمّن المصنّف كتابه ((٢٤) مجلساً و(١٢) مقدّمة وخاتمة تحتوي أيضاً ثلاثة مجالس) وقد استغرق هذا الكتاب من الزمن لتصنيفه ثمانية عشر شهراً، وتاريخ الانتهاء منه هو يوم الجمعة الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٢٧٢ هـ[٥].

يتمتّع هذا الكتاب بخصائص عديدة نشير إلى ثلاثة منها:

١- ميزة التحليل: لم يكتف المؤلّف بتدوين الأخبار وذكر الوقائع بل عمل على تحليل الروايات والجمع بين الأخبار المتعارضة، إذ إنّه كان يمتاز بذهنٍ خلّاق وفكر وقّاد مضافاً إلى معرفته بالحكمة وعلم المعقول.

٢- وجود الأخبار المجعولة والأسطوريّة فيه: إنّ كاتب هذا الأثر، بالإضافة إلى نقله الكثير من الروايات الملفّقة بل الخرافيّة في بعض الموارد، حاول توجيه تلك المنقولات وذكر أدلّةٍ على صحّتها.

٣- التفصيل والتوسّع في المطالب: إنّ هذا الكتاب يعدّ- إلى زمان تصنيفه- أكثر المؤلّفات تفصيلاً بين جميع الكتب التي صنّفت حول تاريخ عاشوراء[٦].

(١) المصدر السابق- ص ١٥٢.
(٢) المصدر نفسه- ص ١٢٦- ١٣٠.
(٣) النراقيّ- محرق القلوب- ص ١٠٨.
(٤) محمّد حسن خان معتمد السلطنة: المآثر والآثار- ص ١٣٩- والشيخ آغا بزرك الطهرانيّ- المصدر- ج ١١- ص ١٣٩- ٢٧٩.
(٥) الفاضل الدربنديّ- إكسير العبادات في أسرار الشهادات- ج ٣- ص ٩١٩.
(٦) محمّد الإسفنديارّي- المصدر- ص ١١١.

كان الدربنـديّ مواظباً على إقامة مجالس العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام ومتشدّداً فـي ذلـك ومصرّاً عليه بحيث إنّه كان يغمى عليه من شدّة البكاء، وفي يوم عاشوراء كان ينـزع ثيابه عـن بدنه، ويتستّر بـإزار، وينثر التراب على رأسـه، ويمسح الطين بجسده، ثمّ يذهب على هذه الهيئة إلى المنبر[١].

يُعتبـر الدربنديّ هو المؤسّس أو المروّج لعادة التطبير (ضرب الرأس) وقد كتب «**مهـدي بامـداد**» حول ذلك قائلاً: (كان يرى جـواز ضرب الرأس بآلةٍ حادّة بل فعل ذلـك أيضـاً، ومنذ ذلك الوقت جرى عـوامّ الناس على ذلك العمل تبعـاً له في أيّام عاشوراء)[٢].

إنّ الدربنديّ وباعتبار مبناه الخاصّ في نقل واقعة كربلاء، نجده لا يتأبّى عن نقل المطالـب والأخبار الضعيفة وغير المسندة، بل في بعض الأحيان الروايات موهونة. ولـذا نرى ضعف هذا المبنى وسخافته ووهن أساسه فـي نقل وقائع تاريخ عاشوراء عندمـا نرجع إلى كلامه حول كيفيّة تصنيف هذا الكتاب، بالاستفادة من كتابٍ آخر ألّفه أحد قرّاء العزاء المعاصرين له واسمه السيّد جعفر[٣].

ومـن هنا فإنّنـا- وبسبب ما يحمل كتـاب الدربنديّ من الأخبـار الضعيفة وغير الموثّقة- نجد هذا الأثر- منذ بداية تأليفه- مورداً للإشكالات القويّة والنقد اللاذع والتوهيـن الشديد مـن قبل الباحثين المعاصريـن للدربنديّ، والعلمـاء المتأخّرين عنـه، وأيضاً من قبل المحدّثين والمحقّقين أمثال: المحدّث النوريّ[٤] والتنكابنيّ[٥] والشيخ آغا بزرك الطهرانيّ[٦] والسيّد محسن الأمين[٧] والأستاذ المطهريّ[٨].

---

(١) الميرزا محمّد التنكابنيّ- المصدر- ص ١٠٩.
(٢) مهدي بامداد- شرح حال رجال إيران- ج ٤- ص ١٣٨.
(٣) الفاضل الدربنديّ- المصدر- ج ٢- ص ٣٠٥- ٣٠٦.
(٤) الميرزا حسين النوريّ- المصدر- ص ١٦٧- ١٦٩- ١٩٥.
(٥) الميرزا محمّد التنكابنيّ- المصدر- ص ١٠٨.
(٦) آغا بزرك الطهرانيّ- المصدر- ج ٢- ص ٢٧٩.
(٧) السيّد محسن الأمين العامليّ- أعيان الشيعة- ج ٢- ص ٨٨.
(٨) الشهيد المطهريّ- حماسه حسيني- ج ١- ص ٥٥.

وقد قام الدربندي- حسب قول الشيخ آغا بزرك الطهراني- بترجمة جزء من هذا الكتاب من فصل (مقام الوحدة للحسين عليه السلام) الذي يضمّ ثلاثة عشر باباً (يحتوي كلّ بابٍ على عدّة مجالس) وجعله على اسم ناصر الدّين شاه فسمّاه (سعادات ناصري) الذي طبع مرّاتٍ عديدة[١].

كذلك قام شخص يدعى الميرزا محمّد حسين بن عليّ الأكبر بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيّة تحت اسم (أنوار السعادة في ترجمة أسرار الشهادة) وطبعه في تبريز[٢].

وباعتبار أنّ متن كتاب أسرار الشهادة صُنّف باللغة العربيّة وكان مفصّلاً جدّاً، فقد ألّف الدربنديّ مقتلاً فارسيّاً مختصراً بعنوان (سرمايه إيمان وجواهر إيقان در ترجمة وشرح أسرار الشهادة)[٣] وهو مطبوع أيضاً[٤].

وممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ الطبعة القديمة من كتاب الدربنديّ فيها بعض من المطالب الكاذبة وغير الواقعيّة، وأمّا في الطبعة الجديدة المحقّقة فإنّ بعض هذه المطالب السخيفة والضعيفة قد حُذفت منها[٥].

ومع صرف النظر عن المبنى غير الصحيح والمخالف للموازين العلميّة لدى المصنّف، فإنّه لا يمكن توقّع الدقّة العلميّة والمتانة في اختيار الأخبار الصحيحة والروايات المعتبرة من واقعة عاشوراء في كتابٍ يعدّ من المطوّلات وصنّف بهذه السرعة (فقد سبق معنا أنّ هذا الكتاب كان إلى زمان تصنيفه أكثر الكتب تفصيلاً

---

(١) آغا بزرك الطهرانيّ- المصدر- ج ٢- ص ٢٧٩- وج ١٢- ص ١٧٩- ١٨٠.

(٢) المصدر- ج ٢- ص ٤٢٩.

(٣) المصدر- مقدّمة الكتاب- ص ٣- (من دون ذكر أيّ علامة للكتاب)- إلّا أنّ الناشر وضع عنواناً لهذا الكتاب باسم جواهر الإيقان وسرماية إيمان.

(٤) المصدر- ج ٥- ص ٢٦٤.

(٥) المصدر- ج ١- ص ٢٩- كمثال على ذلك، فقد ورد في الطبعة القديمة (طهران- منشورات الأعلميّ) المجلس العاشر- ص ٣٤٥- يذكر الدربنديّ أنّ عدد جيوش الأعداء (٤٦٠) ألف جندي، قتل منهم على يد الإمام الحسين عليه السلام (٣٣٠) ألفاً، وقتل على يد أبي الفضل العبّاس- عدا الجرحى- (٢٥) ألفاً- و(٢٥) ألفاً على يد بقيّة بني هاشم ولم يبق من معسكر عمر بن سعد سوى ثمانين ألفاً، إلّا أنّه في الطبعة الجديدة حذفت هذه الرواية لأنّها من الأساطير والخرافات الواضحة (ج ٢- ص ٥٤٥).

حـول سيـرة الإمـام الحسين عليه السلام وقـد كتب خـلال ثمانيـة عشر شهـراً مع تلك الإمكانـات الضعيفة في ذلك الزمـان للاطلاع على المصـادر المعتبرة فضلاً عن تنقيتها وتهذيبها للاستفادة منها).

بعض النماذج الضعيفة والغريبة:

إنّ هـذا الأثر وبسبب أبحاثـه المفصّلة والمبسوطة- قد احتـوى على الكثير من الأخبار المجعولة والواهية والغريبة والأسطوريّة...وسنكتفي هنا بالإشارة إلى بعض تلك الموارد:

١- الروايـة الغريبـة حـول كيفيّـة خـروج الإمـام الحسيـن عليه السلام بعيالـه مـن المدينـة المنـوّرة مع أربعين محملاً مـن الحرير والديباج علـى هيئة الأمراء والسلاطين!![١]

٢- الخبـر الأسطـوريّ والخيالـيّ عـن أعـداد جيش عمر بـن سعد، حيـث وصل إلـى (١٦٠,٠٠٠٠)[٢] رجـل، وفي مكان آخـر (٤٦٠,٠٠٠) رجـل، قتل منهم (٣٣٠,٠٠٠) بِيَـد الإمـام الحسيـن عليه السلام و (٢٥,٠٠٠) قتيـل على يـد بقيّة الأنصار من بني هاشم، ولم يبق منهم على قيد الحياة إلّا ثمانون ألفاً فقط!![٣]

وفي موضع آخر وصل عدد القتلى من الأعداء على يد الإمام الحسين عليه السلام إلى أربعمائة ألفٍ من الجيش الذي بلغ تعداده خمسمائة ألف مقاتل[٤].

٣- إنّ يوم عاشوراء كان سبعين ساعة[٥] أو اثنتين وسبعين منها[٦].

٤- ذكر أسمـاء بعض الأشخاص باعتبارهم من أنصـار الإمام الحسين عليه السلام أو

(١) الفاضل الدربنديّ- المصدر- ج ٢- المجلس العاشر- ص ٦٢٨- ٦٢٩.
(٢) المصدر- ج ٣- المجلس ١٣- ص ٤٣.
(٣) المصدر- ص ٣٤٥ (الطبعة القديمة) كما سبق القول فإنّ هذا النقل حذف في الطبعة الجديدة لهذا الكتاب (المصدر- ج ٢- ص ٥٤٥).
(٤) المصدر- ج ٣- المجلس الثالث عشر- ص ٣٩.
(٥) المصدر- ص ٤٣.
(٦) المصدر- ص ٤٠.

مـن جيش عمـر بن سعد، والحـال أنّ هؤلاء لم تَـرِدْ أسماؤهم فـي أيّ مصدر معتبر، وذلك مثل: عبد الله بن شقيق[١]، وإسحاق بن مالك الأشتر[٢]، وكثير بن يحيى الأنصاريّ[٣]، ومـارد ابن صديف التغلبيّ[٤]، وغلام باسم (مبارك)[٥]، ومسعود الهاشميّ[٦]، وغيرهم...

٥- حكاية راعي إبل الإمام الحسين عليه السلام[٧].

٦- ثـورة بنـتٍ تدعـى (درّة الصدف) فـي حلب بدافـع الانتقام والثـأر للإمام الحسيـن عليه السلام وأخذ رؤوس الشهداء وتحرير الأسرى من أيدي جنود يزيد، عندما كانوا ينقلون الأسرى والرؤوس إلى الشام[٨].

٧- الدمعة الساكبة:

مصنّـف الكتاب هـو محمّد باقر البهبهانيّ (م ١٢٥٨ هـ) الذي كتب في سيرة الأئمّـة عليهم السلام مجلّدات عديدة، اثنان منهـا (الرابع والخامس) يتحدّث فيهما عن الإمـام الحسيـن عليه السلام وعاشوراء ضمن أربعـة عشر فصـلاً. كان البهبهانيّ من تلامذة الفاضل الدربنديّ ومريديه، ويعبّر عنه في كتابه هذا بقوله (قال الفاضل).

نقـل الشيـخ محمود العراقـيّ في كتابـه (دار السـلام) عن الواعـظ التبريزيّ الخيابانيّ مدحاً لمؤلّف كتاب الدمعة الساكبة حيث قال فيه:

كان يقـرأ العزاء بالطريقة المتعارفة في ذلك الزمـان والمكان (النجف) حيث يقـرؤون المصيبـة عـن كتب المقاتـل الفارسيّة مثـل (روضة الشهـداء) و(محرق

(١) الفاضل الدربنديّ- المصدر- ج ٢- المجلس العاشر- ص ٢٧٥.
(٢) المصدر- ص ٢٨٤.
(٣) الفاضل الدربنديّ- ص ٢٩١.
(٤) المصدر- ص ٤٩٩.
(٥) المصدر- ص ٢٩٩.
(٦) المصدر- ص ٢٩٨.
(٧) المصدر- ج ٣- ص ١٥٧- ١٦٢.
(٨) المصدر- المجلس الثامن والعشرون- ص ٤٤٥- ٤٥٠.

القلوب) وأمثالهما وقد كان للبهبهانيّ تأثير عظيم في قراءته بسبب الإخلاص الذي كان يمتاز به، وإن لم يكن متمكّناً من العبارات العربيّة لعدم معرفته بها[١].

استفاد البهبهانيّ كثيراً من كتاب (المنتخب) للطريحيّ في نقل وقائع عاشوراء، وهنـاك مصادر أخرى أيضاً استند إليها مثل: بحـار الأنوار، وعوالم العلوم، وتظلم الزهـراء، ومسنـد البتـول، وتذكار الحزيـن، وجامع الأخبـار، ونور العيـن، ومهيج الأحزان، ومعـدن البكاء والمصائب، والمقتل المنسوب إلـى أبي مخنف، والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام.

وقد احتوى الكتاب على بعض المطالب الضعيفة والغريبة أيضاً[٢].

٨- ناسخ التواريخ:

كتـب الميرزا محمّـد تقيّ لسان الملك المعـروف بـ (سبهـر الكاشانيّ) (١٢١٦-١٢٩٧ هـ) مجموعة تاريخيّة تمتدّ من عهد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى عصر المصنّف، وقد خصّص قسماً من هذا الكتاب للحديث عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام بشكل موسّع.

كان زمـان كتابة هذا الجزء من الكتـاب في عهد ناصر الدّين شاه عام (١٢٩٠-١٢٩١ هـ)[٣] وكان هدف المؤلّف من هذا الكتاب- كما يظهر من اسمه المبالغ فيه- هو استغناء القارئ عن كلّ الكتب التاريخيّة الأخرى، ولذا فقد اشتمل على الكثير من المطالب الضعيفة وغير المعتبرة، ولهذا وباعتبار أنّ المؤلّف كان من رجال البلاط الملكـيّ أيضاً، لم يلق كتابه قبولاً في المجامـع العلميّة، بل إنّ بعض العلماء لم يجز مطالعته[٤].

ولكـن بالرغـم من كلّ ذلـك فقد كان هـذا المصنَّف معتمداً لـدى عموم الناس والخطباء وأهل المنبر على مدى عدّة عقود.

(١) الواعظ الخيابانيّ- وقائع الأيّام في تتمّة محرّم الحرام- ج ٤- ص ٢٥.
(٢) محمّد باقر عبد الكريم البهبهانيّ- الدمعة الساكبة- ج ٤- ص ٣٢٧ وص ٣٣١ وص ٣٣٢ وص ٣٢٢- ٣٢٣ وص ٣٢٤.
(٣) فقد قال هو في كتابه: (وقد وصلنا الآن في التاريخ الهجريّ إلى العام ١٢٩١ هـ) المصدر- ج ٦- ص ٣٦١.
(٤) السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائيّ (تحقيق درباره، أول أربعين حضرت سيد الشهداء عليه السلام)- ص ١٧٨.

بعض النماذج من الروايات الضعيفة والغريبة:

١- خبر تفرّق أنصار الإمام الحسين عليه السلام عنه ليلة العاشر، وبقاء أقربائه وخواصّه فقط!![١]

٢- الترجمة الخاطئة لكلمة (مسنّاة) بالإبل[٢].

٣- الرواية الخياليّة لطرماح بن عديّ حول رجوع رأس الإمام عليه السلام إلى جسده الشريف، ورؤية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مكان شهادته، مع أنّ طرماح لم يكن من الشهداء بل التقى بالإمام عليه السلام أثناء المسير فقط، ثمّ وصل إليه خبر شهادة الإمام عليه السلام قبل وصوله إلى كربلاء، فرجع أدراجه[٣].

٤- قعود الشمر على صدر الإمام الحسين عليه السلام والحوار الذي جرى بينه وبين الشمر حول شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هل هي أفضل أم الحصول على الجائزة من يزيد؟ وعندما أجاب الشمر بأنّ الحصول على الجائزة هو الأفضل طلب الإمام عليه السلام منه ماءً فرفض الشمر وقال: لا والله لن تشرب الماء حتّى تذوق الموت عطشاً[٤].

٩-تذكرة الشهداء:

مؤلّف هذا الكتاب هو الملّا حبيب الله شريف الكاشانيّ[٥] (م ١٣٤٠ هـ) الذي يعدّ من العلماء البارزين في العهد القاجاريّ، وله مؤلّفات كثيرة في مختلف العلوم، منها هذا الكتاب المفصّل (تذكرة الشهداء) في تاريخ عاشوراء. يشتمل هذا الأثر على أخبار وروايات ضعيفة ومخدوشة أدّت إلى تشويه الصورة الحقيقيّة لواقعة عاشوراء.

---

(١) السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائيّ (تحقيق درباره، أول أربعين حضرت سيد الشهداء عليه السلام)- ص ٢٣٧.
(٢) المصدر- ص ٢٨٦.
(٣) المصدر- ص ٢٩٩.
(٤) المصدر السابق- ٢٩٣.
(٥) راجع حول سيرته ومصنّفاته- عبد الله الموحديّ- الملّا حبيب الله شريف الكاشانيّ (فقيه فرزانه (فارسي)).

بعض النماذج من الروايات الضعيفة والغريبة:

١- حضور أربعمائة رجل من أهل الفتوى في كربلاء أفتوا بقتل الإمام الحسين عليه السلام ومنهم ظفر بن ملجم، وإلقاء العصا والعود على الإمام عليه السلام بدلاً من استخدام الرماح والسيوف[١].

٢- عرض السيّدة زينب الترس الملطّخ بالدماء لأبي الفضل العبّاس عليه السلام على أمّه أمّ البنين التي أغمي عليها عندما رأته[٢].

٣- تسليم الإمام الحسين عليه السلام قبضة من اللآلئ إلى أحد جنود الأعداء لإيصالها إلى ابنته التي أوصته حين خروجه من بيته أن لا يرجع من السفر إلّا وقد جلب لها معه هديّة[٣].

٤- امتناع الجواد ذي الجناح عن المسير بالإمام عليه السلام إلّا أن يعده بالركوب عليه يوم القيامة عند الشفاعة للأمّة العاصية[٤].

١٠- معالي السبطين في أحوال السبطين الإمامين الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام:

إنّ مصنّف هذا الكتاب هو محمّد مهدي الحائريّ المازندرانيّ (١٣٠٠- ١٣٨٥ هـ) وعلى الرغم من أنّ هذا الأثر يشمل سيرة الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام إلّا أنّ معظمه يتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام. وقد اعتمد المؤلّف في كتابه هذا على المصادر الضعيفة وغير الموثّقة، مثل: روضة الشهداء، ومنتخب الطريحيّ، ومقتل الحسين عليه السلام المنسوب إلى أبي مخنف، ومدينة المعاجز، وناسخ التواريخ، وأسرار الشهادة، وتظلّم الزهراء عليها السلام وأمثال تلك، ولذا فقد دخل على كتابه الكثير من التحريفات والأكاذيب.

---

(١) الملّا حبيب الله الشريف الكاشانيّ- تذكرة الشهداء- ص ٢٧٩- ٢٨٠.
(٢) المصدر نفسه- ص ٤٤٣.
(٣) المصدر السابق- ص ٣٢٥.
(٤) المصدر نفسه- ص ٣١٢.

بعض النماذج من الروايات الضعيفة والغريبة:

١- حضور ليلى في كربلاء وخروجها من الخيمة حافية الأقدام ومكشوفة الرأس عند شهادة عليّ الأكبر[١].

٢- خرافة راعي إبل الإمام الحسين[٢] عليه السلام.

٣- حكاية الطائر الملطّخ جناحه بالدماء وشفاء البنت اليهوديّة[٣].

١١- نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

نُسب هذا الكتاب إلى إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن مهران الشافعيّ الأشعريّ المعروف بـ (أبو إسحاق الأسفراينيّ) (م ٤١٧- أو ٤١٨ هـ) ولا يوجد في هذا المصنّف فصول ولا عناوين، ولم يذكر الكاتب أيّة أسانيد لرواياته، بل كان يقول عند أوّل كلّ نقلٍ، (قال الراوي)، ولهذا فإنّ طريقة هذا الأثر تشبه الحكايات الشعبيّة.

يعتقد بعض المحقّقين أنّ هذا الكتاب ملفّق في نسبته إلى الأسفراينيّ لأنّ أسلوب الكتابة فيه لا يتلاءم مع أسلوب مصنّفات القرن الرابع[٤]، وممّا يؤيّد هذا الرأي، أنّ كاتب هذه السطور، صادف عند مراجعته لذاك الكتاب والبحث في بعض مطالبه عبارة حول محلّ دفن الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام حوّلت ظنّه

(١) الملّا حبيب الله الشريف الكاشانيّ- تذكرة الشهداء- ص ٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه- ص ٣٥- ٣٦.

(٣) المصدر نفسه- ص ٣٣- ٣٤.

(٤) السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ- أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة- ص ٦٥٥- الرقم ٨٣٩- ولتأييد الكلام المذكور ينبغي القول بأنّ المصادر المتقدّمة التي تحدّثت عن سيرته لم تذكر مثل هذا الكتاب عند إحصاء مصنّفاته (ابن عساكر- تبيين كذب المفتري- ص ٢٤٠- ٢٤١- ابن خلكان- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان- ج ١- ص ٢٨- تاج الدّين أبي نصر عبد الوهّاب بن عليّ السبكيّ- طبقات الشافعيّة الكبرى- ج ٤- ص ٢٥٧- شمس الدّين الذهبيّ- سير أعلام النبلاء- ج ١٧- ص ٣٥٣- ابن كثير- البداية والنهاية- ج ١٢- ص ٣٠- إنّ أوّل من نسب هذا الكتاب إلى الأسفراينيّ هو إسماعيل باشا نقلاً عن وفيات الأعيان (هديّة العارفين- ج ١- ص ٨)، إلّا أنّ مراجعة كتاب الوفيات تنفي تلك النسبة، ومن بعده جاء يوسف اليان سركيس (معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة- ج ١- ص ٤٣٦) والشيخ آغا بزرك (الذريعة- ج ١٧- ص ٧٢- ٧٣) وأخيراً السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ (المصدر- ص ٦٥٤) ونسبوا هذا الكتاب للإسفراينيّ، ويظهر أنّ مستند هذه النسبة هو قول إسماعيل باشا لا غير.

إلى يقيـن بأنّ هذا الكتاب يُعتبر من المصنّفات المتأخّرة، وتلك العبارة هي: (روي عـن طائفة الفاطميّة الذين حكموا مصر أنّ الرأس وصـل إليهم ودفنوه في مشهده المشهـور)[١] إذ إنّ انتقال الرأس من عسقلان إلـى مصر ودفنه في القاهرة وبناء مقـام عظيم فوقه إنّما حصل- وبحسب روايـات المؤرّخين للعصور الفاطميّة- بعد عام (٥٤٨) أي بعد وفاة الأسفراينيّ بـ (١٣٠) عاماً[٢].

ونقـل أيضاً بأنّ طلائع ابن زرّيك- الوزير الشيعـيّ للخليفة الفاطميّ (الفائز بـالله) بنى ذلـك المقام الجليل عـام (٥٤٩ هـ) بعـد نقل الرأسـ الشريف إلى القاهرة[٣].

وأمّـا بالنسبـة إلى القيمـة العلميّـة لروايات هذا الكتـاب، فيلزم القـول بأنّ الكثيـر مـن هذه الأخبـار والمطالـب ضعيفة ومجعولـة وسخيفة، وليسـ لها أيّ اعتبـار عند المحقّقيـن، كما صرّح بذلـك الشهيد القاضـي الطباطبائيّ قائلاً: (إنّ هـذا الكتاب ضعيف جدّاً، ولا يمكن الاعتماد عليه)[٤]، و(هو مجعول ومؤلّفه مجهول)[٥]، وحسب رأيه هو مقتل مملوء بالروايات المجعولة والمنقولات الخياليّة والحكايات[٦].

الأمـر الأخيـر في هذا الموضوع: أنّـه لو ثبت نسبة هذا الكتـاب إلى الأسفراينيّ فينبغي العلم أنّه في عقيدة الصاحب بن عبّاد كان من مثيريّ الفتن بين المسلمين، ولذا لا يمكن الاعتماد على مطالب هذا الكتاب[٧].

---

(١) السيّد عبد العزيز الطباطبائيّ- أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربيّة- ص ٧٢.
(٢) شهاب الدّين- أحمد بن عبد الوهاب النويريّ- نهاية الإرب في فنون الأدب- ج ٢٠-ص ٣٠٠.
(٣) العلّامة عبد الحسين أحمد الأمينيّ- الغدير- ج ٤- ص ٣٤٩.
(٤) القاضي الطباطبائيّ- المصدر- ص ٦٠.
(٥) المصدر السابق- ص ٢٢١.
(٦) المصدر نفسه - ص ٦٤٠.
(٧) ابـن عساكـر- تبيين كذب المفتري- ص ٢٤١- تـاج الدّين أبي نصر عبد الوهّاب بن عليّ السبكيّ- المصدر- ج ٤- ص ٢٥٧- شمس الدّين الذهبيّ- المصدر- ج ١٧- ص ٣٥٤- الشيخ عبّاس القمّي- الكنى والألقاب- ج ٢- ص ٢٦.

بعض الموارد الضعيفة والغريبة:

١- قتل مسلم بن عقيل من الرجال (١١٠٠) من أصل (٢٨٠٠) جندي أرسلهم ابن زياد لاعتقاله[١].

٢- قتل الإمام الحسين عليه السلام من الأعداء (١٦٠٠) رجل[٢].

٣- جلوس الشمر على صدر الإمام عليه السلام والحوار الذي جرى بينهما حول شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، هل هي أفضل أم جائزة يزيد؟ وجواب الشمر أنّ الجائزة أفضل، ورفض الشمر طلب الإمام عليه السلام شربة ماءٍ وقوله له: لا والله لن تشرب الماء حتّى تذوق الموت عطشاً[٣].

١٢- مقاتل ومصنّفات عاشوراء في زماننا المعاصر (القرن الأخير):

يجدر القول بأنّ كتابة المقاتل في المائة السنة الأخيرة كانت أيضاً مورد اهتمام المؤرّخين والباحثين المسلمين، إلّا أنّ أهمّ المميّزات البارزة في مصنّفات هذا العصر- مضافاً إلى الفوائد العاطفيّة التي تُعتبر ميراثاً للمصنّفات القديمة وتعدّ من مقتضيات حادثة عاشوراء- هي الثمرات السياسيّة من حركة الإمام الحسين عليه السلام والتوجّه إلى مفهوم مواجهة الظلم في واقعة عاشوراء، والتي أكّد عليها المؤرّخون لواقعة كربلاء حيث اعتبروا أنّ عاشوراء تعدّ من أهمّ العوامل التي جعلت الشيعة يرفضون الظلم ويقفون في وجهه ويقاومون السلاطين والحكّام الظلمة، وبعبارة أخرى إنّ مؤلّفات العصور المتأخّرة حول عاشوراء كانت متأثّرة بالظروف السائدة من حولها وخاصّة الحركات المطالبة بالعدالة، وتدخّل الدّين في السياسة حيث نفخت روح الوعي والحريّة في الأمّة كما حصل مثلاً بوضوح لدى الشعب الإيرانيّ المؤمن.

---

(١) أبو إسحاق الإسفراينيّ- نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ص ٢٨- ٢٩.
(٢) المصدر نفسه - ص ٤٩.
(٣) المصدر نفسه- ص ٥٠.

كلّ ذلـك كان ولا زال ببركة المعانـي السياسيّة والحكومتيّة لواقعة عاشوراء التي كانت تبرز في المجالس الدّينيّة، ومنذ ذلك الحين وإلى وقتنا الحاضر، نرى الفوائد والنتائـج السياسيّة تعدّ من أهمّ ثمرات حادثـة كربلاء، وهذه وجهة نظر خاصّة في فهـم عاشـوراء، إلى جانب وجهة نظر أخرى تستثمر من عاشـوراء النتائج والفوائد المعنويّة والعاطفيّة.

إنّ البحـث والدراسـة فـي هـذا المجال- فضـلاً عن قصـور هـذه المقالة عن استيعابه- يحتاجان إلى مناسبة أخرى ومجال خاصّ.

ومـن البديهيّ أنّ هـذا الأسلوب المعاصر في دراسة كربـلاء والتصنيف فيها له أهمّيّـة كبـرى بحيث يجعل تلك الواقعة، بـكلّ أحداثها وشخصيّاتهـا العظيمة، حيّة خالدة على مدى العصور والأزمان.

النتيجة:

من خـلال ما مرّ معنا، يمكن القول إنّ المقاتل والمصـادر التاريخيّة لعاشوراء، يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

الأولى: المصنّفات التي كتبت ما بين القرن الثاني والقرن السابع وهي التي تمتاز بقيمة علميّة ويمكن الاعتماد عليها لقدمها الزمانيّ ومتانتها وقوّتها.

وأمّـا روايـات المجموعة الثانية التـي صنّفت ما بين القرن الثامـن إلى عصرنا الحاضـر، فإنّ ما كان مصادره قديمة وموثّقة يمكـن الاستناد إليه، وأمّا ما لم يكن كذلك فلا اعتبار له ولا يمكن الاعتماد عليه.

الطفل الرضيع وعليّ الأصغر[1]

المشهور في كتب المقاتل والتواريخ أنّ طفلاً رضيعاً من أبناء سيّد الشهداء عليه السلام قد استشهد يوم عاشوراء بعد أن أصيب بسهم في عنقه الصغير، ما أظهر مظلوميّة سيّد الشهداء عليه السلام وجرائم بني أميّة ضدّ الإنسانيّة للعالم أجمع وإلى الأبد.

أمّا ذلك الطفل المعروف بعبد الله الرضيع ووجوده وإصابته بالسهم فقد اعتبروا من المسلّمات كونه عليّ الأصغر وجعلوهما شخصاً واحداً.

وبما أنّ اسم عبد الله الرضيع هو الذي ورد فقط في زيارة الناحية المقدّسة، ولم يرد فيها طفل باسم «**عليّ الأصغر**» لذلك تُصُوِّرَ اتحادهما وكونهما شخصاً واحداً من غير أن يدقّق في ذلك. ولعلّه لم يخطر على الأذهان وجود أكثر من طفل صغير ولم يبلغ الحلم تعرّض للسهام يوم عاشوراء في ساحة كربلاء واستشهد على أيدي العتاة اليزيديّين.

مع أنّ هناك أكثر من عشرة أشخاص من بني هاشم ممّن هم من شهداء كربلاء، ولم يأت ذكرهم في زيارة الناحية المقدّسة، ومن المعلوم أنّ زيارة الناحية لم يكن غرضها إحصاء جميع الشهداء، بل كان غرضها الإشارة إلى أسماء الأجلاء والأعلى شأناً بينهم.

ويعلم من كلمة الإمام السجّاد عليه السلام عندما قال: «**ذبحت أطفالنا**»، أنّ ذبح الأطفال في كربلاء لم يقتصر على طفل واحد.

---

(١) شهيد المحراب العلّامة المحقّق السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ، أوردها في ملحقات كتابه بالفارسيّة: «**تحقيق در باره أول أربعين سيّد الشهداء عليه السلام**».

ويتّضح بعد الدّقة في أحوال أولئك الأطفال وبالأخصّ طفلي الإمام عليه السلام الصغيرين: «**عبد الله الرضيع**» و «**عليّ الأصغر**» أنّه تمّ الخلط بينهما. فنقلوا الحالات المختصّة بأحدهما إلى الآخر ممّا أدّى إلى الاشتباه بينهما.

أمّا عبد الله فيتّضح من خلال لقبه: «**الرضيع**» أنّه كان لا زال يرضع، وكذلك يتّضح من تصريح الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد وإعلام الورى، أنّ الإمام عليه السلام جلس أمام الخيم وطلب ذلك الطفل من النساء، وقد تحدّث السيّد، كما ذكر في اللهوف، بأنّ زينب الكبرى عليها السلام جاءته بالصبيّ لكي يودّعه وأمّه رباب بنت امرئ القيس واسمه عبد الله وله من العمر ستّة أشهر، ولمّا قتل عبد الله بن الحسين عليه السلام كانت أمّه الرباب واقفة بباب الخيمة[١]. وعندما أصاب سهم حرملة رقبة الطفل، كم تغيّر حال نساء بيت العصمة ومخدّرات حرم الإمام عليه السلام؟! الله العالم.

ينقل أبو الفرج الأصفهانيّ- مسنداً- أنّ الإمام الحسين عليه السلام طلب طفلاً وأجلسه في حجره ثمّ رمى عقبة بن بشير سهماً ذبحه به.

ويظهر من عبارة أبي الفرج الأصفهانيّ وكذلك من عبارات العظماء أمثال الشيخ المفيد قدس سره حيث قال: (فأجلسه في حجره)[٢]، أنّ الإمام عليه السلام قد أجلس ذلك الطفل في حجره ويبعد بالاعتبار العاديّ أن يجلس الرضيع في حجر الإنسان- فكما سيأتي نقله- لا بدّ أن يكون الطفل، بحسب العادة، أكبر سناً ليتمكّن الإمام عليه السلام من إجلاسه في حجره المبارك.

ويقول الشيخ المفيد قدس سره إنّ الإمام عليه السلام جاء بجسد عبد الله ووضعه بين شهداء أهل بيته: ثمّ حمله حتّى وضعه مع قتلى أهله[٣].

وعبد الله الرضيع الذي أصاب السهم نحره فذبحه أمام أعين النساء ومخدّرات أهل بيت العصمة وأمّه جالسة، دفعه الإمام إلى أخته زينب الكبرى عليها السلام،

(١) ذخيرة الدارين، ص ١٤١، ط: النجف.
(٢) الإرشاد ص ٢٥٤.
(٣) الإرشاد ص ٢٥٤.

ثمّ ملأ كفّيه من دم الطفل ورمى بهما إلى السماء كما جاء في اللهوف، أو بقول آخر: أنّه: «**صبَّه في الأرض**» كما جاء في الإرشاد للشيخ المفيد قدس سره وتاريخ الطبريّ.

يقول السيّد قدس سره في اللهوف: إنّ الإمام رأى مصارع أحبّته فنادى: «**هل من معين يعيننا؟**».

وقال: فارتفعت أصوات النساء بالعويل فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب عليها السلام: «**ناوليني ولدي الصغير حتّى أودّعه**»، فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملة بن كاهل بسهم فوقع في نحره فذبحه فقال لزينب: «**خذيه**»، ثمّ تلقّى الدم بكفّيه فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثمّ قال: «**هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله تعالى**». قال الباقر عليه السلام: «**فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض**»[1].

امتلأت كلتا كفّي الإمام عليه السلام المباركتين من دماء الطفل بعد أن أعطاه لأخته، وقد أخذت الطفل من الإمام بعد أن امتلأت كفّاه فرمى بهما نحو السماء كما تقتضيه العادة والاعتبار، فلو كان الطفل لم يزل بين يدي أبي عبد الله عليه السلام فلا يمكن أن تمتلئ كفّاه دماً والطفل ينتظر، إلّا أن تكون كفّاً واحدة، فامتلاء كلتا الكفّين شاهد على أنّ هذا العمل قد حصل بعد أن أعطى الطفل لأخته زينب الكبرى عليها السلام، كما صرّحت به عبارة السيّد قدس سره في اللهوف، وتمّ نقله آنفاً.

ولم يرد في عبارة الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد، والسيّد قدس سره في اللهوف، ذكر لعطش الطفل «**عبد الله الرضيع**» والمذكور فقط أنّ الإمام عليه السلام تقدّم نحو الخيم وطلب الطفل ليودّعه ويقبّله، فرماه حرملة بسهم في هذه الأثناء.

يقول سبط بن الجوزيّ في تذكرة الخواصّ:

فالتفت الحسين عليه السلام فإذا بطفل له يبكي عطشاً فأخذه على يده وقال: «**يا قوم، إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل**»، فرماه رجل منهم بسهم فذبحه، فجعل الحسين يبكي ويقول: «**اللهمّ احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا**»،

(١) اللهوف، ص ٦٦، طبعة صيدا.

فنودي من الهواء: «**دعه يا حسين، فإنّ له مرضعاً في الجنّة**»[١].

إنّ الطفل الذي لم يذكر سبط بن الجوزيّ اسمه، والذي بيَّن إصابته بالسهم، كان يبكي من العطش حيث أخذه الإمام عليه السلام على يده المباركة، ثمّ خاطب القوم الظالمين المتوحّشين: «**إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل!**»، فرماه رجل منهم بسهم فذبحه.

إنّ هذا الوضع الذي يحكي عن وجوده في مقابل القوم يغاير قضيّة (عبد الله الرضيع) لأنّ هذا الطفل الذي حمله الإمام عليه السلام مقابل القوم هو عليّ الأصغر الذي كان يبكي من العطش حيث جاء به الإمام ليطلب له الماء، عندها خاطب القوم: «**إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل!**» فجعلوه هدفاً لسهامهم. ومن هنا يظهر الخلط بين حالات هذين الطفلين وأنّ النداء السماويّ الذي خاطب الإمام عليه السلام «**دعه يا حسين، فإنّ له مرضعاً في الجنّة**»، خاصّ بعبد الله الرضيع حيث دفع الإمام عليه السلام الطفل لأخته زينب بمجرّد سماعه النداء، وبما أنّ الأمور قد اختلطت ببعضها البعض، لذلك شاهدنا سبط بن الجوزيّ يذكر هذه الأمور حول عليّ الأصغر.

أمّا عليّ الأصغر فلم يكن رضيعاً حيث قال بعضهم: إنّ له من العمر أربع سنوات، ويبدو من خلال صلاة الإمام عليه السلام عليه أنّ له من العمر ستّ سنوات[٢]، وقيل أكثر من هذا أيضاً[٣].

ومعنى ذلك النداء السماويّ هو: أن يا حسين اترك الرضيع، لذلك تركه الإمام عليه السلام فوراً وأعطاه لأخته زينب الكبرى عليها السلام وقال: «**يا أختاه خذيه**». لقد تلقّى الطفل السهم في عنقه أمام نساء أهل بيت العصمة، وأمام والدته الرباب والله تعالى يعلم ما هو حال وأوضاع مخدَّرات أهل بيت العصمة من مشاهدة

---

(١) تذكرة الخواصّ، ص ٢٥٢.

(٢) يقول المحقّق الخواجة نصير الدّين الطوسيّ قدس سره في نقد المحصّل أنّ أحد أبناء الإمام عليه السلام الذي استشهد في يوم عاشوراء واسمه عليّ كان له من العمر سبع سنوات، ص ١٧٩، ط: مصر.

(٣) عبد الله الرضيع، تأليف كاظم الحلفيّ، ص ١٧، ط: النجف (١٣٧٦) هـ.

ذلك المنظر الأليم الذي ينفطر له القلب! وبمقتضى البعد البشريّ فإنّ محبّة الأولاد كانت تأخذ طريقها إلى قلب الإمام عليه السلام المبارك ولذا جاءه النداء فوراً: يا حبيبي لا تسمح لمحبّة الأولاد عن طريق إصابتهم بالسهام أن تأخذ طريقها إلى قلبك المملوء بمحبة الله تعالى أبداً، بل اتركها وأخرجها من قلبك، لأنّ له مرضعاً في الجنّة وما عليك إلّا أن تشتغل بمحبّتي لتنصرف عن كلّ شيء حتّى عن الأولاد في سبيل ديني. لذلك خاطب الإمام عليه السلام أخته فوراً: «**خذي الطفل**»، ودفعه إليها.

وليس معنى ذلك النداء ما يقوله بعضهم: إنّ المقصود أن اترك الطفل أرضاً لتخرج روحه فإنّ له مرضعاً في الجنّة، وذلك كما أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حول ابنه إبراهيم عليه السلام: «**إنّ له مرضعاً في الجنّة**»[١].

يقول محمّد بن طلحة الشافعيّ في مطالب السؤول:

كان له عليه السلام ولد صغير فجاءه سهم فقتله فرمّله عليه السلام بدمه وحفر له بسيفه وصلّى عليه ودفنه، وقال هذه الأبيات: «**غَدَرَ الْقَوْمُ وَقِدَماً رَغِبُوْا** ...» إلخ.

ثمّ قال: أمّا عليّ الأصغر فجاءه سهم وهو طفل فقتله، و قد تقدّم ذكره عند الأبيات لمّا قتل[٢].

يقول الخوارزميّ أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّيّ أخطب خوارزم المتوفّى عام (٥٦٨ هـ) في كتاب مقتل الحسين عليه السلام:

فتقدّم إلى باب الخيمة وقال: «**ناولوني عليّاً الطفل حتّى أودّعه**»، فناولوه الصبيّ فجعل يقبّله ويقول: «**ويل لهؤلاء القوم إذا كان خصمهم جدّك محمّد** صلى الله عليه وآله وسلم» فبينما الصبيّ في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسديّ، لعنه الله، بسهم فذبحه في حجره، فتلقّى الحسين عليه السلام دمه حتّى امتلأت كفّه ثمّ رمى به نحو السماء وقال:

---

(١) يراجع الإصابة ترجمة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهذيب الأسماء للنوويّ، ج ١، ص ١٠٢.
(٢) مطالب السؤول، ص ٧٣.

«**اللهمّ إنْ حبست عنّا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا**». ثمّ نزل الحسين عليه السلام عن فرسه وحفر للصبيّ بجفن سيفه ورمّله بدمه ثمّ صلّى عليه ودفنه، ثمّ وثب قائماً وركب فرسه ووقف قبالة القوم مصلتاً سيفه بيده آيساً من نفسه، عازماً على الموت، وهو يقول: «**أَنَا ابْنُ عَلِيِّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ** ...»إلخ[1].

ومن خلال الدقّة في عبارات الخوارزميّ يظهر وجود خلط بين قضيّة عبد الله الرضيع وقضيّة عليّ الأصغر، لأنّهم اعتبروهما شخصاً واحداً، فنقلوا ما يتعلّق بهما معاً. وبناءً على ما صرّح به الأعاظم كالشيخ المفيد (ره) والآخرين فإنّ الإمام عليه السلام عند وداع عبد الله الرضيع جلس على الأرض أمام الخيم وطلب الطفل للوداع، ولكنّ الخوارزميّ، ومع أنّه أشار إلى هذا الأمر، إلّا أنّه أضاف أنّ الإمام عليه السلام ترجّل عن الفرس بعد إصابة الطفل، وحفر بسيفه الأرض، ودفن الطفل والدماء عليه. وقد صرّح الخوارزميّ- كما في النسخة الخطّيّة-[2] ومحمّد بن طلحة الشافعيّ أنّه دفنه، وكلاهما صرّحا بأنّ الإمام عليه السلام صلّى على ذلك الطفل.

الواضح أنّ قضايا هذين الطفلين قد اختلطت ببعضها: الإمام عليه السلام جالس على الأرض عند وداع عبد الله الرضيع، وراكب على الفرس أمام العسكر عند إصابة عليّ الأصغر بالسهم فطلب الماء له، ثمّ ترجّل عن الفرس، ثمّ صلّى عليه. من المفيد هنا ذكر عين عبارات الشيخ الأعظم المفيد قدس سره.

جاء في الإرشاد:

ثمّ جلس الحسين عليه السلام أمام الفسطاط فأُتي بابنه عبد الله بن الحسين عليه السلام وهو طفل، فأجلسه في حجره فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام

(١) مقتل الخوارزميّ، ج ٢، ص ٣٢، ط النجف وبعد مقارنة العبارة الواردة في المتن بالنسخة الخطيّة لمقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ التي استنسخت في العام (٩٨٦) هـ ق، يظهر وجود كلمتين أو ثلاث زائدة في النسخة الخطيّة على المطبوعة، كذلك جاء في النسخة المخطوطة قبل الشعر: أنا ابن عليّ الخير... إلخ نقل الأشعار: كفر القوم وقدماً رغبوا- عن ثواب الله ربّ الثقلين... إلخ إلى (١٩) بيت شعر ثمّ شرع بنقل: أنا ابن عليّ الخير... إلخ كما قام في مطالب السؤول بنقل أشعار كفر القوم...إلخ في قضية عليّ الأصغر.

(٢) لا توجد عبارة: ودفنه في النسخة المطبوعة لمقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ راجع المجلّد ٢، ص ٣٢، ط النجف إلّا أنّها موجودة في النسخة الخطّيّة المكتوبة عام (٩٨٦) هـ ق.

دمه في كفّه، فلمّا امتلأت كفّه صبّه في الأرض ثمّ قال: «**يا ربّ إن يكن حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه، وانتقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين**»، ثمّ حمله حتّى وضعه مع قتلى أهل بيته[١].

إنّ جلوس الإمام عليه السلام أمام خيم الطاهرات لوداع الطفل، وإصابة ذلك الطفل بسهم أمام أعين النساء والمخدّرات من حرم الإمام عليه السلام، (هو قضيّة أخرى) غير ذلك الطفل الذي كان يبكي من شدّة العطش، وقد أتى به الإمام عليه السلام مقابل العسكر وقال لهم: «**إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل**».

فالأوّل هو عبد الله الرضيع، والثاني عليّ الأصغر.

ويظهر من صلاة الإمام عليه السلام على ذلك الطفل الذي أصابه السهم، ونزول الإمام عليه السلام عن الفرس ليحفر الأرض بسيفه ويصلّي عليه ويدفنه أنّه عليّ الأصغر الذي قيل إنّ عمره آنذاك كان ستّ سنوات؛ لأنّ الظاهر من صلاة الإمام عليه السلام عند إرادة دفن الطفل هو الوجوب، والصلاة لا تجب على الطفل الذي يقلّ عمره عن ستّ سنوات واستحباب الصلاة على الطفل الذي لم يبلغ ستّ سنوات غير معلوم، وإن أفتى بها بعضهم، إلّا أنّ التحقيق أنّه محلّ إشكال، والاستحباب غير ثابت، إلّا أن تؤتى برجاء المطلوبيّة. وما يرد من احتمالات على بعض الأذهان حول الصلاة على عليّ الأصغر، فهي مشكوك فيها والأصل عدمها.

ولم يتعرّض السيّد المحقّق المعاصر قدس سره لموضوع اتحاد الطفلين أو تعدّدهما في كتاب مقتل الحسين عليه السلام فخلط بين حالاتهما، كما فعل الآخرون وقال:

ودعا بولده الرضيع يودّعه، فأتته زينب بابنه عبد الله[٢] وأمّه الرباب، فأجلسه في حجره يقبّله[٣] ويقول: بُعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدّك المصطفى خصمهم[٤]،

(١) الإرشاد، ص ٢٥٤، ط: تبريز.

(٢) سمّاه ابن شهرآشوب في المناقب، ج ٢، ص ٢٢٢ عليّ الأصغر وذكر السيّد ابن طاووس في الإقبال زيارة للحسين عليه السلام يوم عاشوراء وفيها: صلّى الله عليك وعليهم وعلى ولدك عليّ الأصغر الذي فجعت به.

(٣) اللهوف، ص ٦٥، الشيخ المفيد قدس سره. ذكر أنّ الطفل أصيب بسهم وهو في حجر الإمام عليه السلام ثمّ يقول السيّد المعاصر: ثمّ أتى به نحو القوم... إلخ. فكيف يكون ذلك؟

(٤) البحار، ج ١٠، ص ٢٠٣ ومقتل الخوارزميّ، ج ٢، ص ٣٢.

ثـمّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسديّ بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام الدم بكفّه ورمى به نحو السماء.

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «**فلم يسقط منه قطرة**»[١] وفيه يقول حجّة آل محمّد عجّـل الله فرجـه: «**السلام على عبـد الله الرضيـع، المرميّ الصريـع، المتشحّط دمـاً، والمصّعـد بدمه إلى السماء، المذبوح بالسهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسديّ وذويه**». (زيارة الناحية).

ثمّ نقل أبياتاً من الشعر وقال: ثمّ قال الحسين عليه السلام: «**هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله تعالى، اللهمّ لا يكون أهون عليك من فصيل، إلهي إن كنت حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهمّ أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمّد** صلى الله عليه وآله وسلم»، وسمع عليه السلام قائلاً يقول: «**دعه يا حسين فإنّ له مرضعاً في الجنّة**»[٢]، ثمّ نزل عليه السلام عن فرسه وحفر له بجفن سيفه ودفنه مرمّلاً بدمه وصلّى عليه[٣]، ويقال: وضعه مع قتلى أهل بيته[٤].

لقـد تمّ مزج قضايا عبد الله الرضيع وعليّ الأصغر ببعضها، فكيف تصحّ مسألة الصـلاة على الطفل الذي ينبغي أن يكون قد بلغ، في أقلّ الحالات، ستّ سنوات، مع الصلاة على الطفل الرضيع؟ وأمّا القول بأنّ الإمام عليه السلام قد وضع الرضيع مع قتلى أهل البيت، والذي ذكر في الكتب المعتبرة أمثال الإرشاد للشيخ المفيد قدس سره ومثير الأحـزان لابـن نما قدس سره وإعلام الـورى للطبرسيّ قدس سره فهو يتنافـى وبشكل صريح

(١) في مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢، ص ٢٢٢: لم يرجع منه شيء وذكر ابن نما في مثير الأحزان ص ٣٤ والسيّد في اللهوف ص ٤٤ رواية الباقر عليه السلام وذكر ابن كثير في البداية ج ٨ ص ١٨٤ والقرمانيّ في أخبار الدول ص ١٠٨ ومقتل الخوارزميّ ج ٢ ص ٣٢: رمى به نحو السماء قال ابن كثير والذي رماه بالسهم رجل من بني أسد يقال له: ابن موقد النّار. ونقل الطبريّ رواية الإمام الباقر عليه السلام في التاريخ الكبير فقال: قال أبو مخنف قال عقبة بن بشير الأسديّ قال لي أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام: «**إنّ لنا فيكم يا بني أسد دماً**»، قال قلت: فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر وما ذلك؟ قـال: «**أتـى الحسيـن بصبيّ له فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهـم فذبحه فتلقّى الحسين دمه فلمّا ملأ كفّيه صبّه في الأرض ثمّ قال ...**» إلخ. ج ٣، ص ٣١٢، القاهرة مطبعة الإستقامة سنة: (١٣٥٨) هـ.

(٢) تذكرة الخواصّ، ص ١٤٤ والقمقام لفرهاد ميرزا، ص ٣٨٥.

(٣) مقتل الخوارزميّ، ج ٢، ص ٣٢، والإحتجاج للطبرسيّ قدس سره، ج ٢، ص ٢٥، ط: النجف.

(٤) الإرشاد ومثير الأحزان.

مـع الصلاة على الطفـل ودفنه والحقيقة أنّه لا يصحّ نقـل قضايا متناقضة في حقّ شخص واحد.

حـاول السيّـد المعاصر، رحمـه الله، الجمع بيـن إصابة الطفـل بالسهم أمام الخيـم والإتيان به إلـى ساحة المعركة أمـام جيش الضلال، وطلـب الماء له، مع العلم أنّ صريح عبـارات الشيخ المفيد قدس سره والطبرسيّ قدس سره والآخرين تدلّ على أنّ الإمـام عليه السلام جـاء إلى أمـام الخيم، وجلـس على الأرض، وطلـب وداع الطفل الرضيـع، ثـمّ أُصيب بالسهم عندما كان الإمام جالسـاً (ثمّ جلس الحسين عليه السلام أمام الفسطاط)[1].

نقـل السيّد المعاصر تلك العبارات، التي يظهر منها أنّ الإصابة بالسهم حصلت أمـام الخيـم حيـث لا تتلاءم هـذه الواقعة مـع المجيء إلـى ساحة المعركـة أمام المعسكر.

بنـاءً على مـا تقدّم فإنّ الذي يدعونا إلـى الاطمئنان هو أنّ «**علـيّ الأصغر**» غير «**عبـد الله الرضيـع**» وحالاته تختلف عن عبد الله الرضيـع، لأنّه وبعد مدّة، تمّ جمع قضايـا حادثة كربلاء من قبـل أشخاص مطّلعين عليها، لذلك وقـع ما نشاهده من اشتبـاه، كما هو الحال مع أمثال حميد بن مسلم، وهو من أتباع جيش عمر بن سعد، الذي سجّل أحداث يوم عاشوراء ونقل قضايا كربلاء.

وللإمـام عليه السلام طفل وُلد يوم عاشـوراء من أمّه فتوهّم البعض أنّه عليّ الأصغر وعبد الله الرضيع، فما هي المناسبة ليكون الطفل الذي وُلد في ساعة ظهر عاشوراء هو بنفسه ذَيْنِكَ الطفلين؟

وقد صرّح ابن واضح اليعقوبيّ قدس سره المتوفّى عام (٢٩٢ هـ)، في تاريخه، والذي هـو من أقدم الكتـب التاريخيّة، بولادة ذلـك الطفل في يوم العاشـر، وقال صاحب «**الحدائـق الورديّـة**» وهـو من علماء الزيديّـة، أنّ والدة الطفل هـي أمّ إسحاق بنت

(١) الإرشاد، ص ٣٥٤ وإعلام الورى، ص ٢٤٣، ط: طهران، مطبعة حيدريّ.

طلحة بن عبيد الله التيميّة، وهي والدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام زوجة الحسن المثنّى رضوان الله عليه.

أمّا عبارات اليعقوبيّ قدس سره في حالات الإمام، فيقول:

ثمّ تقدّموا رجلاً رجلاً حتّى بقي وحده، ما معه أحد من أهله ولا ولده ولا أقاربه، فإنّه لواقف على فرسه إذ أُتي بمولود قد ولد له في تلك الساعة فأذّن في أذنه وجعل يحنّكه، إذ أتاه سهم فوقع في حلق الصبيّ فذبحه فنزع الحسين عليه السلام السهم من حلقه وجعل يلطّخه بدمه، ويقول: «**والله لأنت أكرم على الله من الناقة، ولمحمّد أكرم على الله من صالح**»، ثمّ أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه[1].

يتّضح من العبارة المنقولة أنّ الإمام عليه السلام كان على ظهر فرسه فجاءوا بالطفل المولود حديثاً، فأذّن الإمام في أذنه فجاءه السهم ثمّ إنّ الإمام عليه السلام تكلّم، بعد إصابة السهم للطفل الحديث الولادة، بكلمات غير الكلمات التي تحدّث بها أثناء إصابة عبد الله الرضيع وعليّ الأصغر، إلّا أنّ صاحب الحدائق الورديّة ذكر مسألة المولود الجديد لكنّه خلط بينه وبين عبد الله الرضيع، ثمّ ذكر رواية الإمام الباقر عليه السلام التي أراد بها عبد الله الرضيع حول هذا الطفل المولود حديثاً، لا بل أطلق على الطفل الجديد اسم عبد الله الرضيع.

تحدّث السيّد الجليل عبد المجيد الحائريّ قدس سره في ذخيرة الدارين مشيراً إلى الأسماء التي لم تذكرها زيارة الناحية المقدّسة لبني هاشم، وقال: إنّ منهم عبد الله الرضيع الذي وُلد يوم عاشوراء أثناء الظهر، حسب ما روى صاحب «**الحدائق الورديّة**»:

قال: وُلد للحسين عليه السلام في الحرب وأمّه أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّة، زوجة الحسين عليه السلام فأُتي به وهو قاعد فأخذه في حجره، ولبّاه بريقه وسمّاه عبد الله، فبينما هو كذلك إذ رماه عبد الله بن عقبة الغنويّ، وقيل: هاني

(١) تاريخ اليعقوبيّ قدس سره، ج ٢، ص ٢١٨، ط: النجف.

بـن ثبيت الحضرميّ بسهم فنحـره، فأخذ الحسين عليه السلام دمه فجمعه ورمى به نحو السمـاء، فمـا وقع منه قطرة إلى الأرض، قال فضيل: وحدّثني أبو الـورد، أنّه قال: سمعـت أبا جعفـر عليه السلام يقول: «**لو وقعـت منه إلـى الأرض قطرة لنـزل العذاب**»، انتهى كلام صاحب الحدائق[١].

أمّـا المعتمد عليه في قضيّـة ولادة الطفل الجديد يوم عاشوراء، فهو ما نقله ابن واضـح اليعقوبيّ رحمـه الله على أساس أنّ مـا كتبه هو أقدم كتـب التاريخ وأقربُها زمانـاً إلـى الذين دوّنوا حادثة عاشوراء، حيث نقل عمّـن كتب بعد مائتي سنة منها، ومع ذلك خلط صاحب «**الحدائق الورديّة**» قضايا وحالات الأطفال ببعضها البعض، والله العالم.

أشار السيّد الأجل شاعر أهل البيت عليهم السلام السيّد حيدر الحلّي قدس سره إلى المولود الحديث في أبياته فقال:

لَـهُ اللهُ مَفْطُوراً مِنَ الصَّبْرِ قَلْبُهُ ... وَلَـوْ كَـانَ مِـنْ صُـمِّ الصَّفَا لَتَفَطَّرَا
وَمُنْعَطِفٍ أَهْـوَى لِتَقْبِيلِ طِفْلِهِ ... فَقَبَّلَ مِنْـهُ قَبْلَـهُ السَّـهْمُ مَنْحَـرَا
لَقَدْ وُلِـدَا فِـي سَـاعَـةٍ هُـوَ وَالـرَّدَى ... وَمِنْ قَبْلِهِ فِيْ نَحْرِهِ السَّهْمُ كَبَّرَا [٢]

يتّضـح ممّا تقدّم، وبعد الدقّـة والتأمّل، أنّ عليّ الأصغر غيـر عبد الله الرضيع. ويتّضـح أنّ الذين قالوا بأنّ من أولاد سيّد الشهداء عليه السلام عليّاً الأكبر، وقد استشهد فـي كربـلاء، وله من العمر حسب ما ذكـر في المقاتل ثمانيَ عشـرة سنة، حيث تمّ تصحيف وتحريف عبارة (ثمان وعشرين) فأصبحت في المقاتل (بثمانيَ عشرةَ). وأمّـا الإمام السجّـاد عليه السلام فهو عليّ الأوسـط وعليّ الأصغر هـو ذاك الطفل الذي أتـى بـه الإمام عليه السلام إلى ساحة الحـرب يطلب له الماء وهو الذي قـال فيه: «**إنْ لم**

(١) ذخيرة الدارين، ج ١، ص ١٦١، ط: النجف.
(٢) ديوان السيّد حيدر الحلّي قدس سره، ج ١، ص ٨٠، ط: النجف (١٣٦٩) هـ.

ترحمونـي فارحمـوا هذا الطفل». وقد نقل سبط بن الجـوزيّ ذلك وصرح به، وهو المشهور بين الشيعة.

ذكـر محـبّ الطبريّ في ذخائر العقبـى، أنّ ثلاثة من أولاد سيّـد الشهداء كانوا فـي كربلاء وكلّهم يحمل اسم (عليّ) وأوضح أنّ عبد الله غير عليّ الأصغر[١]. يقول الخواجة نصير الدّين الطوسيّ في كتاب «**نقد المحصّل**»: «**... أمّا ما قالوا: إنّ زين العابدين بعد الحسين كان صبيّاً فليس كذلك، لأنّه كان ابن ثلاث وعشرين سنة، وإنّمـا لـم يحارب يـوم الطفّ لأنّه كان مريضاً. وكان للحسيـن ابن آخر اسمه عليّ أيضاً، وكان له سبع سنين قتل ذلك اليوم**[٢]».

الواضح أنّ للإمام عليه السلام طفلاً آخر يبلغ من العمر سبع سنين، هو عليّ الأصغر، وهو غير عليّ الأكبر الذي يكبر الإمام السجّاد عليه السلام أيضاً.

أمّـا تهجّـم صاحب قاموس الرجال على محمّد بـن طلحة الشافعـيّ، في كتاب مطالب السؤال حيث ادّعى أنّ للإمام عليه السلام ثلاثة أبناء باسم (عليّ) حسب الترتيب الذي تقدّم، وأنّ ادعاءه من الغرائب فهو ممّا لا يُعتبر ولا يُلتفت إليه.

يتّضح ممّا تمّ نقله، منذ البداية إلى الآن، أنّ البعض صرّحوا باسم (عليّ الأصغر) والأمـر غير محصـور بصاحب مطالب السـؤول والشيخ ابـن شهرآشوب قدس سره كما تصوّر صاحـب قاموس الرجال، وفي عبارات الزيـارة التي نقلها ابن طاووس قدس سره في الإقبال، تصريح باسم (عليّ الأصغر) وهو أفضل شاهد على المدّعى[٣].

أمّـا أن يكون الأطفال عرضة للسهام حيث يذبحون بها فليس ممّا يدعو للتعجّب، لأنّ يـوم العاشـر كلّ من خرج من أهل الحـرم والأطفال من الخيـام تعرّض لسهام الأعـداء ونبالهم حتّـى إنّ النساء لو خرجـن من الخيم لتعرّضـن لذلك، حيث كان

(١) محبّ الطبريّ في ذخائر العقبى- ص ١٥١- ط مصر- وج ٢، ص ٢٠٠- ط: ديار بكر.
(٢) راجع نقد المحصّل ص ١٧٩ ط: مصر.
(٣) إقبال الأعمال، ص ٥٧٢.

الأعداء لا يبخلون بالسهام عليهنّ، فكنّ إذا خرجن يرجعن فوراً إلى الداخل[١].

لا يخفى على أحد أنّ بعض العبارات التي نُقلت في تاريخ الطبريّ حول قضيّة عبد الله الرضيع وإصابته، أصبحت مستمسكاً بأيدي البعض الجاهل الذي حملها ليعلن من خلالها أنّ قضيّة الطفل الشهيد المظلوم لا واقع لها، على أساس أنّ الطبريّ قد أشار إليها بعبارة (زعم) ثمّ قال: قال: ولمّا قعد الحسين عليه السلام أُتي بصبيّ له فأجلسه في حجره، زعموا أنّه عبد الله بن الحسين... إلخ.

ثمّ قال بعد أسطر عدّة: وزعموا أنّ العبّاس بن عليّ قال لإخوته[٢]... إلخ وتستعمل كلمة (زعم) إذا كانت المطالب مخالفة للواقع، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ زعم في المعنى المخالف للواقع. ولكن لا بدّ من معرفة أنّ كلمة (زعم) في عبارات الطبريّ تعني (قال) فعندما يقول الطبريّ: (زعموا) فهذا يعني (قالوا).

يقول الفيّومي في المصباح المنير: زعم زعماً من باب قتل، وفي الزعم ثلاث لغات... ويطلق بمعنى القول، ومنه زعمت الحنفيّة، وزعم سيبويه، أي قال.

يقول ابن منظور في لسان العرب: زَعَمَ زَعْماً وزُعْماً وزِعْماً أي قال... وبالعودة إلى بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام يظهر أنّ لفظ (زعم) استُعمل في لسان الرواة وأعاظم المحدّثين، لا بل نُسب استعمال اللفظ إلى الإمام عليه السلام مع أنّهم لم ينسبوا ما هو خلاف الواقع إلى الإمام عليه السلام على الإطلاق، فهذا يعني أنّ مقصودهم غير المعنى المشهور للفظ (زعم).

بحث استطرادي حول كلمة «زعم»:

وهنا، وتعميماً للفائدة، لا بأس بذكر ما في هذا الشأن في بعض المجموعات الفقهيّة والأصوليّة التي ما زالت عن طبعاتها الخطّيّة:

واعلم أنّ ما يوجد في بعض الروايات من أقوال الرواة من نسبة الزعم إلى

(١) راجع جنّة المأوى، ص ٢١٧، ط: ١ تبريز.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج ٤، ص ٣٤٢، ط: القاهرة، مطبعة الإستقامة، العام (١٣٥٨) هـ.

المعصوم عليه السلام ليس المراد منه معناه المتداول في الألسن، وهو استعماله في خلاف الواقع، ويطلق في إنكار المقول على ما هو الغالب في استعمال ذلك اللفظ في المعنى المذكور فإنّه كثيراً ما يوجد ذلك في روايات الأعاظم ولسانهم من أصحاب الأئمّة عليهم السلام الذين لهم التقدّم في العلوم والمعارف الدّينيّة ومقامهم أجلّ وأسمى من أن ينسبوا إلى الإمام عليه السلام التكلّم على خلاف الواقع، بل مرادهم من ذلك استعمال لفظ «**زعم**» بمعنى «**قال**» أو ما أشبه ذلك.

ومن تلك الأخبار التي وقعت فيها هذه الكلمة، موثّقة ابن بكير التي رواها ثقة الإسلام عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن بكير، قال: سأل زرارة أبا عبد الله عليه السلام عن الصلاة في الثعالب والفنك والسنجاب وغيره من الوبر، فأخرج كتاباً زعم أنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... إلخ وابن بكير هو عبد الله بن بكير الذي نقل الشيخ الكشّيّ (ره) إجماع العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه، وإقرارهم له بالفقه، وعن الشيخ العيّاشيّ (ره) أنّه من فقهاء أصحابنا وعن الشيخ (ره) في العدّة: إنّ الطائفة عملت بما رواه ابن بكير. وهو وإنّ كان فطحيّ المذهب إلّا أنّ علماءنا الرجاليّين وثّقوه، كما صرّح به العلّامة (ره) في المختلف حيث قال: إنّ عبد الله بن بكير، وإن كان فطحيّ المذهب، إلّا أنّ المشايخ وثّقوه، قال ذلك في مسألة تبيّن فسق الإمام، فراجع.

وقول الشيخ العيّاشيّ (ره) أنّه من فقهاء أصحابنا، مع أنّه فطحيّ المذهب، فإنّ الفطحيّة بالنسبة إلى الحقّ أقرب من سائر فرق الشيعة، لأنّهم قائلون بإمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام إلّا أنّهم يقولون بإمامة عبد الله الأفطح بين الصادق والكاظم عليهما السلام لشبهة عرضت لهم. وليس حالهم مثل حال الواقفيّة، عن عناد وطمع لحطام الدنيا وزخرفها حيث قالوا بالوقف، طمعاً لأكل الدّينار والدرهم، التي كانت مجتمعة عندهم، ولم تطل أيّام الفطحيّة فإنّ عبد الله مات في مدّة قليلة، ورجع عن القول بإمامته جمع منهم، حيث انكشف الحقّ لديهم، وبقي جمع

قليل قائلين بإمامته بسبب الشبهة الواهية.

فالغرض أنّ ابن بكير وإن كان فطحيّ المذهب، إلّا أنّه رجل فقيه جليل ثقة لا ينسب إلى الإمام عليه السلام الزعم بمعنى خلاف الواقع، فيحصل القطع لنا أنّ مراده من قوله: «**زعم أنّه إملاء رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم» يعني أخرج كتاباً قال إنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويشهد على ما ذكرنا شهادة واضحة رواية عبد الأعلى مولى آل سام الكوفيّ فقد روى في الوسائل عن محمّد بن يعقوب، بسنده عن محمّد بن مالك، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: حدّثني أبو عبد الله عليه السلام بحديث، فقلت له: جعلت فداك أليس زعمت لي الساعة كذا وكذا؟ فقال: «**لا**». فعظم ذلك عليّ فقلت: بلى والله زعمت. قال: «**لا والله ما زعمت**». قال فعظم ذلك عليّ فقلت: بلى والله قد قلته، فقال: «**نعم قد قلته، أما علمت أنّ كلّ زعم في القرآن كذب**».

عبد الأعلى مولى آل سام من أصحاب الصادق عليه السلام كان من أجلّاء متكلّمي الإماميّة، أذن له الإمام الصادق عليه السلام في الكلام.

فقد روى الكشّي (ره) مسنداً عن عبد الأعلى قال قلت: لأبي عبد الله عليه السلام إنّ الناس يعيبون عليّ بالكلام، وأنا أكلّم الناس، فقال: «**أمّا مثلك ممّن يقع ثمّ يطير فنعم، وأمّا من يقع ثمّ لا يطير فلا**».

والظاهر أنّ المراد من قوله عليه السلام: «**مثلك ممّن يقع ثمّ يطير**». يعني مثلك ممّن يلزم الخصم في البحث ويغلب عليه، وكلّما قرب إلزام الخصم له يجد لنفسه مخلصاً ومفرّاً.

ويظهر من ذلك أنّه كان حاذقاً في صناعة الكلام، ماهراً في المجادلة مع المخالفين، فهو مع ما عليه من هذه الجلالة لا يكون غرضه من قوله: «**زعمت**» نسبة خلاف الواقع إلى الإمام عليه السلام حتّى لا يكتفي بذلك، بل يحلف عليه كما هو واضح.

بل غرضه أنّك قلت لي كذا وكذا حيث استعمل لفظ «**زعم**» بمعنى «**قال**» ويكشف من ذلك حلف الراوي عليه وحلف الإمام عليه السلام أيضاً أنّه ما زعم.

وقوله: فعظم ذلك عليّ حيث عظم عليه قول الإمام عليه السلام ما زعمت فإنّه عليه السلام كان قد حدّثه بحديث قبل ذلك فأراد عليه السلام أن ينبّه له أنّ «**زعم غالباً يستعمل في خلاف الواقع وأنّ ما** «**زعم**» كذا وكذا على نحو الاستعمال الغالب وكان مراد عبد الأعلى من قوله: «**زعمت**» يعني «**قلت**» على ما يستعمله أهل العراق في ذلك المعنى، ولكن لمّا كان استعمال هذه الكلمة في القرآن الكريم في الكذب فأراد الإمام عليه السلام أن يردعه عن هذا الاستعمال على اصطلاح الراوي، وأنّه لا ينبغي لمثله هذا الاستعمال، وإن كان استعمال الراوي على خلاف معناه الغالب وبمعنى «**قال**» كما هو عادة أهل العراق، وهو عراقيّ كوفيّ.

ويُستفاد من الرواية شدّة اهتمام الأئمّة عليهم السلام في التأدّب بآداب القرآن، وتعليمهم ذلك على الشيعة وأنّه ينبغي التبعيّة للقرآن في كلّ شيء، حتّى في استعمال الألفاظ والكلمات المتداولة في الألسنة. والله الموفّق.

الطفل الرضيع للإمام الحسين عليه السلام

دراسة حول اسمه وعمره وكيفيّة شهادته [1]

تمهيد:

سنشرع في هذه المقالة بالبحث حول اسم الطفل الرضيع للإمام الحسين عليه السلام، ثمّ نتحدّث عن عمره، مع نقد رأي بعض المصادر المعاصرة حول هذا الأمر. وفي خلال ذلك نعرّج على كيفيّة شهادة هذا الطفل، ونختم بنقد رأي بعض المحقّقين المعاصرين، حيث اعتبر أنّ عليّاً الأصغر وعبد الله اسمان لطفلين اثنين وليس لطفلٍ واحد.

المقدّمة:

إنّ من المصائب الكبرى ليوم عاشوراء والحوادث القطعيّة التي وقعت في ذلك اليوم هو شهادة الطفل الرضيع للإمام الحسين عليه السلام والذي قتل في حضن أبيه بكلّ وحشيّة على يد جنود عمر بن سعد.

بعض المصادر القديمة لم تذكر شيئاً عن اسم هذا الطفل، بينما البعض الآخر منها تحدّث عنه باسم عبد الله بن الحسين عليه السلام أو عبد الله الرضيع. وكذلك فإنّ الكثير من المصادر ساكتة عن بيان عمره.

من ناحيةٍ أخرى نجد أنّ بعض المؤرّخين وأصحاب المقاتل قد بيّنوا بشكل مختصر شهادته وإصابته بسهم بشكل مختصر، والبعض الآخر منهم قال بأنّه أصيب بسهم في حجر أبيه إلى جانب الخيمة، وهناك رأي ثالث يروي أنّ

---

(١) محسن رنجبر، أستاذ مساعد في مؤسّسة الإمام الخمينيّ قدّس سرّه للتعليم والبحوث- قمّ المقدّسة.

الإمـام عليه السلام حمل الطفل قبال معسكر الكوفـة، وبينما كان يخبرهم بعطشه، فإذا بسهم من الأعداء يذبحه بين يدي أبيه، ومضى شهيداً.

ونحـن سنبحـث حول اسم وعمر هـذا الطفل أوّلاً، وذلك استنـاداً إلى المصادر القديمـة (التي كان بعضها ينقل عن البعض الآخـر، أو يختصر الأحداث بينما كان البعض الآخر يفصّلهـا)، ثمّ نعرّج على كيفيّـة شهادته. وفي النهايـة سنقوم بنقد القول والتحليل الذي اختاره بعض المحقّقين المعاصرين حول هذا الموضوع.

اسم الطفل:

ذكـرت المصادر التاريخيّة اسم هـذا الطفل بطرق مختلفة، وبعضها عبّرت عنه (مـن دون ذكر اسم) بعنوان (الصبيّ)[١]، كذلك ورد التعبير عنه في روايةٍ للإمام الباقر عليه السلام [٢]، وفي بعض المصادر الأخرى ورد بعنوان (الصغير)[٣].

وضبطـه الفضيـل بـن الزبير (أحـد أصحـاب الإمام الباقـر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام) مصرّحاً بأنّ اسمه هو «**عبد الله**»[٤].

وروى أبو مخنف في خبرٍ عن حميد بن مسلم، نقلاً عن بعضهم، أنّ اسمه هو عبد الله[٥] إلّا أنّه وفي مكان آخر أورد هذا الاسم مصرّحاً به[٦].

ومن بعد ذلك صرّح المؤرّخون وعلماء الرجال كمحمّد بن حبيب البغداديّ[٧] (م ٢٤٥٠ هـ) والبـلاذريّ[٨] (م ٢٧٩ هـ) وأبي نصر البخـاريّ[٩] (عاش إلى سنة ٣٤١

(١) ابـن سعـد (ترجمة الحسين ومقتله) مجلّة تراثنـا الفصليّة، العدد العاشر، السنة الثالثـة ١٤٠٨ هـ، ص ١٨٢، طبعاً هو يذكر عند البحث حول أولاد الإمام عليه السلام طفلاً قتل باسم عبد الله، (المصدر السابق، ص ١٢٨).

(٢) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٣) أبـو الفـرج الأصفهانيّ، مقاتـل الطالبيّين، ص ٥٩، كمال الدّيـن محمّد بن طلحة الشافعيّ، مطالـب السؤول في مناقب الرسول، ج ٢، ص ٦٦، ابن طاووس اللهوف على قتلى الطفوف، ص ٩٦.

(٤) الفضيـل بـن الزبير بن عمر بن درهم الكوفـيّ الأسديّ (تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام) مجلّـة تراثنا، العدد الثاني، ١٤٠٦ هـ. تحقيق السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ ص ١٥٠.

(٥) الطبريّ المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٩.

(٧) محمّد بن حبيب البغداديّ، المحبر، ص ٤٩١.

(٨) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠٧.

(٩) أبو نصر سهل بن عبد الله البخاريّ، سرّ السلسلة العلويّة، ص ٣٠.

هـ) و أبـي الفرج الأصفهانـيّ[١] (م ٣٥٦ هـ) والطبرانـيّ[٢] (م ٣٦٠ هـ) والقاضي النعمان المصريّ[٣] (م ٣٦٣ هـ) والبلعميّ[٤] (م ٣٦٣ هـ) والشيخ المفيد[٥] (الذي نقـل معظم وقائـع عاشوراء عن أبـي مخنف) وتبعه فـي ذلك الشيـخ الطبرسيّ[٦] والشيخ الطوسيّ[٧] حيث صرّحوا جميعاً أنّ اسم الطفل هو عبد الله.

ومن المصادر المتأخّرة يوجد الكثير ممّن ذكره أيضاً بهذا الاسم[٨].

أمّـا المؤرّخ الأوّل الذي ذكر هذا الطفل باسم (عليّ) فهو ابن الأعثم (م ٣١٤ هـ) وعبّر عنه بعنـوان (عليّ في الرضاع)[٩] وكذلـك الخوارزميّ (م ٣١٤ هـ)- الـذي نقل كثيراً من أخبار مقتله عن ابن الأعثم- عبّر عنه بـ «**عليّ الطفل**» (من دون ذكر الأصغر)[١٠].

ونحـن نجد- حسب ما بأيدينـا من المصادر- أنّ الشخص الأوّل الذي ذكر أحد أولاد الإمـام عليه السلام (إضافة إلى عليّ الأكبر والإمام الرابع عليه السلام وعبد الله) باسم علـيّ الأصغر هو الطبريّ الشيعيّ[١١] (من علماء القرن الرابع)، ومن بعده ذكر ابن

---

(١) أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيّين، ص ٥٩.
(٢) سليمان بن أحمد الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٠٣.
(٣) القاضي النعمان المصريّ، شرح الأخبار، ج ٣، ص ١٧٨.
(٤) أبو عليّ البلعميّ (تاريخنامه طبري)، ج ٤، ص ٧١٠.
(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٠٨- ١٣٥، وله أيضاً: الاختصاص، ص ٨٣.
(٦) الطبرسيّ، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ١، ص ٤٦٦.
(٧) رجال الطوسيّ، ص ١٠٢.
(٨) محمّد بن فتّال النيشابوريّ، روضة الواعظين، ١٨٨، ومن الواضح وقوع الخطأ في النسخة الموجودة لهذا الكتاب، حيث ذكـر أنّ عبـد الله هو من أبناء الإمام الحسن عليه السلام، (أبو منصور أحمد بن علـيّ الطبرسيّ)، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٠٠- ٣٠١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٧٠، السيّد ابن طاووس، الإقبال، ج ٣، ص ٧٤، سبط بن الجوزيّ، تذكرة الخواصّ، ص ٢٥٤، حميد ابـن أحمد بن المحلّى، الحدائق الورديّة، ج ١، ص ٢٠١ و٢٠٨، ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، ص ٥٢، أحمد بن عبد الوهّاب النويريّ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٠، ص ٢٨٦- ٢٨٩، شمس الدّين الذهبيّ، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٢١، ابن كثير الدمشقيّ، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٣- ٢٠٦، ابن صبّاغ المالكيّ، الفصول المهمّة، ص ١٩٧، محمّد بن أحمد الباعونيّ، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب، ج ٢، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج ٤٥، صـ ٦٦، وأمّـا في تاريخ خليفة بن الخيّاط فقد طبع خطأ اسم عبيد الله بدل عبد الله، (تاريخ خليفة بن الخيّاط، ص ١٧٩).
(٩) ابن أعثم الكوفيّ، الفتوح، ج ٥، ص ١١٥.
(١٠) الخوارزميّ، مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٣٧.
(١١) الطبريّ، دلائل الإمامة، ص ١٨١.

خشّاب البغداديّ[١] (م ٥٦٧ هـ) وابن شهرآشوب[٢] (م ٥٨٨ هـ) أنّ اسم هذا الطفل هو (عليّ الأصغر) ومنذ ذلك الحين ظهر هذا الاسم في بعض المصادر المتأخّرة[٣].

عمر الطفل:

فيما يرتبط بعمر هذا الطفل ينبغي القول: إنّ الكثير من المصادر التاريخيّة- وكما سوف نلاحظ من خلال الأخبار الواردة فيها- لم تتعرّض لتحديد عمره، بل اكتفت بالإشارة إليه بعناوين مثل: الصبيّ، الصغير، الطفل، الرضيع. نعم، بعض المؤرّخين وأصحاب المقاتل، كالفضيل بن الزبير الرسّان (عاش إلى زمن الإمام الصادق عليه السلام) واليعقوبيّ (م ٢٨٤ هـ) اعتبر أنّ هذا الطفل قد ولد في يوم عاشوراء[٤].

وأمّا الروايات التي يمكن الاعتماد عليها والتي أشارت إلى عمر هذا الطفل فهي مختلفة ومتفاوتة فيما بينها، ولذا يجب الاعتراف بأنّه لا يوجد أيّ طريق للجمع بينها، وهذه الروايات هي كالآتي:

الرواية الأولى- بحسب التسلسل الزمنيّ - هي رواية محمّد بن سعد (م ٢٣٠ هـ) التي تتحدّث عن ولد للإمام الحسين عليه السلام يبلغ من العمر ثلاث سنوات قتله عقبه

---

(١) عبد الله بن نصر بن خشّاب البغداديّ، تاريخ مواليد الأئمّة عليهم السلام ووفياتهم، ص ٢١، وهو يعتبر أنّ للإمام عليه السلام من الذكور ستّة ومن الإناث ثلاثاً ومن بين أولئك الستّة (عليّ الأصغر).

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ١١٨، وقد صرّح أيضاً في الكتاب نفسه (ج ٤، ص ١٢٢) أنّ عبد الله قتل في حجر الإمام عليه السلام.

(٣) ابن أعثم الكوفيّ، الفتوح، ترجمة محمّد بن أحمد المستوفيّ الهرويّ، ص ٩٠٨، ابن طلحة الشافعيّ، مطالب السؤول، ج ٢، ص ٦٩، السيّد ابن طاووس، الإقبال، ج ٣، ص ٧١، عليّ بن الحسين الأربليّ، كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٤٨- ٢٤٩، محبّ الدّين الطبريّ، ذخائر العقبى، ص ١٥١، ابن الطقطقيّ، الأصيليّ في أنساب الطالبيّين، ص ١٤٣، الملّا حسين الواعظ الكاشفيّ، روضة الشهداء، ص ٤٢٦، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٣١، وج ٩٨، ص ٣١٤، في البداية ينقل الأربليّ قول عبد العزيز الجنابذيّ الذي يشير إلى اسمي عليّ الأصغر وعليّ الأكبر ويعتبر أنّ عليّاً الأصغر هو الإمام السجّاد عليه السلام إلّا أنّه ينقد هذا الرأي بقوله: الصحيح هو أنّ الإمام عليه السلام كان له ثلاثة أولاد باسم عليّ، والإمام زين العابدين هو الأوسط بينهم كما قال بذلك كمال الدّين محمّد بن طلحة الشافعيّ.

(٤) الكوفيّ الأسديّ، تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام، ص ١٥٠، وتاريخ اليعقوبيّ، ج ٢، ص ٢٤٥.

بن بشر الأسديّ بسهم[١].

واعتبر البلعميّ - وهو من مؤرّخي القرن الرابع - في هامش الحديث عن كيفيّة شهادة الطفل الرضيع، أنّه كان في السنة الأولى من عمره[٢].

والقول الثالث هو لشاعر القرن الرابع الكسائيّ المروزيّ، حيث ذكر في بيت من الشعر أنّ الطفل كان في شهره الخامس:

ذَاكَ الطِّفْلُ ذُوْ الخَمْسَةِ أَشْهُرٍ آهٍ لِحَامِلِهِ مَاذَا فَعَلَ؟

حَتَّى صَارَ مُثْخَناً بِالجِرَاحِ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى قَرْنِهِ[٣]

وكما يُلاحظ فإنّه لا يوجد أيّ طريق للجمع بين هذه الأقوال الثلاثة، وإن كان يمكن ترجيح قول البلعميّ لعدّة أسباب، لأنّ بعض المصادر أشارت إلى أنّ هذا الطفل كان رضيعاً، وهذا لا ينسجم- بحسب العادة- مع قول ابن سعد، وبعض آخر منها ذكرت- كما سيأتي- أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يُقعد هذا الطفل في حجره وهذا لا يتلاءم مع طفل يبلغ من العمر خمسة أشهر فقط (كما هو قول الكسائيّ المروزيّ) لأنّه يلزم- عادةً- أن يكون الطفل الذي يمكن قعوده في حجر أبيه أكبر سنّاً ممّا قاله الكسائيّ.

ومن هنا، نجد أنّ هاتين الميزتين كلتَيْهما تتلاءمان مع القول بأنّ عمر الطفل كان يبلغ سنة كاملة، وإن كان يجب أن نعترف بنكتة مهمّة، وهي أنّ قول البلعميّ مرسل لم يستند فيه إلى رواةٍ ينقل عنهم.

(١) محمّد بن سعد (ترجمة الحسين ومقتله) ص ١٨٢، وتحدّث الذهبيّ أيضاً عن طفل قتل وله من العمر ثلاث سنوات. (شمس الدّين الذهبيّ سير أعلام النبلاء ج ٣ - ص ٣٠٢).

(٢) أبو عليّ محمّد البلعميّ، (تاريخنامه طبري)، ج ٤، ص ٧١٠، إنّ المسألة المهمّة في قول البلعميّ هي أنّ هذا الرأي كان هو المشهور جدّاً (على الأقلّ) بين الإيرانيّين في القرن الرابع، وإن كان هذا الرأي غير مسند بل ذكره البلعميّ مرسلاً. وأشار أيضاً الميرخواند (م ٩٠٣ هـ) إلى عمر الطفل الرضيع وأنّه كان عاماً واحداً، (روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ج ٥، ص ٢٢٥٦).

(٣) آن بنج ماهه كودك، بارى جه كرد ويحك كز باي تا به تارك، مجروح شد مفاجا؟

ذبيح الله صاحبكاري، سيري در مرثيه عاشورايي، (نظرة في مراثي عاشوراء) ص ١٦٩، الكسائيّ المروزيّ (م ٣٩٤ هـ) من شعراء العهد السامانيّ والغزنويّ، وهو أوّل شاعر فارسيّ يكتب قصائد دينيّة، وقد أورد هذا البيت ضمن قصيدة له في شهداء كربلاء.

مناقشة رأي المشهور ونقده:

أمّـا بالنسبة إلى مـا ورد في المصادر القديمة، فيوجد فـي قباله قول آخر حول عمـر هذا الطفل الرضيـع، وهو كونه ذا ستّة أشهر، وقد شاع هذا القول في القرنين الأخيريـن، وصار متـداولاً بحيث أصبـح اليوم ذا شهـرة خاصّة علـى المنابر وفي مجالس العزاء.

حتّـى لقد قام بعضهم، في السنوات الأخيرة، بالاحتفال بيوم ميلاده، حيث إنّهم يرجعـون في الحساب إلى ما قبل عاشوراء (عام ٦١ هـ) ستّة أشهر، فيوافق العاشر من شهر رجب من العام (٦٠ هـ).

بـل إنّ هذا الأمر قد وصـل إلى حدّ طبع تلك المناسبة في بعض التقاويم الدّينيّة بعنوان يوم ولادة هذا الطفل. مع أنّ هذا القول لا يستند إلى أيّ مدرك معتبر، بل إنّ المصـدر الوحيد له هو خبر ورد في كتاب محرّف ومنسوب إلى أبي مخنف[1]، ومن هناك انتقل تدريجيّاً إلى مصادر المعاصرين.

كيفيّة استشهاد الطفل الرضيع:

بالنسبـة إلى كيفيّة استشهـاده فإنّ المصادر القديمة، بشـكل عامّ، تتحدّث عن شهادته، إمّا بين يدي الإمام، أو في حجره إلى جانب الخيام.

يذكـر الفضيل بن الزبير حول هذا الأمـر: عبد الله بن الحسين عليهما السلام، وأمّـه الربـاب بنت امـرئ القيـس بن عديّ بـن أوس بـن جابر بن كعـب بن حكيم

---

(١) هـذه هـي الرواية: (ثمّ أقبل إلـى أمّ كلثوم وقال لها: «**يا أختاه أوصيك بولدي الأصغر خيـراً فإنّه طفل صغير وله من العمـر ستّـة أشهـر**») ص ٨٣ وكما مرّ سابقاً إنّ هذا القول قد وصل إلى بعض المقاتل المعاصرة غير المعتبرة، وأصبحت تدريجيّـاً ومـن خلال تداولها في المجالس الحسينيّة والمحافل مشهورة جدّاً بحيث إنّ مخالفتها تُعَدُّ أمراً مشكلاً (راجع علـى سبيـل المثال: الفاضـل الدربنديّ، إكسير العبـادات، ج ٢، ص ٧٦٣، القنـدوزيّ الحنفيّ، ينابيع المـودّة، ج ٣، ص ٧٩، الميـرزا محمّـد تقـي سبهر، ناسخ التواريخ، ج ٢، صـ ٣٦٣، محمّد مهدي المازندرانيّ، معالـي السبطين، ج ١، ص ٤٢٤، محمّـد باقر الخراسانيّ، الكبريت الأحمـر، ص ١٢٥) وبالمناسبة للوقوف على الجعل والتحريف الواقع في المقتل المنسوب إلى أبي مخنف يراجع: وقعة الطفّ، تحقيق محمّد هادي اليوسفيّ الغرويّ، مقدّمة المحقّق، ص ٢٢- ٢٩.

الكلبيّ[١]، قتله حرملة بن الكاهل الأسديّ الوالبيّ، وكان ولد للحسين بن عليّ عليه السلام في الحرب، فأُتي به وهو قاعد، وأخذه في حجره ولبّاه بريقه، وسمّاه عبد الله، فبينما هو كذلك إذ رماه حرملة بن الكاهل بسهم فَنَحَره[٢]، فأخذ الحسين عليه السلام دمه، فجمعه ورمى به نحو السماء، فما وقعت منه قطرة إلى الأرض. قال فضيل: وحدّثني أبو الورد: أنّه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «**لو وقعت منه إلى الأرض قطرة لنزل العذاب**»[٣].

وقال اليعقوبيّ أيضاً: فإنّه لواقف على فرسه إذ أُتي بمولود قد وُلد له في تلك الساعة فأذّن في أذنه وجعل يحنّكه إذ أتاه سهم فوقع في حلق الصبيّ فذبحه، فنزع الحسين السهم من حلقه، وجعل يلطّخه بدمه ويقول: «**والله لأنت أكرم على الله من الناقة، لمحمّد أكرم على الله من صالح**». ثمّ أتى به فوضعه مع ولده وبني أخيه[٤].

وكتب الطبريّ أيضاً: قال عقبة بن بشير الأسديّ: قال لي أبو جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام: «**إنّ لنا فيكم يا بني أسد دماً**». قال: قلت: فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر؟ قال: «**أُتي الحسين عليه السلام بصبيّ له، فهو في حجره إذ رماه أحدكم، يا بني أسد، بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين دمه، فلمّا ملأ كفّيه صبّه في الأرض ثمّ قال: ربّ إن تكن حبست عنّا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين**»[٥].

وفي خبر آخر نقل عمّار الدهنيّ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ الحسين قال، عندما أصيب الطفل الرضيع بالسهم في حجره: «**اللهمّ احكم بيننا وبين قوم دعونا**

---

(١) ليس المقصود من امرئ القيس الشاعر الذي كان قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله بل هو الذي أسلم في عهد عمر بن الخطّاب. (يراجع: الشيخ عبّاس القمّي، نفس المهموم، ترجمة وتعليق أبو الحسن الشعرانيّ ص ٣٠٠).

(٢) يلاحظ في هذا المصدر والمصادر اللاحقة أنّها لم تذكر صفة خاصّة للسهم الذي أصاب الطفل الرضيع.

(٣) الفضيل بن الزبير، تسمية من قتل مع الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق السيد محمد رضا الجلالي، مجلة تراثنا، العدد الثاني ص ١٥٠.

(٤) اليعقوبيّ، المصدر، ج ٢، ص ١٥٠.

(٥) الطبريّ، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤٢. وكذلك اعتبر أبو الفرج الأصفهانيّ في إشارة مختصرة أنّ قاتل الطفل الرضيع هو عقبة بن بشير (المصدر- ص ٥٩).

لينصرونا ولكنّهم قتلونا»[١].

وروى البلعمـيّ: كان للحسين طفل رضيع يبلغ مـن العمر سنة واحدة، اسمه عبد الله فسمـع أبوه منه أنيناً فأشفق عليـه، وطلبه فأحضروه له، فوضعه إلى جانبه وهو يبكـي، فرمى رجل من بني أسد سهماً فوقع فـي أذن الطفل فمات من ساعته ودفنه الحسين عليه السلام في ذاك المكان ثمّ قال: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أعنّي يا ربّ على هذه المصائب**»[٢].

ونقل الشيخ المفيد وتبعـه الطبرسيّ: ثمّ جلس الحسين عليه السلام أمام الفسطاط فأتى بابنه عبد الله ابن الحسين وهو طفل فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسـد بسهـم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام دمه فلمّا ملأ كفّـه صبّه في الأرض ثمّ قال: «**ربّ إن تك حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين**»، ثمّ حمله ووضعه إلى جانب بقيّة الشهداء من أهل البيت عليهم السلام[٣].

وذكر أبو الفرج الأصفهانيّ (م ٣٥٦ هـ) وابن شهرآشوب أنّ الحسين عليه السلام أخذ من دماء نحر هذا الطفل ورمى بها نحو السماء (لا الأرض) فلم يرجع منه شيء، ثمّ قال: «**اللهمّ لا يكن هذا الطفل أهون عليك من ناقة صالح** عليه السلام»[٤].

وأمّـا ابـن أعثـم والطبرسيّ فقد كتبا حـول ذلك: بعد أن قُتـل جميع من كان مـع الحسيـن عليه السلام من أنصاره وأهل بيتـه، لم يبق معه إلّا اثنـان أحدهما ولده

---

(١) الطبـريّ، المصـدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٣، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٣٤٠، سبط بن الجوزيّ، تذكرة الخواصّ، ص ٢٥٢، وابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢١٤.

(٢) أبو عليّ محمّد البلعميّ، المصدر، ج ٤، ص ٧١٠.

(٣) الشيـخ المفيـد، الإرشـاد، ج ٢، صـ ١٠٨، الطبرسيّ، إعلام الورى بأعـلام الهدى، ج ١، صـ ٤٦٦، أورد ابن سعد هذه الحادثـة مختصرة (ترجمة الحسين ومقتله)، مجلّة تراثنا، صـ ١٨٢، ونقل ابن فتّال النيشابوريّ هذه الواقعة ولكن من دون ذكـر دعـاء الإمام عليه السلام في آخرها، وعدّ أيضاً خطأً، كما سبقـت الإشارة، عبد الله من أولاد الإمام الحسن عليه السلام لا الحسين عليه السلام.

(٤) أبو الفرج الأصفهانيّ، المصدر، ص ٦٠، وابن شهرآشوب، المصدر، ج ٤، ص ١١٨.

علـيّ زيـن العابدين عليه السلام والآخر طفلـه الرضيع واسمه عبـد الله[١] أو عليّ[٢].

جـاء الحسيـن عليه السلام إلى باب الخيمة ليـودّع أهل بيته فقـال: «**ناولوني الطفل لأودّعـه**»، فبينمـا هو يقبّله ويقول: «**يا بنيّ، الويل لهؤلاء القوم إذا كان خصمهم جـدّك محمّـد** صلى الله عليه وآله وسلم»، فـإذا بسهم حرملة بـن كاهل الأسديّ[٣] قـد وقع على ذاك الطفـل فيقتله وهو في حجر أبيه، فأخذ الحسيـن عليه السلام الدم بيده حتّى امتلأت ثمّ رمى به نحو السماء وقال:

«**إلهـي إن تكـن حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير لنا**»[٤]، ثمّ نزل الحسين عن فرسه، وحفر للصبيّ بجفن سيفه، ورمّله بدمه، وصلّى عليه[٥]، ثمّ دفنه[٦].

وقـد ذكر البعض - كما مرّ سابقاً - أنّ الحسيـن عليه السلام أتى بجثمان هذا الطفل ودفنه إلى جانب بقيّة الشهداء[٧].

وكتـب السيّد ابن طاووس فـي هذا الموضوع: ولمّـا رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانـه وأحبّته عـزم على لقاء القـوم بمهجته ونادى: «**هـل من ذابٍّ يـذبّ عن حرم**

---

(١) أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٠٠- ٣٠١.

(٢) ذكره ابن أعثم باسم (عليّ في الرضاع) وأمّا الخوارزميّ فدعاه باسم (عليّ الطفل).

(٣) لم يذكر ابن أعثم والطبرسيّ أيّ اسم لقاتل الطفل الرضيع.

(٤) الخوارزميّ، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٧.

(٥) لم يورد الطبرسيّ صلاة الإمام عليه السلام.

(٦) ابن أعثم، الفتوح، ج ٥، ص ١١٥، الخوارزميّ، مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٣٧، الطبرسيّ، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٠٠- ٣٠١. في الترجمة الفارسيّة لكتاب الفتوح، بعد ذكر الطفل الرضيع باسم عليّ الأصغر، قال: حمل الحسين طفله الرضيع الـذي كان يضطـرب من العطش ووقف بين الصفّيـن ثمّ نادى: «**أيّها الناس، إن كنت أنا المذنـب فلا ذنب لهذا الطفل، فاسقـوه شربـة مـن المـاء**»، عندها رمـاه أحدهم بسهم فوقع في حلـق الطفل الرضيع ووصل إلـى عضد الحسين عليه السلام فأخرج الإمام عليه السلام السهم ومات الطفل، ثمّ حمله إلى أمّه وقال لها: «**خذي ولدك فقد سقوه من حوض الكوثر**». (ابن أعثم، الفتوح، ترجمة محمّد بن أحمد المستوفي الهرويّ، ص ٩٠٨).

وقد أخطأ المترجم أيضاً عندما تحدّث- قبل بيان كيفيّة شهادة الطفل الرضيع- عن شهادة طفل للإمام الحسن عليه السلام باسم عمر، له من العمر سبع سنوات وذلك حين وداع الإمام الحسين عليه السلام له عند خيمة النساء حيث جاء سهم وأصاب صدر الطفـل، بينمـا كان الإمـام عليه السلام يقبّله فوقـع الطفل شهيداً، عندها نـزل الإمام عليه السلام وحفر له حفرة ثـمّ دفنه (من دون الصـلاة عليه) وكما هو واضح فـإنّ مترجم كتاب الفتوح قد خلط بين شهادة الطفل الرضيع للإمام الحسين عليه السلام وبين طفل آخر باسم عمر، ولا نعلم لماذا وكيف ومن أين جاء ذلك الخلط!!

(٧) اليعقوبيّ، المصدر، ص ٢٤٥، الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١١٠، فضل بن الحسن الطبرسيّ، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ١، ص ٤٦٦، ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، ص ٥٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ هل من موحّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا؟»، فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب: «**ناوليني ولدي الصغير حتّى أودّعه**»، فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملة بن الكاهل الأسديّ، لعنه الله تعالى، بسهم فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب: «**خذيه**»، ثمّ تلقّى الدم بكفّيه فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، ثمّ قال: «**هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله تعالى**». قال الباقر عليه السلام: «**فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض**»[١].

ونقل سبط ابن الجوزيّ عن هشام بن محمّد الكلبيّ (تلميذ أبي مخنف وراوي مقتله) حول هذه الحادثة رواية أخرى جديرة بالاهتمام، وهي: سمع الحسين عليه السلام طفلاً يبكي من شدّة العطش، فأخذه ورفعه على عاتقه في قبال جيش ابن سعد ونادى قائلاً: «**إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل لله**»[٢]. ثمّ رمى رجل من معسكر عمر بن سعد سهماً أصاب الطفل وقتله فبكى الحسين عليه السلام وقال: «**اللهمّ احكم بيننا وبين هؤلاء القوم فإنّهم دعونا لينصرونا فإذا هم يقتلوننا**»، ثمّ نادى منادٍ من السماء: «**دعه يا حسين فإنّ له مرضعاً في الجنّة**»[٣].

---

(١) السيّد ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ٦٩، وقد ذكر أيضاً ابن نما الحلّي كلام الإمام عليه السلام حيث طلب النصرة من الناس (المصدر نفسه- ص ٥٢).

(٢) لقد ورد هذا التعبير في بعض المصادر هكذا: «**إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل لله**». عمر بن شجاع الدّين الموصليّ الشافعيّ- النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم- ص ٢٩٤.

(٣) سبط بن الجوزيّ- تذكرة الخواصّ-ص ٢٥٢- وقد نسب أيضاً خبراً آخر للسيّد ابن طاووس يؤيّد ما جاء في رواية ابن الجوزيّ بهذا النحو: وقد روي من طرق أخرى ما هو أقرب إلى العقل وأكثر قبولاً، لأنّ ظروف القتال والحرب لا تساعد على توديع طفل بل إنّ زينب (أخت الإمام) هي التي أتت بالطفل خارج الخيمة وقالت له: يا أخي إنّ هذا الطفل له ثلاثة أيّام ما شرب الماء، فاطلب له شربة من الماء، فأخذ الطفل وتوجّه نحو القوم وقال: «**يا قوم، قد قتلتم أخي وأولادي وأنصاري وما بقي غير هذا الطفل يتلظّى عطشاً، فاسقوه شربة من الماء**». فبينما يخاطبهم إذ أتاه سهم مشوم من ظالم غشوم، فذبح الطفل من الأذن إلى الأذن- اللهوف على قتلى الطفوف- ص ٨٣- ٨٤، ولكن لا يمكن نسبة هذا الكلام إلى ابن طاووس لعدّة أسباب، منها: أنّ هذا الكلام ليس موجوداً في بعض نسخات هذا الكتاب- ومنها: أنّ هذا النقل يشبه كثيراً ما هو موجود في الكتاب المحرّف المنسوب لأبي مخنف- والذي يؤيّد تحريف ذاك النقل والنسبة المجعولة لأبي مخنف أنّ هذه العبارات المستعملة فيه تشبه كثيراً أسلوب النثر في زماننا المعاصر، وهي بعيدة جدّاً عن كتابات القرن السابع. هذا بالإضافة إلى وجود بعض العبارات المبهمة الواردة في هذا النقل، مثل عبارة (هذا ولدك له ثلاثة أيّام ما ذاق الماء) حيث لا يعلم هل المقصود هو أنّ الطفل له من العمر ثلاثة أيّام أم أنّه منذ ثلاثة أيّام لم يتذوّق ماءً. وكذا عبارة (المختار وغيره) فمن المقصود بكلمة (غيره) أي غير المختار؟؟ فيظهر من كلّ ذلك أنّ بعض المحشّين نقلوا هذه الرواية من الكتاب المحرّف المنسوب لأبي مخنف، ثمّ أدخلوا عليها بعض التعبيرات وسجّلوها في بعض نسخات كتاب اللهوف!!

وقد ورد في بعض المصادر أنّه وقف بعد شهادة الطفل الرضيع وقال:

١- كَفَرَ القَوْمُ وَقِدَماً رَغِبُوا عَنْ ثَوَابِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ
٢- قَتَلُوا قِدَماً عَلِيّاً وَابْنَهُ حَسَنَ الخَيْرِ كَرِيمَ الطَّرَفَيْنِ
٣- حَنَقاً مِنْهُمْ وَقَالُوا: أَجْمِعُوا نَفْتِكِ الآنَ جَمِيْعاً بِالحُسَيْنِ
٤- يَا لَقَوْمٍ مِنْ أُنَاسٍ رُذُلٍ جَمَعُوا الجَمْعَ لِأَهْلِ الحَرَمَيْنِ
٥- ثُمَّ صَارُوْا وَتَوَاصَوا كُلُّهُمْ بِاجْتِيَاحِي لِإِرْضَاءِ المُلْحِدَيْنِ
٦- لَمْ يَخَافُوا اللهَ فِي سَفْكِ دَمِيْ لِعُبَيْدِ اللهِ نَسْلِ الكَافِرَيْنَ
٧- وَابْنِ سَعْدٍ قَدْ رَمَانِيْ عُنْوَةً بِجُنُوْدٍ كَوُكُوفِ الهَاطِلَيْنَ
٨- لَا لِشَيْءٍ كَانَ مِنَّا قَبْلَ ذَا غَيْرَ فَخْرِي بِضِيَاءِ الفَرْقَدَيْنِ
٩- بِعَلِيٍّ الخَيْرِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ القُرَشِيِّ الوَالِدَيْنِ
١٠- خِيَرَةُ اللهِ مِنَ الخَلْقِ أَبِيْ ثُمَّ أُمِّيْ فَأَنَا ابْنُ الخِيَرَتَيْنِ
١١- فِضَّةٌ قَدْ خُلِقَتْ مِنْ ذَهَبٍ فَأَنَا الفِضَّةُ وَابْنُ الذَّهَبَيْنِ
١٢- مَنْ لَهُ جَدٌّ كَجَدِّيْ فِيْ الوَرَىٰ أَوْ كَشَيْخِيْ فَأَنَا ابْنُ القَمَرَيْنِ
١٣- فَاطِمُ الزَّهْرَاءُ أُمِّيْ وَأَبِيْ قَاصِمُ الكُفْرِ بِبَدْرٍ وَحُنَيْنِ
١٤- عُرْوَةُ الدِّيْنِ عَلِيُّ المُرْتَضَىٰ هَادِمُ الجَيْشِ مُصَلِّي القِبْلَتَيْنِ
١٥- وَلَهُ فِيْ يَوْمِ أُحُدٍ وَقْعَةٌ شَفَتِ الغِلَّ بِفَضِّ العَسْكَرَيْنِ
١٦- ثُمَّ بِالأَحْزَابِ وَالفَتْحِ مَعاً كَانَ فِيْهَا حَتْفُ أَهْلِ الفَيْلَقَيْنِ
١٧- فِيْ سَبِيْلِ اللهِ مَاذَا صَنَعَتْ أُمَّةُ السُّوْءِ مَعاً بِالعِتْرَتَيْنِ
١٨- عِتْرَةِ البِرِّ التَّقِيِّ المُصْطَفَىٰ وَعَلِيِّ القُرْمِ يَوْمَ الجَحْفَلَيْنِ
١٩- عَبَدَ اللهَ غُلاماً يَافِعاً وَقُرَيْشٌ يَعْبُدُوْنَ الوَثَنَيْنِ
٢٠- وَقَلا الوِثَانَ لَمْ يَسْجُدْ لَهَا مَعْ قُرَيْشٍ لَا وَلَا طَرْفَةَ عَيْنِ
٢١- طَعَنَ الأَبْطَالَ لَمَّا بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَتَبُوْكٍ وَحُنَيْنِ[1]

هل عليّ الأصغر هو غير عبد الله الرضيع؟

استنتج المحقّق الشهيد القاضي الطباطبائيّ، من خلال الأخبار التاريخيّة المختلفة حول شهادة الطفل الرضيع، أنّ الحسين عليه السلام كان له ثلاثة أطفال، الأوّل: مولود جديد ولد في يوم عاشوراء، وقد نقل اليعقوبيّ خبراً في هذا الأمر- الثاني: عبد الله ذو الأشهر الستّة وكان رضيعاً- الثالث: عليّ الأصغر وله من العمر ستّ سنوات، إلّا أنّ المؤرّخين لم يتحرّوا الدقّة في نقل روايات شهادة هؤلاء الأطفال الثلاثة، وقد خلطوا في كتبهم بين شهادة كلّ واحد منهم مع الآخر، فذكروا أحدهم مكان الآخر، ومع مرور الوقت أصبح هؤلاء الثلاثة بمثابة طفلٍ واحدٍ، اسمه في المصادر القديمة عبد الله الرضيع وفي المصادر المتأخرّة عليّ.

في طيّ بحثه أورد المحقّق الطباطبائيّ لإثبات مدّعاه قرائن وشواهد ننقلها نحن باختصار مع بعض التصرّف على النحو الآتي:

١- كانت شهادة عبد الله الرضيع بهذا الشكل: فقد جاء الإمام عليه السلام وجلس أمام الخيمة على الأرض ووضع طفله في حجره فجاء سهم وأصاب ذاك الطفل في تلك الحال وقُتل. يتبيّن من هذه الرواية أنّ عبد الله ليس هو عليّاً الأصغر، لأنّ عليّاً الأصغر قُتل في ميدان المعركة حيث حمله أبوه عليه السلام وهو راكب على جواده في قبال معسكر الأعداء، وطلب منهم- حسب نقل سبط بن الجوزيّ- أن يسقوا هذا الطفل الظمآن شربة من الماء، وعندها رموه بسهم وقُتل، فنزل الإمام عليه السلام عن جواده و...

(١) الطبرسيّ- الإحتجاج- ج ٢- ص ٣٠١ ووردت هذه الأشعار في المصادر الآتية مع بعض الاختلافات: ابن الأعثم- الفتوح- ج ٥- ص ١١٥- ١١٦- الأربليّ- كشف الغمّة- ج ٢- ص ٢٣٦- ابن طلحة الشافعيّ- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول- ج ٢- ص ٦٦- ابن صبّاغ المالكيّ- الفصول المهمّة- ص ١٧٩- محمّد بن أبي طالب- تسلية المجالس وزينة المجالس- ج ٢- ص ٣١٥- ٣١٦- المجلسيّ- بحار الأنوار- ج ٤٥- ص ٤٧- ٤٨- نقل الخوارزميّ فقط ثلاثة أبيات من هذه الأشعار (مقتل الحسين عليه السلام- ج٢- ص ٣٧) بعض المصادر لم تبيّن الزمن الدقيق الذي أنشد فيه الإمام عليه السلام هذه الأشعار- ابن شهرآشوب- مناقب آل أبي طالب- ج ٤- ص ٨٦- ٨٨- ١١٩- المجلسيّ- المصدر السابق- ج ٤٥- ص ٩٢.

٢- بالنسبة إلى خبر شهادة عليّ الأصغر فإنّ الإمام عليه السلام كان قد صلّى عليه، ممّا يدلّ على أنّ عمر ذلك الطفل ليس أقلّ من ستّ سنوات، لأنّ الصلاة على من لم يبلغ من الأطفال ستّ سنوات- حسب رأي الفقهاء- غير واجبة ولا مستحبّة، بل بنظر التحقيق هي مورد إشكال شرعيّ، وأمّا رواية عبد الله فلم تذكر الصلاة عليه أصلاً، وبناءً على ذلك فإنّ رواية الصلاة على الطفل لا تنطبق على الطفل الرضيع ولذا فلا يمكن عدّ هذين الطفلين واحداً.

٣- لقد قام الإمام- حسب الروايات- بوضع الطفل الرضيع بجانب شهداء كربلاء، وأمّا عليّ الأصغر فقد دفنه الإمام عليه السلام بعد أن صلّى عليه، وهذا أيضاً يدلّ على أنّ عبد الله الرضيع ولد آخر للإمام عليه السلام غير عليّ الأصغر الذي كان على الأقلّ يبلغ من العمر ستّ سنوات.

٤- إنّ ما نقله سبط بن الجوزيّ حول الطفل ذي الستّ السنوات هو أنّ الإمام عليه السلام عندما سمع بكاءه بسبب العطش أخذه قبال معسكر عمر بن سعد وطلب الماء له، وأمّا الطفل الرضيع فلم ينقل عنه شيء غير وداع الإمام عليه السلام له، وقد حصل ذلك- حسب النقل- أمام الخيمة وليس في ساحة المعركة[1].

نقد وتحقيق:

صحيح أنّ القرائن والشواهد التي أوردها المحقّق القاضي الطباطبائيّ لإثبات مدّعاه تبدو- بحسب ظاهرها ولأوّل نظرة- قويّة ومتينة، وكذلك ما ذكره الطبريّ الإماميّ وابن خشّاب- كما مرّ سابقاً- حول تعداد أولاد الإمام عليه السلام فإنّه يدلّ على أنّ عبد الله ليس هو عليّ الأصغر، إلّا أنّ أدنى تأمّل وتدقيق فيها يثير سؤالاً مهمّاً وهو: ما دام أنّ عليّاً الأصغر هو غير عبد الله الرضيع فلماذا لم يورد أبو مخنف أيّ ذكرٍ لعليّ الأصغر في كتابه الذي يُعتبر أهمّ المصادر المعتمدة في تاريخ عاشوراء، والذي ينقل فيه بوساطة واحدة أو اثنتين لا غير؟!

(١) السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائيّ- تحقيق حول الأربعين الأوّل لسيّد الشهداء/فارسي- ص ٦٦٠- ٦٧٩.

وكذلك الشيخ المفيد- الذي كان يعتمد على منقولات أبي مخنف- لم يذكر شيئاً عـن عليّ الأصغر، بل بدأ تداول تلك الروايات عن علـيّ وبالإجمال أيضاً منذ القرن الرابـع للهجرة فقط!! لماذا ورد ذكر الطفل الذي صلّى عليه الإمام عليه السلام ويبلغ من العمـر ستّ سنوات في رواية مرسلة لابن الأعثم فقط، الذي صنّف كتابه بعد حادثة عاشوراء بأكثر من قرنين ونصف القرن، بينما لا نجد أيّ شيء عن اسم ذلك الطفل وأنّه عليّ، ولا عن كيفيّة قتله في المصادر المتقدّمة؟!

وأمّـا استدلال المحقّق باختـلاف الروايات حول شهادة الطفـل الرضيع فيمكن القول بأنّ بعض المصادر نقلت شهادته بطريقة تنسجم مع رواية أبي مخنف والشيخ المفيـد، من جهةٍ ومع رواية ابن الأعثم والخوارزميّ، من جهةٍ أخرى، كما ذكر ذلك الطبرسـيّ (م ٥٦٠ هـ) فنصّ على مجيء الإمـام عليه السلام راكباً على الجواد إلى باب الخيمـة، وأنّ الإمام نزل بعـد قتل الطفل الرضيع عن جـواده وحفر له حفرة ودفنه فيهـا، ولكنّه لم يذكر شيئاً في روايته عـن صلاة الإمام عليه السلام على ذلك الطفل لأنّه يعتبر أنّ الطفل كان رضيعاً[1].

وكذلـك ما ورد في رواية سبط بن الجوزيّ، فعلى فرض أنّنا قبلنا بأنّ أوّل رواية تـدلّ- كما يدّعي المحقّق الطباطبائيّ- علـى أنّ عمر الطفل هو ستّ سنوات، إلّا أنّ آخرهـا يدلّ علـى أنّ هذا الطفـل كان رضيعاً، لأنّ النداء من السمـاء ورد على هذا النحو: «**دعه يا حسين فإنّ له مرضعاً في الجنّة**».

وبتعبير آخر فإنّ هذا النقل ذكر مجيء الإمام عليه السلام مع الطفل إلى الميدان قبال معسكر الأعداء، ...وذكر أيضاً أنّ هذا الطفل كان رضيعاً.

ومن هنا يظهر بأنّ اختلاف الروايات حول كيفيّة شهادة الطفل الرضيع لا يسمح

(١) الطبرسـيّ- الإحتجـاج- ج ٢- صـ ٣٠٠- ٣٠١- روايته على الشكل الآتي: لمّا قتل أصحـاب الحسين عليه السلام وأقاربه وبقي فريـداً ليس معـه إلّا ابنه عليّ زيـن العابدين عليه السلام وابن آخر في الرضـاع اسمه عبد الله فتقـدّم الحسين عليه السلام إلى باب الخيمـة فقـال: «**ناولوني ذلـك الطفل حتّى أودعه**»، فناولوه الصبـيّ فجعل يقبّله وهو يقول: «**يا بنـي، ويل لهؤلاء القوم إذا كان خصمهـم محمّـد صلى الله عليه وآله**»- قيل: فإذا بسهم قد أقبل حتّى وقع في لبّة الصبيّ، فقتله، فنزل الحسين عليه السلام عن فرسه وحفر للصبيّ بجفن سيفه، ورمّله بدمه ودفنه.

بالادّعـاء أنّ عبد الله وعليّ الأصغر همـا طفلان اثنان، أحدهما رضيعٌ، والآخر يبلغ من العمر ستّ سنوات[١].

الأمـر الآخـر الـذي يجـب التنبّه لـه هـو أنّ الكثيـر مـن المؤرّخيـن المتقدّمين والمتأخّريـن يذكرون الإمام السجّاد عليه السلام باسم (عليّ الأصغر)[٢] حيث يعتبرون أنّ كلمة (أصغر) هي صفة للإمام زين العابدين عليه السلام لا للطفل الرضيع، والبعض الآخر كان يعتبـر صفة (أصغر) هي لعليّ الأكبر (الـذي استشهد في شبابه)[٣] بل إنّ عدداً كبيراً مـن الطالبيّين كالمحلّى والعقيقيّ[٤] كانوا يطلقـون على الإمام السجّاد عليه السلام اسم عليّ الأكبر ويطلقون على عليّ الأكبر الشهيد اسم عليّ الأصغر، ثمّ إنّ الكثير من علمـاء الأنساب مثل الكلبيّ ومصعب الزبيـريّ يعتبرون الإمام السجّاد عليه السلام هو عليّ الأصغـر[٥]. وبناءً على ذلك فـإنّ أيّاً من هذين الفريقين لا يعتبـر الطفل الرضيع هو عليّ الأصغر.

---

(١) يصـرّح الشيـخ محمّد هادي اليوسفيّ الغـرويّ الذي قضى جزءاً مهمّاً من عمره متنقّلاً بين البـلاد والمجامع العربيّة بأنّ المحافل والمجالس العربيّة الشيعيّة يطلقون على الطفل الرضيع للإمام الحسين عليه السلام اسم عبد الله الرضيع وأمّا اسم عليّ الأصغـر فهـو موجود فقط في المحافل والمجالس الشيعيّة الإيرانيّة، ولذا يطلق على كلّ من يسمّي الطفل بـ (عليّ الأصغر) بأنّه أعجميّ.

(٢) محمّـد بـن سعد (ترجمة الحسيـن عليه السلام ومقتله) مجلّة تراثنا- عـدد ١٠- السنة الثالثة- ١٤٠٨ هـ- ص ١٢٧- ١٨٦- ١٨٧- ولـه أيضـاً: الطبقات الكبرى- ج ٥- صـ ٢١١- البلاذريّ- المصدر- ج ٣- صـ ٣٦٢- ٤١١- الدّينوريّ- الأخبار الطـوال- ص ٢٥٩- اليعقوبيّ- المصـدر- ج ٢- ص ٢٤٧- الطبريّ- المصدر- ج ٤- ص ٣٤٧- وله أيضاً: المنتخب من ذيـل المذيـل من تاريخ الصحابـة والتابعين- ج ٨- ص ٢٤- ١١٩- أبـو زيد أحمد بن سهل البلخـيّ- البدء والتاريخ- ج ٢- صـ ٢٤١- القاضـي النعمان المغربـيّ- شرح الأخبار- ج ٣- صـ ٢٦٦- عليّ بن أبي الغنائـم العمريّ- المجدي في أنساب الطالبيّين- ص ٩١- المطهّر بن الطاهر المقدسيّ- البدء والتاريخ- ج ٦- ص ١١- أبو الفرج ابن الجوزيّ- صفة الصفـوة- ج ٢- صـ ٦٦- سبط بن الجوزيّ- المصـدر- ص ٢٥٦- ٢٥٨- جمال الدّين الحجّـاج يوسف المزّيّ- تهذيب الكمـال فـي أسماء الرجـال- ج ٢٠- ص ٣٨٤- ٣٨٨- الذهبـيّ- سير أعمال النبلاء- ج ٣- صـ ٣٠٣- وج٤- ص ٣٨٧- ٣٩٠- صلاح الدّين خليل بن أبيك الصفديّ- الوافي بالوفيات- ج ١٢- ص ٤٢٨- وابن كثير- المصدر- ج ٩- ص ١٢٢.

(٣) الشيـخ الصـدوق- الأمالي- مجلس ٣٠- ص ٢٢٦- القاضي النعمان المغربيّ- المصـدر- ج ٣- ص ١٥٤- ١٥٦- الشيخ المفيـد- الإرشـاد- ج ٢- ص ١١٤- ١٣٥- الشيخ الطوسيّ- رجال الطوسيّ- صـ ١٠٢- الطبرسيّ- إعلام الورى بأعلام الهـدى- ج ١- صـ ٤٧٠- ٤٧٨- ابن داود الحلّي- رجال ابن داود- صـ ١٣٦- العلّامة الحلّي- خلاصة الأقوال في معرفة الأقـوال- صـ ١٧٤- من الواضح أنّ هذا القول غير مقبول لأنّه مخالف لرأي المؤرّخين وعلماء الأنساب وكذا نرى العمريّ وابن إدريس الحلّي يرفضانه (يراجع: العمريّ- المجدي في أنساب الطالبيّين- ص ٩١- وابن إدريس الحلّي- السرائر- ج ١- ص ٦٥٥- ٦٥٦).

(٤) - الظاهر أنّ المقصود من السيّد عليّ بن أحمد العلويّ العقيقيّ هو أحد علماء الرجال.

(٥) - حميد بن أحمد المحلّى- المصدر- ج ١- ص ٢٠١.

بالإضافة إلى كلّ ذلك، فإنّ المؤرّخين استخدموا (الأصغر) كلقبٍ لبيان عمر الإمام عليّ ابن الحسين في قبال عليّ الأكبر، وهذا ما ذكره أبو حنيفة الدينوريّ حيث قال: إنّ أحد الناجين من القتل كان عليّ الأصغر الذي كان بالغاً[١].

النتيجة

إنّ ما يمكن الاطمئنان إليه في هذا الموضوع، هو أنّ الإمام الحسين كان له طفل في كربلاء واسمه بحسب القول الأوّل، هو عبد الله، وفي رأي الفضيل بن الزبير واليعقوبيّ أنّ هذا الطفل قد ولد في يوم عاشوراء، وقول ابن الزبير إنّ اسمه عبد الله، ولكنّ رواية أبي مخنف التي نقلها الطبريّ وأبو الفرج الأصفهانيّ والشيخ المفيد وغيرهم، لم تذكر شيئاً عن ولادته في يوم عاشوراء، وبالرغم من التشابه بين نقل أبي الفرج الأصفهانيّ وابن شهرآشوب مع رواية اليعقوبيّ حول كلام الإمام الحسين عليه السلام عن شهادة هذا الطفل، إلّا أنّ أيّاً من هذين المصدرين- وكما مرّ سابقاً- لم يذكر أيّ شيء عن ولادة الطفل الرضيع في اليوم العاشر من المحرّم.

وبناءً على ذلك، فإنّ بداية تسمية هذا الطفل بـ (عليّ) كانت في القرن الرابع وما بعده، وكان عمره ستّ سنوات، على أقلّ تقدير، حسب رأي تلك المصادر، باعتبار أنّ الإمام عليه السلام كان قد صلّى عليه صلاة الميّت (كما ذكر أصحاب ذلك القول).

(١) الدّينوريّ- الأخبار الطوال- ص ٢٥٩.

مع الثقلين في كربلاء[1]

مقدّمة

منذ سنوات وأنا أفكّر في ترويج تفسير القرآن، وفي هذا الإطار فقد منَّ الله عليّ بالعديد من التوفيقات. وشجّعني على هذا الأمر، الاقتراح الذي قدّمه بعض الأصدقاء في مركز التفسير عام ١٣٨٠هـ. ش، بعد العودة من سفر الحجّ، فبدأت التفكير في ليلة عيد الغدير ويومه وسألت نفسي: هل يمكن جعل توجيه مسير المحاضرات في محرّم لتكون قرآنيّة؟ وهل يمكن الحديث عن الأحداث التي جرت في كربلاء بدءاً من معالم الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه وقضايا كربلاء والحوادث التي جرت فيها إلى الصلاة وقبول العذر وتوبة الحرّ، ومن ثمّ تقدّم الإمام الحسين عليه السلام لإرسال ولده إلى ساحة المعركة، قبل الجميع، وإلى الآيات التي تلاها الإمام عليه السلام، وإلى وفاء أصحابه، وأمثال هذه الأمور التي أشارت إليها مئات الآيات القرآنيّة، فهل يمكن الحديث عن ذلك كلّه في قالب قرآنيّ يكون فيه محتوى الحديث هو الآيات القرآنيّة ونماذجه العينيّة ومصاديقه من كربلاء؟

حدّثت نفسي: أنّني إذا تكلّمت حول القرآن عوضاً عن المسائل الأخرى، فسيترك ذلك في النفوس آثاراً نورانيّة، وسنساهم في رفع شيء عن مهجوريّة القرآن الكريم، وسنتلمّس قول رسول الله صلى الله عليه وآله بتمام حقيقته عندما قال: «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**».

قلت: إذا أردنا طرح هذا الفكر بشكل عميق لا نقص ولا عيب فيه، فهذا يتطلّب

(١) حجّة الإسلام والمسلمين الأستاذ الشيخ محسن قراءتي، أحد أشهر المبلّغين في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

وقتاً طويلاً، ولكن من جهة أخرى فإنّ الابتعاد والتخلّي عن محرّم يبعث على الحسرة والأسف، من هنا- وفي ليلة ويوم- قمت بتدوين الآيات التي لها علاقة بحركة الإمام الحسين عليه السلام في عشرة أقسام، ويحتوي كلّ قسم منها ما بين العشر والعشرين آية شريفة، أردت بذلك تقديمها للإخوة المبلّغين والخطباء، وطبعاً فإنّهم سيضيفون عليها بعض الآيات والروايات المشابهة، ولتكون مقدّمة لزيادة علاقتنا وأنسنا بالقرآن الكريم شيئاً فشيئاً، وقربنا أكثر من قادتنا المعصومين عليهم السلام.

وكما أنّ بعض الأئمّة عليهم السلام كان يحدّث أصحابه بأنّهم لو سألوه عن كلّ ما يقول وأين أصله في القرآن الكريم، لأجابهم بأنّه من الآية الفلانيّة[1].

فكلّنا أمل أن يأتي ذلك اليوم الذي تصبح فيه كلّ قصصنا قرآنيّة، واستدلالاتنا قرآنيّة، ودروس العرفان، والأخلاق، والعقائد، قرآنيّة، وأن يصبح القرآن الكريم هو المحور في شؤون حياتنا وقضايانا الدوليّة، وحتّى مجالس عزائنا التي ينبغي أن تتمحور حول القرآن والكلمات النورانيّة لأهل بيت النبيّ، عليهم السلام (عدل القرآن) ولا نجد فيها حديثاً عن المنامات، أو الألفاظ الفارغة والقصص الضعيفة، ولنتحرّك نحو النور الواقعيّ. وحتّى لا نشاهد ضعف عشّاق الإمام الحسين في الاستفادة من القرآن الكريم، كما نشاهد ضعف الاستفادة من أهل البيت عليهم السلام لدى فريق آخر، وحتّى لا نصل عمليّاً إلى إيجاد الفصل بين جلسات حفظ وقراءة القرآن وليالي الأنس بالقرآن، وبين مجالس العزاء والهيئات الدّينيّة حيث يؤدّي هذا الأمر، شيئاً فشيئاً، إلى التقليل من أهمّيّة تاريخ وملحمة كربلاء المهمّة جدّاً. ولنعلم أنّ أمثال العلّامة الأمينيّ قدس سره كانوا يعتلون المنبر في يوم من الأيّام، لكن كيف يجب أن نكون مع الأجيال الجديدة المتعلّمة التي تحمل الكثير من الأسئلة

---

(١) عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله**»، ثمّ قال في بعض حديثه: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال**»، فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء/ ١١٤)، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء/ ٥)، وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة/ ١٠١)**»، (الكليني: الكافي ج ١ ص ٦٠).

والاستفسارات؟

اللهـمّ اجعل القرآن نور فكرنا وعقيدتنا وقلمنا وبياننا وعملنا، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

القرآن والإمام الحسين عليه السلام

- إذا كان القرآن سيّد الكلام[١] فإنّ الإمام الحسين عليه السلام سيّد الشهداء[٢].
- وإذا كنّا نقرأ في الصحيفة السجّاديّة حول القرآن: «**وميزان القسط**»، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يقول: «**أمرت بالقسط**»[٣].
- إذا كان القرآن موعظة من الله تعالى: ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٤]، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام يقول في عاشوراء: «**لا تعجلوا حتّى أعظكم بالحقّ**»[٥].
- إذا كان القرآن يهدي إلى الرشد: ﴿يَهْدِيَ إِلَى الرُّشْدِ﴾[٦]، فالإمام الحسين عليه السلام يقول: «**أدعوكم إلى سبيل الرشاد**»[٧].
- إذا كان القرآن عظيماً: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٨]، فإنّ للإمام الحسين سوابق عظيمة: «**عظيم السوابق**»[٩].
- إذا كان القرآن حقّاً ويقيناً: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[١٠]، فإنّنا نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «**وعبدته مخلصاً حتّى أتاك اليقين**»[١١].

---

(١) الطبرسيّ، مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٦١.
(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات.
(٣) البروجرديّ، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٢، ص ٤٨١.
(٤) سورة يونس الآية ٥٧.
(٥) الأمين السيّد محسن، لواعج الأشجان، ص ٢٦.
(٦) سورة الجنّ الآية ١.
(٧) الأمين السيّد محسن، لواعج الأشجان، ص ١٢٨.
(٨) سورة الحجر الآية ٨٧.
(٩) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٢٣٩.
(١٠) سورة الحاقّة الآية ٥١.
(١١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٠٢.

- إذا كان للقرآن مقام الشفاعة: «**نعم الشفيع القرآن**»[١]، فللإمام الحسين مقام الشفاعة أيضاً: «**وارزقني شفاعة الحسين**»[٢].

- إذا كنّا نقرأ في الدعاء الثاني والأربعين من الصحيفة السجّاديّة أنّ القرآن هو علم نجاة: «**وعلم نجاة**»، نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام أنّه كان علم الهداية: «**أنّه راية الهدى**»[٣].

- إذا كان القرآن شفاء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾[٤]، فتراب الإمام الحسين عليه السلام شفاء أيضاً: «**طين قبر الحسين شفاء**»[٥].

- إذا كان القرآن منار الحكمة، فالإمام الحسين باب الحكمة الإلهيّة: «**السلام عليك يا باب حكمة ربّ العالمين**»[٦].

- إذا كان القرآن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: «**فالقرآن آمر وزاجر**»[٧]، فالإمام الحسين عليه السلام قال: «**أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[٨] حول الهدف من ذهابه إلى كربلاء.

- إذا كان القرآن نوراً: ﴿نُورًا مُّبِينًا﴾[٩]، فالإمام الحسين نور أيضاً: «**كنت نوراً في الأصلاب الشامخة**»[١٠].

- إذا كان القرآن للناس ولجميع الناس: «**لم يجعل القرآن لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس**»[١١]، فنقرأ حول الإمام الحسين عليه السلام: «**لا يُدرس أثره ولا**

---

(١) نهج الفصاحة، الجملة ٦٦٢.
(٢) زيارة عاشوراء.
(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٧٠.
(٤) سورة الإسراء الآية ٨٢.
(٥) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٤٤٦.
(٦) القمّي الشيخ عبّاس، مفاتيح الجنان.
(٧) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.
(٨) الخوارزميّ، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ١٨٨.
(٩) سورة النساء الآية ١٧٤.
(١٠) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٠٠.
(١١) القمّي الشيخ عبّاس، سفينة البحار، ج ٢، ص ٤١٣.

يُمحى اسمه»[١].

- إذا كان القرآن كتاباً مباركاً: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾[٢]، كانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام سبب بركة ورشد للإسلام: «**اللهمّ بارك لي في قتله**»[٣].

- إذا كان لا يوجد أيّ اعوجاج في القرآن: ﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾[٤]، نقرأ حول الإمام الحسين عليه السلام أنّه لم ينحرف لحظة عن الحقّ: «**لم تمل من حقّ إلى الباطل**»[٥].

- إذا كان القرآن كريماً: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[٦]، فالإمام الحسين ذو أخلاق كريمة: «**وكريم الخلائق**»[٧].

- إذا كان القرآن عزيزاً: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾[٨]، فالإمام الحسين عليه السلام تحدّث عن أنّه لن يخضع للذلّ مطلقاً: «**هيهات منّا الذلّة**»[٩].

- إذا كان القرآن هو العروة الوثقى: «**إنّ هذا القرآن ... العروة الوثقى**»[١٠]، فالإمام الحسين عليه السلام هو سفينة النجاة والعروة الوثقى: «**إنّ الحسين سفينة النجاة والعروة الوثقى**»[١١].

- إذا كان القرآن هو البيّنة والدليل الواضح: ﴿جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[١٢]، فالإمام الحسين عليه السلام كان على هذا النحو أيضاً: «**أشهد أنّك على بيّنة من ربّك**»[١٣].

---

(١) المقرّم السيّد عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام.
(٢) سورة ص الآية ٢٩.
(٣) المقرّم السيّد عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام (هذا الكلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله).
(٤) سورة الزمر الآية ٢٨.
(٥) الكلينيّ، فروع الكافي، ج ٤، ص ٥٦١.
(٦) سورة الواقعة الآية ٧٧.
(٧) القمّي الشيخ عبّاس، نفس المهموم، ٧.
(٨) سورة فصّلت الآية ٤١.
(٩) ابن طاووس، اللهوف، ٥٤.
(١٠) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٣١.
(١١) برتوى از عظمت حسين، ص ٦.
(١٢) سورة الأنعام الآية ١٥٧.
(١٣) الكلينيّ، فروع الكافي، ج ٤، ص ٥٦٥.

- إذا كان ينبغي قراءة القرآن بهدوء وتأنٍّ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[١]، كذلك ينبغي التقدّم نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام بهدوء: «**وامش مشي العبد الذليل**»[٢].
- إذا كان ينبغي تلاوة القرآن بحالة من الحزن: «**فاقرؤوه بالحزن**»[٣]، كذلك ينبغي زيارة الإمام الحسين عليه السلام والإنسان بحالة الحزن: «**وزره وأنت كئيب شعث**»[٤].

نعم! الحسين عليه السلام هو القرآن الناطق وصورة للكلام الإلهيّ.

حركة الإمام الحسين عليه السلام على أساس القرآن

الآيات التي استند إليها الإمام الحسين عليه السلام أثناء الطريق:

- الآية الأولى: عندما قرّر رسول يزيد (مروان) أخذ البيعة من الإمام ليزيد في المدينة، خاطبه الإمام قائلاً: «**ويلك يا مروان! إليك عنّي فإنّك رجس، وإنّا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عزَّ وجلّ على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**»[٥].
- الآية الثانية: أشار الإمام الحسين عليه السلام في نهاية وصيّته التي كتبها قبل التحرّك نحو كربلاء، إلى الآية الآتية: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٦].
- الآية الثالثة: «**عندما قرّر عدم إعطاء البيعة ليزيد، خرج من المدينة قاصداً مكّة (٢٨ رجب)، ثمّ تلا الآية الشريفة: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾**»[٧].
- الآية الرابعة: «**يشير الشيخ المفيد قدّس سرّه إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام**

(١) سورة المزّمّل الآية ٤.
(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات.
(٣) الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٥٧.
(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات.
(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٦) سورة هود الآية ٨٨.
(٧) سورة القصص الآية ٢١.

عندما تحرّك نحو مكّة، حضرت مجموعات من الجنّ والملائكة عارضة عليه المساعدة، إلّا أنّ الإمام تلا الآية الشريفة: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[١]. **وقال أيضاً:** ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[٢].

- الآية الخامسة: عندما دخل الإمام الحسين عليه السلام مكّة ليلة الجمعة في الثالث من شعبان (قبل التحرّك نحو كربلاء)، تلا الآية الشريفة: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣].

- الآية السادسة: عندما كان في مكّة يتحدّث إلى ابن عبّاس حول بني أميّة، تلا قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[٤]. وتلا قوله تعالى أيضاً: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥]، وقال أيضاً: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[٦]، وقال أيضاً: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾[٧].

- الآية السابعة: في أجواء عيد الأضحى حيث كان الإمام الحسين عليه السلام يتحرّك نحو كربلاء، قام عامل يزيد في مكّة بقطع الطريق على الإمام عليه السلام، إذ كان يخشى، كما قال، أن تؤدّي حركة الإمام إلى إيجاد حالة الشقاق بين الناس، في هذه الأثناء تلا الإمام عليه السلام الآية الشريفة: ﴿لِى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٨].

- الآية الثامنة: عندما سمع الإمام الحسين عليه السلام في مسيره إلى كربلاء، خبر

---

(١) سورة النساء الآية ٧٨.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٤.
(٣) سورة القصص الآية ٢٢.
(٤) سورة التوبة الآية ٥٤.
(٥) سورة النساء الآية ١٤٢.
(٦) سورة النساء الآيتان ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٧) سورة آل عمران الآية ١٨٥.
(٨) سورة يونس الآية ٤١.

شهادة مسلم، قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١].

- الآية التاسعة: عندما خاطب الحرُّ الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، سائلاً إيّاه عن سبب قدومه، أجابه الإمام بأنّه جاء بعد أن جاءته رسائلهم، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[٢].

- الآية العاشرة: عندما سمع الإمام الحسين عليه السلام خبر شهادة قيس بن مسهّر الصيداويّ، بكى وتلا الآية الآتية: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[٣].

- الآية الحادية عشرة: تلا الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء على مسامع ابنته سكينة، الآية الآتية حيث كان يشير إلى جيش يزيد: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[٤].

- الآية الثانية عشرة: عندما أرسل ابن زياد إلى الحرّ طالباً منه قطع الطريق على الإمام الحسين عليه السلام، نقل الحرّ ما يريده ابن زياد إلى الإمام الذي تلا الآية الشريفة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ... ﴾[٥].

- الآية الثالثة عشرة: تلا الآية الشريفة: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[٦]، يوم العاشر على مسمع جيش يزيد. وتلا أيضاً: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٧]، وكذلك تلا قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[٨] وكذلك: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٩].

(١) سورة البقرة الآية ١٥٦.
(٢) سورة الفتح الآية ١٠.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٣.
(٤) سورة المجادلة الآية ١٩.
(٥) سورة القصص الآية ٤١.
(٦) سورة يونس الآية ٧١.
(٧) سورة الأعراف الآية ١٩٦.
(٨) سورة الدخان الآية ٢٠.
(٩) سورة غافر الآية ٢٧.

تجلّيات القرآن في كربلاء

حثّ القرآن الكريم الناس على التفكير بالمنطق والحقّ، وليس بعدد الأشخاص، واستعمل بعض العبارات أمثال: ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٢] و ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[٣].

جاء في القرآن الكريم: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٤]. وفي اليوم العاشر قدّم الإمام الحسين عليه السلام وأبو الفضل والأصحاب عشر مواعظ لأجل إرشاد الناس.

وتحدّث القرآن الكريم بإجلال عن المضحّين: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾[٥]، وفي كربلاء الكثير من مظاهر التضحية ولعلّ أبرز نماذجها تضحية أبي الفضل العبّاس.

وأوصى القرآن الكريم بالعفو وقبول عذر الناس ومن أبرز مصاديقها في كربلاء العفو عن الحرّ بن يزيد الرياحيّ.

يقول القرآن: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦] و ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٧]، وإذا كان في كربلاء عشرات آلاف المجرمين الذين لا يُذْكَرون بالحسنى، إلّا أنّ ذكر أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الـ ٧٢ لا يزال حيّاً.

وجاء في القرآن الكريم حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٨]، وفي كربلاء أصبح اسم الإمام الحسين عليه السلام مرفوعاً إلى الأبد.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٩]، أي أنّ القائد ينبغي أن

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٤.
(٢) سورة التوبة الآية ٨.
(٣) سورة الشعراء الآية ٢٢٣.
(٤) سورة يوسف الآية ١٠٨.
(٥) سورة الحشر الآية ٩.
(٦) سورة الأعراف الآية ١٢٨.
(٧) سورة طه الآية ١٣٢.
(٨) سورة الإنشراح الآية ٤.
(٩) سورة الزمر الآية ١٢.

يكـون في المقدّمة، وفي كربلاء قدّم الإمـام الحسين عليه السلام ابنه عليّاً الأكبر عليه السلام وأرسله إلى ساحة الحرب قبل فتية بني هاشم.

وجاء فـي القـرآن الكريـم: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[1]، وفـي كربلاء تتجلّى أفضل صور الاستقامة في الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

القـرآن الكريم لا يأتـي على ذكر الأفراد عادة بل يذكر المعايير، مثلاً يتحدّث عن أنّ مولاكم هو الذي يتصدّق بخاتمه أثناء الصلاة، وهو الذي يجمع في لحظة واحـدة بين الصلاة والزكاة، ثمّ يترك للناس الحريّة في التفتيش عن المصداق، وفـي كربـلاء، لم يقل الإمام الحسين عليه السلام: أنا لا أبايـع يزيد، بل قال: «**مثلي لا يبايـع مثلـه**». فالحقّ والباطل كانا متعارضين طـوال التاريخ وسيبقيان على هذا الحال.

وجاء فـي القرآن الكريم: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[2]، وفـي كربلاء قطع الحرّ الطريـق على الإمـام الحسين عليه السلام، ولكن الإمام عليه السلام سمـح بالماء لجيش الحرّ وخيولهم.

أوصى القرآن الكريم باتّباع الحقّ وأوليائه والوفاء، وأمّا ظهر يوم عاشوراء، فقد كان أصحاب الإمام عليه السلام يتلقّون سهام العدوّ، ومع ذلك كانوا يصرّون على الصلاة، حتّـى إذا ما قضوا كان يأتي الإمام الحسين عليه السلام يقف عند رؤوسهم فيقول الواحد منهم: هل وفيت؟ وكأنّهم كانوا حتّى تلك اللحظة يشكّون في وفائهم للإمام عليه السلام.

يوصـي القـرآن الكريم فـي الكثير مـن الأماكـن بالتوحيد، ويقـول الإمام الحسين عليه السلام: «**لا معبود سواك**»، وهي أفضل تجلّيات آيات القرآن.

ويوصي القرآن الكريم بالنهي عن المنكر والغيرة في الدّين والدفاع عن الحريم وفـي كربلاء وقـف الإمام الحسيـن عليه السلام يخاطب جيش يزيد يطلـب منهم عدم التعرّض للخيم والنساء: «**فإن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم**».

---

(١) سورة هود الآية ١١٢.

(٢) سورة الرعد الآية ٢٢.

أوصى القرآن الكريم بالرضا والتسليم أمام الله تعالى، وهكذا كان الإمام الحسين عليه السلام بين الرضا والتسليم، كان في يوم من الأيّام على كتف الرسول وفي يوم تطؤه خيل الأعداء، وكان راضياً مسلّماً.

القرآن، الصلاة، والإمام الحسين عليه السلام

- إذا كان القرآن الكريم يتحدّث في بداية أكبر سوره: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١]، وتحدّث في أصغر السور أيضاً عن الصلاة، فالإمام الحسين عليه السلام هو الذي أقامها: «**أشهد أنّك قد أقمت الصلاة**»[٢].
- وإذا جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٣]، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام أقام صلاة الجماعة على مرأى الأعداء.
- وإذا علّم الله تعالى الرسول صلى الله عليه وآله كيفيّة إقامة الصلاة في ساحة الحرب: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ...﴾[٤]، فالإمام الحسين عليه السلام أقام الصلاة في ساحة الحرب.
- إذا كانت الصلاة في القرآن عبارة عن مصدر طاقة غيبيّة وقد دعا المؤمنين للاستعانة بها: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٥]، فالإمام الحسين عليه السلام قد استعان بالصلاة في أوج الحرب.
- وإذا أوصى القرآن بإقامة الصلاة أوّل وقتها: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[٦]، فالإمام الحسين عليه السلام أقام صلاة ظهر يوم العاشر أوّل الوقت.
- وإذا كان عيسى مأموراً بالصلاة حتّى آخر نفس من حياته: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ

(١) سورة البقرة الآية ٣.
(٢) زيارة عاشوراء.
(٣) سورة البقرة الآية ٤٣.
(٤) سورة النساء الآية ١٠٢.
(٥) سورة البقرة الآية ١٥٣.
(٦) سورة الإسراء الآية ٧٨.

وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[١]، فالإمام الحسين عليه السلام كان برفقة الصلاة حتّى نهاية حياته.

- وإذا امتدح القرآن الكريم الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٢]، فماذا ينبغي القول حول الإمام الحسين عليه السلام الذي لم يجعله شيء، حتّى روحه ونفسه، غافلاً عن الصلاة؟!

- لم يصلِّ الإمام الحسين عليه السلام الصلاة بمفرده، بل صلّى مع ذلك صلاة المصلّين الآخرين، جاء في الحديث: ثلاثة تبعث على قبول الصلاة: حضور القلب، وصلاة النافلة، وتربة سيّد الشهداء.

- الإمام الحسين عليه السلام يطلب من أخته زينب أن تدعو له في صلاتها.

- يجب إقامة الصلاة في المجتمع بشكل علنيّ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، والإمام الحسين أقام الصلاة أمام أنظار الجميع، مع أنّ بإمكانه إقامتها في خيمته.

- أُلقي ثلاثون سهماً على الإمام عند إقامته صلاة الظهر في عاشوراء، وهذا يعني سهماً مقابل كلّ كلمة من الحمد والركوع والسجود.

- في الواقع، ما هي هذه الصلاة التي أجّل الإمام الحسين عليه السلام الحرب بسببها من التاسع إلى العاشر من المحرّم حيث كان يقول: «**إنّي أحبّ الصلاة**» ولم يقل: أريد أن أصلّي، بل قال: إنّي أحبّ الصلاة؟ الكثير منّا يصلّي، ولكن كم نحبّ الصلاة؟

قال زرارة: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك أسألك في الحجّ منذ أربعين عاماً فتفتيني، فقال عليه السلام: «**يا زرارة بيت يُحجّ قبل آدم عليه السلام بألفي عام، تريد أن تفنى مسائله في أربعين عاماً؟!**»[٣].

---

(١) سورة مريم الآية ٣١.
(٢) سورة النور الآية ٣٧.
(٣) الحرّ العامليّ: وسائل الشيعة، كتاب الحجّ، الباب ١ من أبواب وجوب الحجّ، ح ١٢.

لا يمكـن خلاصــة أسرارها ببضع كلمات.. مع العلـم أنّ الكعبة وجميع أسرارها ورموزها التي أشار إليها الإمام عليه السلام، هي قبلة الصلاة فقط، والقبلة إحدى شروط الصلاة!!

- كان الإمــام الحسين عليه السلام حاضــراً ليقطّع جسده إرباً إربــاً، وأن لا تفقد الصلاة قيمتهــا. كان رأســ الإمــام الحسين عليه السلام يتمتــم بآيات القرآن وهــو على رأس الرمــح، فالرأســ كان مفصــولاً عــن البدن، ولكــن القلب لم يكــن لينفصل عن القرآن.

من هنا ينبغي دعوة محبّي الإمام الحسين عليه السلام أن لا ينسوا الصلاة، صلاة ظهر يوم العاشر وصلاة الإمام الأخيرة. عليكم إقامتها بإخلاص وعظمة.

عبد الله بن عبّاس والنهضة الحسينيّة[1]

تمهيد:

عبد الله بن عبّاس من الشخصيّات المهمّة المشهورة عند المسلمين سنّةً وشيعةً، وهو يحتلّ مكانةً مرموقةً عندهم، ومع أنّه من التلاميذ المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام، ومن أبرز الشخصيّات الهاشميّة في ذلك الوقت، وقد عاصر ثورة سيّد الشهداء عليه السلام ونهضته، بيد أنّه لم يشارك فيها، وهذا ما سنحاول معرفة أسبابه في هذا البحث.

المقدّمة:

هو عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين في مكّة، وتوفّي سنة ثمان وستّين هجريّة في الطائف.

قال عنه السيّد الخوئيّ قدّس سرّه: عدّه الشيخ الطوسيّ تارةً في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرى في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وثالثة في أصحاب الحسين عليه السلام، قائلاً: «**عبد الله وعبيد الله معروفان**»، وعدّه البرقيّ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وروى عنه عطاء بن أبي رباح، في تفسير القمّي: سورة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ** ﴾.

---

(١) هذا البحث أخذناه من كتاب الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرّمة، الجزء الثاني من موسوعة مع الركب الحسينيّ من المدينة إلى المدينة، تأليف الشيخ نجم الدّين الطبسيّ، وقد أجرينا عليه بعض التعديل والترتيب والتقديم والتأخير والإضافة في موارد قليلة ومحدودة.

قـال العلّامة في القسم الأوّل من الخلاصة، من الباب (٢) من حرف العين: «**عبد الله ابـن العبّاس، مـن أصحـاب رسـول الله ﷺ، كان محبّـاً لعلـيّ عليه السلام، وتلميـذه، حالـه فـي الجلالـة والإخلاص لأميـر المؤمنيـن عليه السلام أشهر مـن أن يخفى. وقد ذكـر الكشّـي أحاديث تتضمّن قدحاً فيه! وهو أجـلّ من ذلك، وقد ذكرناها في كتابنا الكبيـر وأجبنـا عنهـا رضـي الله تعالى عنـه**» انتهى. وذكره ابن داود فـي القسم الأوّل (٨٦٤)، وقال: «**عبد الله بن العبّاس (ل- ي) رضي الله عنه، حاله أعظم من أن يشار إليه في الفضل والجلالة ومحبّة أمير المؤمنين عليه السلام وانقياده إلى قوله**». انتهى.

ولـه مفاخرةٌ مع معاوية وعمـرو بن العاص وقد ألقمهما حجـراً، رواها الصدوق في الخصال: في باب الأربعة، قول معاوية: إنّي لأحبّك لخصالٍ أربع، الحديث ٣٥.

وقـد شهد عند معاوية بأنّه سمع رسول الله ﷺ، قال: «**أنـا أولى بالمؤمنين من أنفسهم**»، ثم ذكر بعد ذلك عليّ بن أبي طالب، والحسن بن علي، والحسين، وأولاده التسعـة عليهم السلام. الخصال: بـاب الاثني عشر، في أنّ الخلفـاء والأئمّة بعد النبيّ اثنا عشر، الحديث ٤١.

ثمّ إنّ الكشّي ذكر في عبد الله بن العبّاس (١٥) عدّة رواياتٍ مادحة....

هـذا والأخبـار المرويّة في كتـب السير والروايـات الدالّة على مـدح ابن عبّاس وملازمتـه لعلـيّ ومـن بعـده الحسن والحسيـن عليهم السلام كثيـرة، وقد ذكـر المحدّث المجلسـيّ قدّس سـرّه مقداراً كثيراً منهـا في أبوابٍ مختلفةٍ مـن كتابه البحار، من أراد الإطّـلاع عليهـا فليراجع سفينـة البحار في مـادة عبس. ونحـن وإن لم نظفر بروايـةٍ صحيحةٍ مادحـةٍ، وجميع ما رأيناه من الروايات فـي إسنادها ضعف، إلّا أنّ استفاضتهـا أغنتنـا عن النظر فـي إسنادها، فمـن المطمأَنّ به صـدور بعض هذه الروايات عن المعصومين إجمالاً»[1].

وقـال ابن أبي الحديد المعتزليّ: «**وقد علم الناس حال ابن عبّاس في ملازمته**

(١) معجم رجال الحديث ج ١١ ص ١٨٨.

لـه- أي علـيّ عليه السلام - وانقطاعه إليه، وإنّه تلميـذه وخرّيجُه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط..»[١].

وقـال الشيخ حسن بـن الشهيد الثاني: «**عبـد الله بن العبّاس حالـه في المحبّة والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين، والموالاة والنصرة له، والذبّ عنه، والخصام في رضاه، والموازرة ممّا لا شبهة فيه..**»[٢].

ابن عبّاس مع أمير المؤمنين عليه السلام :

كان الإمام عليّ عليه السلام يثق بابن عبّاس كثيراً، يدلّ على ذلك ما ذكره الرّيشهريّ نقـلاً عـن أصحاب السير، مـن أنّ الإمام عليّاً عليه السلام جعله قائـد مقدّمة جيشه في حـرب الجمل[٣]، وكان آمر ميسـرة جيشه في حرب صفّين[٤]، ومـا ذكره أيضاً من أنّـه عليه السلام قد استوزره[٥] وأنّه عليه السلام كان مصرّاً على تعيينه حكماً مقابل عمرو بن العاصـ[٦]، لكنّ إصرار فئةٍ من جيشـ الإمام- وهم الذين صاروا خوارج بعد ذلك- حال دون ذلك.

ابن عبّاس وأكذوبة أموال البصرة:

وقـد حاول أعداء أهل البيت عليهم السلام الطعن في هذه الشخصيّة الهاشميّة الجليلة فافتـروا عليه أكذوبة اختلاس أموال بيت المال في البصرة أيّام كان والياً عليها في حيـاة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد انبـرى محقّقون كثيرون مـن علمائنا لتفنيد هذه الأكذوبـة، ولتنزيه ساحة حبر الأمّة من أدرانها، ويحسن هنا أن ننتقي بعض المتون الواردة دفاعاً عن ساحة ابن عبّاس (رض):

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ١٩.
(٢) التحرير الطاووسيّ: ٣١٢.
(٣) موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنّة ج ٦ ص ٤٧.
(٤) م. ن. ج ٦ ص ٢١٨.
(٥) م. ن. ج ٦ ص ٧٨، نقلاً عن الإمامة والسياسة للدينوريّ.
(٦) م. ن. ج ٦ ص ٤٣٥.

روى السيّد المرتضى في أماليه قال: «**دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بالبصرة فقال لسليمان: أخبرني عن قول عليّ عليه السلام في عبد الله بن العبّاس: يفتينا في النملة والقملة وطار بأموالنا في ليلة! فقال له: كيف يقول هذا؟! وابن عبّاس لم يفارق عليّاً حتّى قتل، وشهد صلح الحسن عليه السلام! وأيّ مالٍ يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة عليّ عليه السلام إلى الأموال، وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كلّ خميس ويرشّه، وقالوا: إنّه كان يُقيل فيه! فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة؟! وهذا باطل!**»[1].

وقال السيّد الخوئيّ: «**هذه الرواية- أي رواية اختلاس أموال البصرة- وما قبلها من طرق العامّة، وولاء ابن عبّاس لأمير المؤمنين وملازمته له عليه السلام هو السبب الوحيد في وضع هذه الأخبار الكاذبة وتوجيه التهم والطعون عليه، حتّى إنّ معاوية.. كان يلعنه بعد الصلاة! مع لعنه عليّاً والحسنين وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر كما عن الطبريّ وغيره، وأقلّ ما يقال فيهم أنّهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف كان يلعنهم ويأمر بلعنهم؟!**».

إلى أن يقول: «**والمتحصّل ممّا ذكرنا: أنّ عبد الله بن عبّاس كان جليل القدر مدافعاً عن أمير المؤمنين والحسنين عليهما السلام كما ذكره العلّامة وابن داود**»[2].

وقال ابن أبي الحديد: «**وقال آخرون وهم الأقلّون: هذا لم يكن، ولا فارق عبد الله بن عبّاس عليّاً عليه السلام ولا باينه ولا خالفه، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قُتل عليّ عليه السلام.. ويدلّ على ذلك ما رواه أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ من كتابه الذي كتبه إلى معاوية من البصرة لمّا قُتل عليّ عليه السلام. قالوا: وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية ويجرّه إلى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمّال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال، فمالوا وتركوا أمير**

(١) أمالي المرتضى، ١: ١٧٧.
(٢) معجم رجال الحديث، ١٠: ٢٣٩.

المؤمنين عليه السلام، فما باله وقد علم النبوّة التي حدثت بينهما، لم يستمل ابن عبّاس ولا اجتذبه إلى نفسه، وكلّ من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقّة ابن عبّاس لمعاوية بعد وفاة عليّ عليه السلام وما كان يلقاه به من قوارع الكلام وشديد الخصام، وما كان يثني به على أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر خصائصه وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضدّ لما اشتهر من أمرهما. وهذا عندي هو الأمثل والأصوب»[١].

وقال التستريّ: «**الأصل في جعلهم هذا الخبر- اختلاس أموال البصرة- في ابن عبّاس إرادتهم دفع الطعن عن (بعضهم) باستعماله في أيّام إمارته المنافقين والطلقاء- كالمغيرة بن شعبة ومعاوية- وتركه أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم..**»[٢].

ويحسن هنا أن ننظر إجمالاً في سندي خبري الاختلاس اللذين أوردهما الكشّي: سند الخبر الأوّل: «**قال الكشّي: روى عليّ بن يزداد الصائغ الجرجانيّ، عن عبد العزيز بن محمّد بن عبد الأعلى الجزريّ، عن خلف المحروميّ البغداديّ، عن سفيان بن سعيد، عن الزهريّ قال: سمعت الحارث يقول:...**»[٣].

ويكفي هذا السند ضعفاً وجود سفيان بن سعيد (الثوريّ) فيه، الذي هو ليس من أصحابنا، وورد في ذمّه أحاديث صحيحة[٤].

هذا فضلاً عن عدائه لعليّ عليه السلام، ولا ننسى قوله المعروف: «**أنا أبغض أن أذكر فضائل عليّ!**»[٥].

وفي السند أيضاً: الزهريّ الذي عُرف بأنّه كان يدلّس عن الضعفاء[٦].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٤: ١٧١.
(٢) قاموس الرجال، ٦: ٤٤١.
(٣) اختيار معرفة الرجال، ١: ٢٧٩، رقم ١٠٩.
(٤) راجع: منتهى المقال، ٣: ٣٥١.
(٥) سير أعلام النبلاء، ٧: ٣٥٣.
(٦) راجع: تهذيب الكمال، ٣٠: ٤٧١، وميزان الاعتدال، ٢: ١٦٩، وتهذيب التهذيب، ١١: ٢١٨.

وعُـرِف الزهريّ بأنّـه أفسد نفسه بصحبة الملوك، وتـرك بعضهم حديثه لكونه كان مداخلاً للخلفاء![١].

أمّا سند الخبر الثاني فهو:

«**قال الكشّي: قال شيخ من أهل اليمامة، يذكر عن معلّى بن هلال، عن الشعبيّ قال:...**»[٢].

ونقول:

١- لكلمـة الشيخ إطلاقات عديدة: منها: من له إلمـام بالحديث، الزعيم الدينيّ، رئيـس القبيلة، لكـنّ هذا العنوان لا محالة مهمل ولا يمكـن الاعتماد عليه إذ لا يخرج عن الإبهام والترديد.

٢- معلّى بن هلال: قال فيه أحمد بن حنبل: متروك الحديث، حديثه موضوع كذب، وقـال فيـه ابن معين: هو من المعروفين بالكذب ووضـع الحديث. وقال فيه أبو داود: غير ثقة ولا مأمون. وقال سفيان: هذا من أكذب الناس.

وقال في المغني: كذّاب بالاتفاق[٣].

٣- الشعبـيّ: وهـو عامر بـن شراحيل، قال الشيـخ المفيد (ره): وبلـغ من نصب الشعبـيّ وكذبه أنّه كان يحلف بـالله أنّ عليّاً دخل اللحد وما حفظ القرآن، وبلغ مـن كذبه أنّه قـال: لم يشهد مـن الجمل من الصحابـة إلّا أربعة، فـإن جاؤوا بخامسـ فأنّا كذّاب.. كان الشعبيّ سكّيراً خمّيـراً مقامراً، روي عن أبي حنيفة أنّه خرق ما سمع منه لما خمره وقمره[٤].

وروى أبو نعيم، عن عمرو بن ثابت، عن أبي إسحاق قال: ثلاثة لا يُؤمَنون على عليّ

(١) راجع: سير أعلام النبلاء، ٥: ٣٣٩.
(٢) اختيار معرفة الرجال، ١: ٢٧٩، رقم ١١٠.
(٣) راجع: ميزان الاعتدال، ٤: ١٥٢، وتهذيب التهذيب، ١٠: ٢٤١.
(٤) راجع: الفصول المختارة: ١٧١، وقاموس الرجال، ٥: ٦١٢.

بن أبي طالب: مسروق، ومرّة، وشريح، ورُوي: أنّ الشعبيّ رابعهم[١].

قال الشهيد الثاني: جملة ما ذكره الكشّي من الطعن فيه- أي ابن عبّاس- خمسة أحاديث كلّها ضعيفة السند..»[٢].

وقال العلّامة الحلّيّ: «.. **وقد ذكر الكشّي أحاديث تتضمّن قدحاً فيه، وهو أجلّ من ذلك، وقد ذكرناها في كتابنا الكبير وأجبنا عنها**»[٣].

وقال التفرشيّ: «**وما ذكره الكشّي من الطعن فيه ضعيف السند**»[٤].

ابن عبّاس مع الإمام الحسن عليه السلام:

استمرّ ابن عبّاس بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في ولائه لأهل البيت الطاهر، وبقي إلى جانب الإمام الحسن، عليه السلام، حتّى استشهاده، فبعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام ولمّا أنهى الإمام الحسن عليه السلام خطبته في الناس، قام عبد الله بن عبّاس بين يديه فقال: «**معاشر الناس هذا ابن نبيّكم ووصيّ إمامكم فبايعوه..**»[٥]. وكان (رض) والياً للإمام الحسن عليه السلام على البصرة كما كان والياً لأمير المؤمنين عليه السلام عليها.

موقف ابن عبّاس من الثورة الحسينيّة:

سجّل لنا التأريخ أكثر من محاورةٍ تمّت بين الإمام عليه السلام وبين عبد الله بن عبّاس، وقد كشفت هذه المحاورات في مجموعها عن أنّ ابن عبّاس (رض) كان قد تحرّك في حدود السعي لمنع الإمام عليه السلام من الخروج إلى العراق- لا لمنعه من القيام والثورة على الحكم الأمويّ-، وكانت حجّته في اعتراضه على خروج الإمام عليه السلام إلى الكوفة، أنّ على أهل الكوفة- قبل أن يتوجّه إليهم الإمام عليه السلام -

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٤: ٩٨.
(٢) انظر: سفينة البحار، ٦: ١٢٨.
(٣) خلاصة الأقوال: ١٠٣.
(٤) نقد الرجال، ٣: ١١٨.
(٥) كشف الغمّة: ٢: ١٥٩، وراجع: مقاتل الطالبيّين: ٣٣.

أن يتحرّكوا عمليّاً لتهيئة الأمور وتمهيدها للإمام عليه السلام، كأن يطردوا أميرهم الأمويّ أو يقتلوه، وينفوا جميع أعدائهم من الأمويّين وعملائهم وجواسيسهم في الكوفة، ويضبطوا إدارة بلادهم، وآنئذٍ يكون من الرشاد والسداد أن يتوجّه إليهم الإمام عليه السلام، وإلّا فإنّ خروج الإمام عليه السلام إليهم- وهم لم يحرّكوا ساكناً بعدُ- مخاطرةٌ لا تكون نتيجتها إلّا القتل والبلوى، وممّا قاله ابن عبّاس للإمام عليه السلام في صدد هذه النقطة:

«**أخبرني رحمك الله، أتسير إلى قومٍ قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم؟! فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسِرْ إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهرٌ لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فإنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك!.**»[1].

وقال له أيضاً: «..**فإن كان أهل العراق يريدونك- كما زعموا- فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج فَسِرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهي أرضٌ عريضةٌ طويلةٌ، وتبثّ دعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية**»[2].

هذه أهمّ نقطةٍ أثارها عبد الله بن عبّاس في مجموع محاوراته مع الإمام عليه السلام، وهي كاشفةٌ عن محورٍ أساسٍ في تفكير ابن عبّاس يتلخّص في تأييده لقيام الإمام عليه السلام واعتراضه فقط على الخروج إلى العراق قبل تحرّك أهله وقيامهم، وهذا فارقٌ كبيرٌ من مجموع الفوارق بين موقف ابن عبّاس وموقف عبد الله بن عمر الذي كان يعترض على أصل القيام ضدّ الحاكم الأمويّ الجائر.

لكنّ هذه النقطة بالذات كاشفةٌ أيضاً عن انتماء ابن عبّاس إلى مجموعة

(١) الطبريّ: تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٢٩٤.
(٢) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام):٢٠٤، رقم ٢٥٥.

الناصحين والمشفقين الذين نظروا إلى القضيّة بمنظار النصر الظاهريّ الذي لم تكن متطلّباته لتخفى على الإمام عليه السلام، لو كان قد تحرّك بالفعل للوصول إلى ذلك النصر.

والآن فلنأتِ إلى نصوص محاورات ابن عبّاس مع الإمام عليه السلام:

المحاورة الأولى:

وهي محاورةٌ ثلاثيّةٌ كان عبد الله بن عمر، الثالث فيها، ويبدو أنّ هذه المحاورة حصلت في الأيّام الأولى من إقامة الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرّمة، وكان بها يومئذٍ ابن عبّاس وابن عمر (وقد عزما أن ينصرفا إلى المدينة)، ونحن نركّز هنا على نصوص التحاور فيها بين الإمام عليه السلام وبين ابن عبّاس، لأنّنا الآن بصدد تشخيص أبعاد موقفه وتحرّكه.

وقد ابتدأ ابن عمر القول، في هذه المحاورة، محذّراً الإمام عليه السلام من عداوة البيت الأمويّ وظلمهم وميل الناس إلى الدنيا، وأظهر له خشيته عليه من أن يقتل، وأنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**حسينٌ مقتولٌ، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلهم الله إلى يوم القيامة**»[1]، ثمّ أشار على الإمام عليه السلام أن يدخل في صلحٍ ما دخل فيه الناس، وأن يصبر كما صبر لمعاوية!!.

فقال له الحسين عليه السلام: «**أبا عبد الرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه ما قال؟!**».

فقال ابن عبّاس: صدقتَ أبا عبد الله، قال النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته: «**ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد!، وإنّه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين عليه السلام، والذي نفسي بيده لا يُقتل ولدي بين ظهراني قومٍ فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم!**».

(١) الفتوح، ٥: ٢٦-٢٧.

ثمّ بكى ابن عبّاس، وبكى معه الحسين عليه السلام.

وقال: «**يا ابن عبّاس، تعلمُ أنّي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!**».

فقال ابن عبّاس: «**اللّهمّ نعم، نعلمُ ونعرف أنّ ما في الدنيا أحدٌ هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيرك، وأنّ نصرك لفرضٌ على هذه الأمّة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل إحداهما دون الأخرى!**».

قال الحسين عليه السلام: «**يا ابن عبّاس، فما تقول في قومٍ أخرجوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من داره وقراره ومولده، وحرم رسوله، ومجاورة قبره، ومولده، ومسجده، وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقرّ في قرار ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يُشرك بالله شيئاً، ولا اتّخذ من دونه وليّاً، ولم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله؟!**».

فقال ابن عبّاس: «**ما أقول فيهم إلّا** ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[1]، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾[2]، **وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأمّا أنت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّك رأس الفخار برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن نظيرة البتول[3]، فلا تظنّ يا ابن بنت رسول الله أنّ الله غافلٌ عمّا يعمل الظالمون، وأنا أشهد أنّ من رغب عن مجاورتك، وطمع في محاربتك ومحاربة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فما له من خلاق**».

فقال الحسين عليه السلام: «**اللّهمَّ اشهد**».

فقال ابن عبّاس: «**جُعلتُ فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنّك تريدني إلى نفسك، وتريد منّي أن أنصرك! والله الذي لا إله إلّا هو أن لو ضربتُ بين يديك بسيفي**

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٢- ١٤٣.

(٣) يعني مريم ابنة عمران عليها السلام.

هـذا حتّـى انخلع جميعاً من كفّي لما كنت ممّن أوفّي مـن حقّك عُشر العُشر، وها أنا بين يديك مرني بأمرك».

وهنـا يتدخّـل ابن عمر ليغيّر مجـرى الحوار- حين أحسَّ أنّ الـكلام بلغ الدرجة الحرجـة بقول الإمام عليه السلام: «**اللّهمّ اشهد**» أنّ الحجّة قائمةٌ على المخاطب، وصار الحديـث علـى لسان ابن عبّاس الـذي أدرك مغزى «**اللّهمّ اشهـد**» في وجوب نصرة الإمام عليه السلام ووجوب الانضمام إلى رايته في القيام ضدّ الحكم الأمويّ، الأمر الذي يعنـي أنّه (أي ابن عمر) مقصودٌ أيضاً بالامتثـال لهذا الواجب- فقال لابن عبّاس: «**مهلاً، ذرنا من هذا يا ابن عبّاس!!**».

ثـمّ عطف يخاطب الإمـام عليه السلام داعياً إيّاه إلـى الرجوع إلـى المدينة والتخلّي عمّـا عزم عليه من القيام، وطالباً منـه الدخول في صلح القوم، والصبر حتّى يهلك يزيـد!!، ويدّعـي ابن عمـر هنا أنّ الإمـام عليه السلام متروك ولا بأس عليـه إن هو ترك القيام حتّى وإنْ لم يبايع!!

وهنا يُظهر الإمام عليه السلام تبرّمه من منطق ابن عمر، ثمّ يُلزمه بالتسليم لحقيقة أنّ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في طهره ورشده ومنزلته الخاصّة ليس كيزيد بن معاوية، ويُعلمـه أنّ الأمويّيـن لا يتركونه حتّى يبايـع أو يُقتل، ثمّ يدعوه إلـى نصرته، فإن لم ينصره فلا أقلّ من أن لا يسارع بالبيعة!!

ثمّ أقبل الإمام الحسين عليه السلام على ابن عبّاس رحمه الله..

فقـال: «**يا ابن عبّاس، إنّك ابن عمّ والـدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنـت مـع والدي تشير عليـه بما فيه الرشـاد، وقد كان يستنصحـك ويستشيرك فتشيـر عليـه بالصـواب، فامضِ إلـى المدينـة في حفـظ الله وكلائـه، ولا يَخفَ علـيّ شيءٌ من أخبـارك، فإنّي مستوطنٌ هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهله يحبُّوننـي وينصرونـني، فـإذا هـم خذلونـي استبدلـتُ بهـم غيرهـم، واستعصمتُ بالكلمـة التـي قالها إبراهيم الخليـل عليه السلام يومَ أُلقي في النـار (حسبي الله ونعم**

الوكيل) فكانت النّار عليه برداً وسلاماً».

.. فبكى ابن عبّاس وابن عمر في ذلك الوقت بكاءً شديداً، والحسين عليه السلام يبكي معهما ساعة، ثمّ ودّعهما، وصار ابن عمر وابن عبّاس إلى المدينة[1].

تأمّل وملاحظات:

١- أكّد ابن عبّاس (رض)- في أوّل ما نطق به خلال هذه المحاورة- أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بلّغ الأمّة بأنّ يزيد قاتل الحسين عليه السلام، وأنّ على الأمّة أن تحمي الإمام عليه السلام وتنصره، وقد حذّر صلى الله عليه وآله وسلم الأمّة بأنّ الإمام عليه السلام لا يُقتل بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم! وقد أكّد ابن عمر أيضاً على وقوع هذا التحذير والإنذار النبويّ حيث قال إنّه سمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولم ينصروه، ليخذلهم الله إلى يوم القيامة**»، وهذا يعني أنّ الأمّة كان قد شاع في أوساطها خبر ملحمة مقتل الحسين عليه السلام وأنّ يزيد قاتله، وأنّ على الأمّة التحرّك لحماية الإمام عليه السلام ونصرته!! لكنّ الأمّة بعد خمسين سنة من ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعمتها أضاليل حركة النفاق عامّة، وفصيل الحزب الأمويّ منها خاصّة، فتناءت عن وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحذيراته، الأمر الذي استشعر ابن عبّاس مرارته ونتائجه الخطيرة فبكى، وشاركه الإمام عليه السلام في البكاء!

٢- أكّد ابن عبّاس (رض) في هذه المحاورة على معرفته بمقام الحسين عليه السلام وضرورة موالاته ونصرته، بدليل قوله: «.. **وأنّ نصرك لفرض على هذه الأمّة كفريضة الصلاة والزكاة..**»، وفي قوله: «.. **لو ضربتُ بين يديك بسيفي هذا**

(١) الفتوح، ٥: ٢٦-٢٧ ومقتل الحسين للخوارزميّ، ١: ٢٧٨ – ٢٨١، لقد تفرّد ابن أعثم الكوفيّ في كتابه «**الفتوح**» برواية تمام هذه المحاورة، ونقلها عنه الخوارزميّ في كتابه «**مقتل الحسين** عليه السلام»، وقد تضمّنت هذه المحاورة بعض الفقرات التي لا يمكن للمتتبّع المتأمّل إلّا أن يتحفّظ حيالها إن لم يقطع بكذبها ورفضها، خصوصاً في بعض نصوص التحاور بين الإمام وابن عمر..

حتّى انخلع جميعاً من كفّي لما كنت ممّن أوفّي من حقّك عُشر العُشر..».

٣- كما أكّد (رض) على معرفته بكفر الأمويّين ونفاقهم، وأنّهم ومن أطاعهم في محاربة الإمام عليه السلام ممّن لا نصيب لهم من الخير في الآخرة.

٤- قد يُستفاد من قوله (رض): «**كأنّك تريدني إلى نفسك، وتريد منّي أن أنصرك... إلى قوله: وها أنا بين يديك مُرني بأمرك**» أنّه وإن كان كبير السنّ يومذاك لكنّه كان صحيح القوى، سليم الجوارح، وإلّا لما عرض استعداده للنصرة والجهاد، فلم يكن مكفوف البصر مثلاً- كما يُستفاد ذلك من رواية لقائه بأمّ سلمة (رض) بعد سماع صراخها تنعى الحسين[1] عليه السلام- نعم يمكن القول إنّ الإمام عليه السلام في جميع محاوراته مع ابن عبّاس لم يطلب منه الالتحاق به ونصرته، ممّا يقوّي القول بأنّه كان ضعيف البصر جدّاً أو مكفوفاً آنذاك، ومعذوراً عن الجهاد، إلّا أنّه (رض) عرض للإمام عليه السلام استعداده للجهاد والتضحية بين يديه استشعاراً منه لوجوب نصرة الإمام عليه السلام والذبّ عنه وإنْ كان معذوراً.

٥- وقد يُستفاد أيضاً من أحد نصوص هذه المحاورة أنّ الإمام عليه السلام رخّص لابن عبّاس (رض) بالبقاء وعدم الالتحاق بركبه، حيث قال عليه السلام له: «**فامضِ إلى المدينة في حفظ الله وكلائه، ولا يَخفَ عليّ شيء من أخبارك**».

٦- أخبر الإمام عليه السلام ابن عبّاس (رض)- في الأيّام الأولى من إقامته في مكّة المكرّمة- أنّ الأمويّين يريدون قتله وسفك دمه!، والإمام عليه السلام بهذا ربّما أراد أن يُخبر عن وجود خطّة وضعتها السلطة الأمويّة المركزيّة بالفعل لقتله في المدينة أو في مكّة، أو أراد أن يُخبر عن حقيقة أنّه (ما لم يبايع يُقتل)، مؤكّداً بذلك على عدم صحّة دعوى بعض من يقول- كابن عمر مثلاً- إنّه عليه السلام لا بأس عليه ولا خطر إن ترك المعارضة وصبر حتّى وإن لم يبايع!

(١) أمالي الطوسيّ ص ٣١٤- ٣١٥، المجلس ١١، الحديث ٦٤٠/ ٨٧.

٧- ومع علمه عليه السلام بأنّه ما لم يبايع يقتل! ومع إصراره على أن لا يكون هو الذي تُستباح بقتله حرمة البيت الحرام! يمكننا أن نفهم قوله عليه السلام لابن عبّاس (رض) في ختام هذه المحاورة: «**فإنّي مستوطن هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيت أهله يحبُّونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم..**» أنّه عليه السلام أراد أن يطمئن ابن عبّاس (والمحاورة في أوائل الأيّام المكيّة) أنّه باقٍ أيّاماً غير قليلة في مكّة، وأنّ هنالك متّسعاً من الوقت، وإلّا فإنّ الإمام عليه السلام قد جعل استيطانه الحرم مشروطاً بحبّ أهله إيّاه ونصرتهم له! وهو عليه السلام يعلم أنّه ليس في (المكيّين) إلّا نزر قليل جدّاً ممّن يحبّ أهل البيت عليهم السلام[١]، فليس له في مكّة قاعدة شعبيّة تحميه وتنصره في مواجهة السلطة الأمويّة.

المحاورة الثانية:

ويبدو أنّ هذه المحاورة حصلت بين ابن عبّاس (رض) وبين الإمام عليه السلام بعد رجوع ابن عبّاس من المدينة إلى مكّة المكرّمة مرّةً أخرى، إذ تقول الرواية التأريخيّة: «**وقدم ابن عبّاس في تلك الأيّام إلى مكّة، وقد بلغه أنّ الحسين عزم على المسير، فأتى إليه ودخل عليه مُسلِّماً.**

ثمّ قال له: جُعلتُ فداك، إنّه قد شاع الخبر في الناس وأرجفوا بأنّك سائرٌ إلى العراق! فبيّن لي ما أنت عليه؟[٢].

فقال: «**نعم، قد أزمعتُ على ذلك في أيّامي[٣] هذه إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم**».

فقال ابن عبّاس: أُعيذك بالله من ذلك، فإنّك إنْ سرت إلى قومٍ قتلوا أميرهم،

---

(١) عن الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال: «**ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا..**»، (كتاب الغارات: ٣٩٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٤: ١٠٤).

(٢) في تاريخ الطبريّ، ٣: ٢٩٤ «فبيّن لي ما أنت صانع؟».

(٣) وفيه أيضاً: «**قد أجمعت المسير في أحد يومَيَّ هذين...**».

وضبطوا بلادهـم، واتقوا عدوّهم[١]، ففي مسيرك إليهـم لعمري الرشاد والسداد، وإن سـرت إلى قـوم دعوك إليهم وأميرهم قاهرٌ لهـم، وعمّالهم يجبون بلادهم[٢]، فإنّمـا دعوك إلى الحـرب والقتال! وأنت تعلمُ أنّه بلدٌ قد قتـل فيه أبوك، واغتيل فيه أخـوك، وقُتل فيـه ابن عمّك وقد بايعه أهله (!) وعبيد الله في البلد يفرض ويُعطي، والنـاس اليوم عبيد الدينار والدرهم، فلا آمـن عليك أن تُقتل، فاتقِ الله والزم هذا الحـرم، فإن كنت على حالٍ لا بـدّ أن تشخص فَصِرْ إلى اليمن فإنَّ بها حصوناً لك، وشيعةً لأبيك، فتكون منقطعاً عن الناس.

فقال الحسين عليه السلام: «**لا بُدَّ من العراق!**».

قـال: فإن عصيتني فـلا تُخرج أهلك ونساءَك فيُقـال إنّ دم عثمان عندك وعند أبيك، فوالله ما آمَنُ أن تُقتل ونساؤك ينظرن كما قُتل عثمان.

فقال الحسين عليه السلام: «**والله يا ابن عمّ، لئن أُقتل بالعراق أحبّ إليَّ من أن أُقتل بمكّة، وما قضى الله فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون**»[٣].

تأمّل وملاحظات:

١- يمكـن تشخيص تأريخ هذه المحاورة مـن قرائن متون روايتها أنّها حصلت في الأيّام الأخيرة من إقامـة الإمام عليه السلام في مكّة، بدليل قوله عليه السلام «**قد أزمعتُ علـى ذلـك في أيّامـي هـذه..**»، أو أنّها حصلت في اليوم الأخيـر أو اليوم الذي قبلـه، بدليل قولـه عليه السلام كما في رواية الطبريّ: «**قد أجمعتُ المسير في أحد يوميّ هذين..**».

٢- تؤكّـد نصوص هذه المحاورة أنّ تصميم الإمـام عليه السلام على التوجّه إلى العراق قد شاع في الناس في مكّة وغيرها، خصوصاً في الأيّام الأواخر من إقامته فيها،

(١) وفيه أيضاً: «**أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم... ونفوا عدوّهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم...**».

(٢) فـي تاريـخ الطبريّ، ٣: ٢٩٤ «.. وعمّالـه تجبي بلادهم، فإنّهم إنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذّبوك ويخالفوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك ...».

(٣) الفتوح، ٥: ٧٢، وعنه مقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ، ١: ٣٠٩ – ٣١٠، ورواها الطبريّ في تأريخه، ٣: ٢٩٤ بتفاوت.

وهـذا لا ينافـي أن يبقي موعد السفـر سرّيّاً لو أراد الإمـام عليه السلام ذلك، مع أنّ نفس موعد سفر الركب الحسينيّ من مكّة لم يكن سرّيّاً إذ كان الإمام عليه السلام قد أعلن عنه في خطبته قبيل سفره حين قال فيها: «**... من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى**»[١].

٣- فـي هذه المحاورة يتجلّي المحور الأساس فـي تفكير ابن عبّاس (رض) وموقفه مـن قيام الإمام عليه السلام فهو مع القيام، وضـدّ الخروج إلى العراق قبل أن يتحرّك أهله عمليّاً لترتيب وتهيئة الأوضاع وتمهيدها استقبالاً لمقدم الإمام عليه السلام إليهم، وهذه المقولة صحيحة في حدود منطق النصر الظاهريّ الذي كانت تنطلق منه مشـورات ابن عبّاس (رضـ) ونصائحه، واللافت للانتبـاه أنّ الإمام عليه السلام لم يخطِّـئ مثل هذه المشورة والنصيحة في جميع المحاورات التي طُرحت فيها من قبل ابن عبّاس وغيره[٢]، بل كان يعلّق عليها بما يُشعر بصحّتها في حدود منطق الظاهر[٣].

٤- فـي ضوء منطق (الظاهر) يمكن للمتابع المتأمّل أن يفسّر قول الإمام عليه السلام «**لا بدّ من العراق**» أنّ إصراره عليه السلام على التوجّه إلى العراق كان بسبب رسائل أهل الكوفة إليه، إذ شكّلت هذه الرسائل حجّة على الإمام عليه السلام في وجوب الاستجابة لهـم والتوجّه إليهم، خصوصـاً بعد وصول رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام إليه وقد أخبـره فيها بـأنّ عدد المبايعين له فـي الكوفة بلغ ثمانية عشر ألفـاً (أو أكثر)، وطالبـه فيها بالقـدوم إليهم، ويؤيّد هذا ما رُوي عنـه عليه السلام أنّه قال لابن عبّاس

---

(١) مثير الأحزان: ٣٨.

(٢) كعمر بن عبد الرحمن المخزوميّ، وعمرو بن لوذان، ومحمّد بن الحنفيّة (رض).

(٣) فقـد قـال عليه السلام لابن عبّاس في محاورة أخرى بعدها (تأتي) وقد طرح فيها نفس المشورة: «**إنّي والله لأعلم أنّك ناصح مشفق**»، وقـال عليه السلام لعمر بن عبـد الرحمن وقد عرض نفـس المشورة: «**فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل**»، وقـال عليه السلام لعمرو بن لوذان وقد قدّم نفس هـذا الرأي: «**يا عبد الله، ليس يخفى عليّ الـرأي ولكنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره**».

في محاورة أخرى: «.. **وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم وقد وجب عليّ إجابتهم، وقام لهم العذر عليّ عند الله سبحانه**»(١).

أمّا في ضوء منطق «**العمق**» فإنّ قوله عليه السلام «**لا بدّ من العراق**» مع علمه بأنّ أهل الكوفة سوف يقتلونه ومن معه من أنصاره وتصريحات الإمام عليه السلام بأنّه سوف يُقتل كثيرة متضافرة لا بدّ أن يفسّر بأنّ الإمام عليه السلام يعلم أيضاً أنّ العراق هو الأرض المختارة للمصرع المختار، وميدان الواقعة الحاسمة، واقعة «**الفتح بالشهادة**»، الواقعة التي تكون نتائجها جميعاً لصالح الإسلام المحمّديّ الخالص وأهل البيت عليهم السلام إلى قيام الساعة، ذلك لأنّ الشيعة في العراق آنئذٍ أكثر منهم في أيّ إقليم إسلاميّ آخر، ولأنّ العراق لم ينغلق إعلاميّاً ونفسيّاً لصالح الأمويّين كما هو الشام، بل لعلّ العكس هو الصحيح، فالعراق، آنذاك، هو أرض المصرع المختار لما ينطوي عليه من استعدادات للتأثّر بالحدث العظيم «**واقعة عاشوراء**» والتغيّر على هدي إشعاعاتها.

ويؤيّد هذا التفسير (في العمق) أنّ الإمام عليه السلام ظلّ مصرّاً على التوجّه إلى الكوفة حتّى بعد انتفاء حجّة أهل الكوفة عليه عمليّاً حين بلغه خذلانهم لمسلم عليه السلام الذي أمسى وحيداً وجاهد وحيداً حتّى قُتل!

٥- ورد في هذه المحاورة قول ابن عبّاس (رض) للإمام عليه السلام: «.. **وأنت تعلمُ أنّه بلدٌ قد قتل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقُتل فيه ابن عمّك وقد بايعه أهله!...**» ولا شكّ أنّ المراد بـ (ابن عمّك) هو مسلم بن عقيل عليه السلام، ولذا فإنّ هذه العبارة شاذّة ومخالفة للمشهور الثابت، ذلك لأنّ خبر مقتل مسلم عليه السلام أتى الإمام الحسين عليه السلام بعد خروجه من مكّة في منزل من منازل الطريق (زرود)، ولعلّ هذه العبارة قد أُدخلت إدخالاً على أصل متن هذه المحاورة عمداً أو سهواً، والله العالم.

(١) معالي السبطين، ١: ١٥١.

كذلك الأمر في قول ابن عبّاس (رض) للإمام عليه السلام: «.. **فاتقِ الله والزم هذا الحرم..**»، ذلك لأنّ فيه من سوء الأدب في مخاطبة الإمام عليه السلام ما يبعد صدوره جدّاً عن ابن عبّاس (رض) العارف بمقام الإمام الحسين عليه السلام خاصّة وبمقام أهل البيت عليهم السلام عامّة.

٦- يمكن حمل قول الإمام عليه السلام: «.. **لئن أُقتل بالعراق أحبُّ إليَّ من أن أُقتل بمكّة..**» على أصل إصرار الإمام عليه السلام ألّا يكون هو القتيل في مكّة الذي تُستحلّ به حرمة هذا البيت، ويمكن حمل هذا القول أيضاً على حقيقة علمه عليه السلام بأنّ العراق هو أفضل أرض للمصرع المختار، كما قدّمنا قبل ذلك، ولأنّ الواقعة التي يُقتل عليه السلام فيها على أرض العراق سوف تكون إعلاميّاً وتبليغيّاً (على الأقلّ) في صالح الإمام عليه السلام تماماً بحيث لا يتمكّن العدوّ فيها أن يعتّم على مصرعه فتختنق الأهداف المرجوّة من وراء هذا المصرع الذي سيهزّ الأعماق في وجدان هذه الأمّة ويحرّكها بالاتجاه الذي أراده الحسين عليه السلام، وهذا بخلاف ما لو قتِل الإمام عليه السلام بمكّة غيلة في خفاء أو علانية، قتلة يمكن للعدوّ أن يُغطّي عليها ويتنصّل من مسؤوليّته عنها، بل يستفيد من نفس الحادثة لصالحه إعلاميّاً، إذ يقتل القاتل الذي كان قد أمره هو بقتل الإمام عليه السلام فيظهر للأمّة بمظهر المطالب بدم الإمام عليه السلام الثائر له، فتنطلي اللعبة على أكثر الناس، وتبقى مأساة الإسلام على ما هي عليه، بل تترسّخ المصيبة وتشتدّ.

٧- في ختام هذه المحاورة نقف أمام قول الإمام عليه السلام: «**وما قضى الله فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون**»، وقد تكرّر قوله عليه السلام «**أستخير الله**» في بعض محاوراته عليه السلام مع ابن الزبير وابن مطيع، وفي ردّه على كتاب المسوّر بن مخرمة.

فهل عنى الإمام عليه السلام بالاستخارة طلب معرفة ما فيه الخيرة من الأمور؟! وهل يعني هذا أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم تكن لديه خطّة على الأرض في مسار نهضته

منـذ البدء، ولم يكن لديه علم بما هـو قادم عليه من مصير في مستقبل أيّامه، وأنّ بوصلة الاستخارة هي التي كانت توجّه حركته؟!

وهل يوافق هذا: الاعتقاد الحـقّ بالشرائط اللازمة للإمامة المطلقة المتجسّدة فـي شخصيّات أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعـد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، خصوصاً على صعيد «**علم الإمام عليه السلام**»؟!

وهـل يصـدّق هذا التـراث الروائـيّ الكبيـر المتضافـر المأثور عـن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعنهـم عليهم السلام في إخباراتهم عن (الملاحم والفتـن) إلى قيام الساعة، وخصوصاً الإخبـارات المأثـورة عـن النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعن علـيّ والحسن والحسيـن عليهم السلام بصدد (ملحمة عاشوراء)؟!

قبل الإجابة يحسن بنا أن نتعرّض، هنا، إلى معنى الاستخارة لغة واصطلاحاً.

معنى الاستخارة:

الاستخـارة لغةً: طلـب الخِيرَة في الشـيء، واستخار الله: طلب منـه الخيرة، و: أللّهمّ خِر لي: أي اختر لي أصلح الأمرين[١].

وهي اصطلاحاً كما ورد في الروايات على معانٍ:

١- بمعنى طلب الخيرة من الله، بأن يسأل الله في دعائه أن يجعل له الخير ويوفّقه في الأمر الذي يريده.

٢- بمعنى تيسّر ما فيه الخيرة. وهو قريب من الأوّل.

٣- طلـب العزم على ما فيه الخير، بمعنى أن يسـأل الله تعالى أن يوجد فيه العزم على ما فيه الخير.

٤- طلب معرفة ما فيه الخيرة، وهو المتداول في العرف[٢].

(١) لسان العرب ٤: ٢٦٦- ٢٦٧.

(٢) راجع: مفتاح الكرامة، ٣: ٢٧٢، والحدائق الناضرة، ١٠: ٥٢٤.

لنرجع إلى أصل المسألة..

لا شكّ أنّ مراد الإمام عليه السلام من الاستخارة ليس معناها المتداول في يومنا هذا: وهو طلب معرفة ما فيه الخيرة، وأنّه عليه السلام كان يريد استكشاف الغيب بطريق الرجاء بلا جزم ويقين!!

إذ إنّ هذا ينافي الاعتقاد الحقَّ بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام عندهم علم ما كان وما هو كائن وما يكون إلى قيام الساعة موهبة من الله تبارك وتعالى، كما ينافي هذا روايات أخبار (الملاحم والفتن) الكثيرة المأثورة عنهم عليهم السلام والكاشفة عن علمهم بمسار وتفاصيل حركة أحداث العالم إلى قيام الساعة، وخصوصاً أخبار (ملحمة عاشوراء) المأثورة عن الخمسة أصحاب الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير صلوات الله عليهم أجمعين[1].

إذاً فمعنى الاستخارة، هنا، من الممكن أن يكون هو الدعاء إلى الله تبارك وتعالى في أن يجعل له عليه السلام الخير في مسعاه ويوفّقه في الأمر الذي يريده، أو أن ييسّر له ما فيه الخير بتذليل كلّ الصعوبات والعوائق لبلوغ ما يبتغيه عليه السلام في طريق نهضته المقدّسة، أو الدعاء إلى الله تبارك وتعالى في طلب المزيد من العزم والتصميم على ما فيه الخير وجزيل المثوبة.

ولا شكّ أنّ المتابع المتأمّل يُدرك أنّ الإمام عليه السلام في جميع محاوراته التي ذكر فيها أمر الاستخارة أراد بذلك أن يُسكت المخاطب عن الإلحاح في نهيه عمّا هو عازم عليه.

---

(١) ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام خاصّة ينبئ عن نهضته وعن مصرعه وعن قاتليه منذ طفولته، فعن حذيفة بن اليمان قال: «**سمعت الحسين بن عليّ يقول: والله ليجتمعنّ على قتلي طغاة بني أميّة، ويقدمهم عمر بن سعد. وذلك في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله. فقلت: أنبّأك بهذا رسول الله؟ قال: لا. فأتيت النبيّ فأخبرته فقال: علمي علمه، وعلمه علمي، وإنّا لنعلم بالكائن قبل كينونته**». (دلائل الإمامة: ١٨٣- ١٨٤).

لا يقال: كيف يمكن هذا في حقّ الحسين عليه السلام؟! هذا من الغلوّ فيه وفي أهل البيت عليهم السلام!!

ذلك لأنّ القوم يعتقدون بهذا لحذيفة بن اليمان (رض)، ويروون عنه من هذا القبيل، بل أكثر من هذا، فقد رووا عنه أنّه قال: «**والله إنّي لأعلم الناس بكلّ فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة**». (راجع: سير أعلام النبلاء:٢: ٣٦٥، عن أحمد ومسلم).

ولا ينافي ما قدّمنا إذا حدّثنا التأريخ أنّ الإمام عليه السلام لجأ لقطع إلحاح المحاور، إلى الاستفتاح بالقرآن، وهو يعلم نتيجة الاستفتاح مسبّقاً كما فعل ذلك مع ابن عبّاس نفسه، فقد رُوي «**أنّ ابن عبّاس ألحّ على الحسين عليه السلام في منعه من المسير إلى الكوفة، فتفاءل بالقرآن لإسكاته، فخرج الفأل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ...﴾**[1]، **فقال عليه السلام: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، صدق الله ورسوله». ثمّ قال: «يا ابن عبّاس، فلا تُلحَّ عليّ بعد هذا فإنه لا مردّ لقضاء الله عزّ وجلّ»**[2].

المحاورة الثالثة:

يقول التأريخ: فلمّا كان من العشيّ أو من الغد أتى الحسين عبد الله بن عبّاس...

فقال: يا ابن عمّ، إنّي أتصبّر ولا أصبر، إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدرٍ، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم، فإنْ أبيت إلّا أن تخرج فَسِرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهي أرضٌ عريضةٌ طويلةٌ ولأبيك بها شيعةٌ وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وتُرسل وتبثّ دُعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية!

فقال له الحسين عليه السلام: «**يا ابن عمّ، إنّي والله لأعلم أنّك ناصحٌ مشفق، ولكنّي قد أزمعت وأجمعت على المسير!**».

فقال له ابن عبّاس: فإن كنت سائراً فلا تَسِرْ بنسائك وصبيتك، فواللهِ إنّي لخائفٌ أن تُقتلَ كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه!

ثمّ قال ابن عبّاس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إيّاه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك، والله الذي لا إله إلّا هو، لو أعلم أنّك إذا

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.
(٢) ناسخ التواريخ، ٢: ١٢٢، ووسائل الشيعة، ٤: ٨٧٥.

أخذتُ بشعرك وناصيتك حتّى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعتني لفعلتُ ذلك!!

قال ثمّ خرج ابن عبّاس من عنده فمرَّ بعبد الله بن الزبير فقال: قرّت عينك يا ابن الزبير! ثمّ قال:

يَا لَكِ مِنْ قُنْبُرَةٍ بِمَعْمَرِ خَلاَ لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِيْ وَاصْفِرِيْ
وَنَقِّرِيْ مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِيْ

هذا حسينٌ يخرج إلى العراق! وعليك بالحجاز![1].

المحاورة الرابعة:

روى الطبريّ (الإماميّ) المحاورة الرابعة عن عبد الله بن عبّاس قال: لقيتُ الحسين بن عليّ وهو يخرج إلى العراق..

فقلت له: يا ابن رسول الله، لا تخرج!

قال فقال لي: «**يا ابن عبّاس، أما علمتَ أنَّ منيّتي من هناك وأنّ مصارع أصحابي هناك؟!**»

---

(١) تاريخ الطبريّ، ٣: ٢٩٥، وقد رواها ابن عساكر بتفاوتٍ غير يسير. وأهمّ تفاوت فيها: «..**فكلّمه طويلاً وقال: أُنشدك الله أن تهلك غداً بحال مضيعة، لا تأتِ العراق، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فأقمْ حتّى ينقضي الموسم وتعلم على ما يصدرون ثمّ ترى رأيك- وذلك في عشر من ذي الحجّة سنة ستّين- فأبى الحسين إلّا أن يمضي إلى العراق..**». (راجع: تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام)، تحقيق المحموديّ: ٢٠٤، رقم ٢٥٥).

ولا يخفى أنّ تأريخ المحاورة الذي ذكره ابن عساكر لا يتوافق مع المشهور الثابت في أنّ الإمام عليه السلام قد ارتحل عن مكّة في اليوم الثامن من ذي الحجّة.

ورواها ابن أعثم الكوفيّ باختصار وتفاوت، وفي آخرها: «**فقال الحسين: فإنّي أستخير الله في هذا الأمر وأنظر ما يكون. فخرج ابن عبّاس وهو يقول: واحسيناه!**». كما روى الشعر الذي خاطب ابن عبّاس به ابن الزبير هكذا:

يَا لَكِ مِنْ قُنْبُرَةٍ بِمَعْمَرِ خَلاَ لَكَ الْجَوُّ فَبِيضِيْ وَاصْفِرِيْ
وَنَقِّرِيْ مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِيْ إِنْ ذَهَبَ الصَّائِدُ عَنْكِ فَابْشِرِيْ
قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَا مِنْ حَذَرِ هَذَا الْحُسَيْنُ سَائِرٌ فَانْتَشِرِيْ

(راجع الفتوح، ٥: ٧٣، ورواها عنه الخوارزميّ في المقتل، ١: ٣١١).

وقد روى العلّامة المجلسيّ (ره) في البحار، عن الشهيد الثاني (ره) بإسناده عن ابن قولويه (ره)، بإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام أنّه «**لمّا تجهّز الحسين عليه السلام إلى الكوفة أتاه ابن عبّاس فناشده الله والرحم أن يكون هو المقتول بالطفّ، فقال: أنا أعرف بمصرعي منك، وما وكدي من الدنيا إلّا فراقها...**». (البحار، ٧٨: ٢٧٣، باب ٢٣، حديث ١١٢). والوكد: المراد والقصد.

فقلتُ له: فأنّى لك ذلك؟

قال: «**بسِرٍّ سُرَّ لي وعلمٍ أُعطيته!**»[١].

إشارةٌ:

لا يخفى على المتأمّل في ما عثرنا عليه من متون محاورات عبد الله بن عبّاس (رض) مع الإمام الحسين عليه السلام، ظهور حقيقة - ما قدّمناه من قبل - أنّ المحور الأساس في تفكير ابن عبّاس (رض) هو تأييده لقيام الإمام عليه السلام، ومعارضته لخروجه إلى العراق قبل تحرّك أهله عمليّاً لنصرته.

ولم نعثر - حسب تتبّعنا - على نصٍّ منسوبٍ إلى ابن عبّاس (رض) يفيد أنّه كان معارضاً لقيام الإمام عليه السلام، أو أنّه (رض) نهى عن القيام، إلّا ما ورد في كتاب (أسرار الشهادة) للدربنديّ (ره) نقلاً عن كتاب (الفوادح الحسينيّة)[٢]، عن ابن عبّاس (رض) أنّه قال للإمام الحسين عليه السلام في ختام واحدةٍ من محاوراته بعد أن بكى بكاءً شديداً: «**يعزُّ واللّهِ عليّ فراقك يا ابن العمّ. (ثمّ أقبل على الحسين وأشار عليه بالرجوع إلى مكّة والدخول في صلح بني أميّة!!).**

فقال الحسين عليه السلام: «**هيهاتَ هيهاتَ يا ابن عبّاس، إنّ القوم لم يتركوني، وإنّهم يطلبونني أين كنت حتّى أبايعهم كرهاً ويقتلوني، والله لو كنتُ في جحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لاستخرجوني منه وقتلوني، واللّه إنّهم ليعتدُون عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، وإنّي ماضٍ في أمر رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **حيث أمرني، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون**»[٣].

ونقل صاحب كتاب «**معالي السبطين**» هذه المحاورة قائلاً: وفي بعض الكتب:

(١) دلائل الإمامة: ٧٤.

(٢) هناك كتابان بهذا الاسم ذكرهما صاحب الذريعة، الأوّل: هو «**الفوادح الحسينيّة والقوادح البينيّة**» **المشهور بمقتل العصفور، للشيخ حسين العصفور ابن أخي صاحب الحدائق ... والثاني: هو «الفوادح الحسينيّة» للشيخ نمر بزّه، طبع مطبعة العرفان بصيدا، ٣٣ صفحة في تسعة مجالس، ... والظاهر أنّ الكتاب الذي نقل عنه صاحب أسرار الشهادة هو الأوّل.**

(٣) أسرار الشهادة: ٢٤٦- ٢٤٧.

جـاء عبـد الله بن عبّاس إلى الحسين عليه السلام وتكلّم معه بما تكلّم، إلى أن أشار عليه بالدخـول في طاعة يزيد وصلح بني أمية!! ، وفـي نقله إضافةً إلى نقل الدربنديّ أنّ ابن عبّاس قال للإمام عليه السلام بعد ذلك: يا ابن العمّ، بلغني أنّك تريد العراق، وإنّهم أهل غدر، وإنّما يدعونك للحرب فلا تعجل فأقم بمكّة!

فقـال عليه السلام: «**لأنْ أقتـل والله بمكان كذا أحبّ إليَّ مـن أن أُستحلّ بمكّة، وهذه كتـب أهـل الكوفة ورسلهم، وقد وجب عليّ إجابتهم وقـام لهم العذر عليّ عند الله سبحانه!**».

فبكى عبد الله حتّى بُلَّت لحيته، وقال: وا حسيناه، وا أسفاه على حسين[1].

والملاحظ المتأمّل يرى:

١- أنّ مـا ورد فـي هذين الكتابيـن من دعـوى: أنّ ابن عبّاس (رضـ) أشار على الإمـام عليه السلام بالدخـول في صلح بني أميّة وطاعة يزيـد، شاذٌّ غريبٌ مخالفٌ للمشهور الوارد في الكتب المعتبرة.

٢- أنّ صاحـب أسـرار الشهادة ينسب هـذه الدعوى إلى كتاب الفـوادح الحسينيّة (لا نعرفـه في الكتب المعتبرة)، وصاحـب معالي السبطين ينسبها إلى (بعض الكتب!)، ولا يخفى أنّها نسبةٌ ظاهرة الضعف.

٣- أنّ عبـارة الدعـوى نفسها ليست قولاً نطق به ابـن عبّاس فنقل عنه، بل هي من إنشاء صاحب أسرار الشهادة وصاحب معالي السبطين.

٤- وهنـاك أيضـاً تعارضٌ بيّـن بيـن عبارتي صاحبـي أسـرار الشهـادة ومعالي السبطيـن، ففـي الأولى: (وأشار عليـه بالرجوع إلـى مكّـة)، أي أنّ المحاورة حصلت بعد خروج الإمام عليه السلام من مكّة، وفي الثانية: (فلا تعجل فأقم بمكّة) أي أنّ المحاورة حصلت في مكّة.

---

(١) معالي السبطين، ١: ١٥١.

كما لا يخفى أنّ القول بأنّ المحاورة حصلت بعد خروج الإمام عليه السلام من مكّة أشدّ شذوذاً من أصل الدعوى نفسها لأنّ المشهور الثابت أنّ ابن عبّاس (رض) لم يلتق الإمام عليه السلام بعد خروجه من مكّة المكرّمة.

خلاصة القضيّة: إنّ هذه الدعوى الشاذّة لا تستند إلى دليلٍ معتبرٍ يمكن الاطمئنان إليه، بل لا دليل عليها، ويبقى الأصل المستفاد من المتون المعتبرة صحيحاً في أنّ موقف ابن عبّاس (رض) يتلخّص في تأييده لقيام الإمام عليه السلام، ومعارضته لخروجه إلى العراق قبل تحرّك أهله عمليّاً لنصرته. نعم، هناك قولٌ للسيّد ابن طاووس (ره) مبهم الدلالة وهو: وجاء عبد الله بن عبّاس رضوان الله عليه، وعبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمرني بأمرٍ وأنا ماضٍ فيه**». قال فخرج ابن عبّاس وهو يقول: وا حسيناه![1].

ولا دلالة في هذه العبارة الغامضة: (فأشارا عليه بالإمساك) على أنّ ابن عبّاس أشار على الإمام عليه السلام بترك القيام، بل الأقوى دلالتها على ترك الخروج إلى العراق بقرينة المتون التفصيليّة الأخرى ذات المضمون نفسه التي أجاب فيها الإمام عليه السلام ابن عبّاس (رض) بأنّه ماضٍ إلى العراق بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لماذا تخلّف ابن عبّاس عن الإمام؟

عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلّب بن هاشم رضي الله عنهم أجمعين، كان مؤمناً بإمامة أئمّة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]، عارفاً بحقّهم، موقناً بأنّ نصرهم والجهاد تحت رايتهم فرضٌ كفرض الصلاة والزكاة[3]،

---

(١) اللهوف: ١٠١.

(٢) يكفي في الدلالة على ذلك متن المحاورة التي رواها سليم بن قيس بين معاوية وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عبّاس بمحضر الحسنين عليهما السلام (راجع: كتاب سليم بن قيس: ٢٣١-٢٣٨ / دار الفنون – لبنان). وما رواه الخزّاز القمّي في كفاية الأثر من رواياتٍ مسندةٍ عن ابن عبّاس (رض) في الأئمّة الاثني عشر وفي أسمائهم عليهم السلام (راجع: كفاية الأثر: ١٠ -٢٢ / انتشارات بيدار).

(٣) مرَّ بنا في المحاورة الأولى أنّه (رض) قال للإمام عليه السلام: «وأنّ نصرك لفرضٌ على هذه الأمّة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل إحداهما دون الأخرى».

وكانت سيرته مع الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام كاشفةً عن هذا الإيمان وهذا اليقين وهذه المعرفة[١]، وكان (رض) لا يتردّد في إظهار اعتزازه وافتخاره بما أنعم الله عليه به من موالاتهم وحبّهم والانقياد لهم والامتثال لأمرهم، ومن جميل ما يُروى في ذلك أنّ مُدرك بن زياد اعترض على ابن عبّاس حين رآه ذات يوم وقد أمسك للحسن والحسين عليهما السلام بالركاب وسوّى عليهما: قائلاً: أنت أسنُّ منهما تُمسك لهما بالركاب؟!

فقال: يا لُكع، وتدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو ليس ممّا أنعم الله به عليّ أن أمسك لهما وأسوّي عليهما؟![٢].

وكان ابن عبّاس (رض) قد حفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ما أخبرا به حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام، والأرض التي يُقتل فيها، وأسماء أصحابه، فها هو يروي قائلاً: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوى وهو بشطّ الفرات قال بأعلى صوته: «**يا ابن عبّاس، أتعرف هذا الموضع؟**»

قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين!

فقال عليه السلام: «**لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي!**»

قال: فبكى طويلاً حتّى اخضلّت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معاً وهو يقول: «**أوّه أوّه، ما لي ولآل أبي سفيان؟! ما لي ولآل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر؟! صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم**»[٣].

وكان ابن عبّاس (رض) يقول: ما كنّا نشكّ، وأهل البيت متوافرون، أنّ الحسين بن عليّ يُقتل بالطفّ![٤].

---

(١) مرَّ أيضاً في المقدّمة أقوال بعض الأعلام في حقّه.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ٣: ٤٠٠؛ وفيات الأعيان، ٦: ١٧٩.
(٣) أمالي الصدوق: ٤٧٨، المجلس ٨٧، حديث رقم ٥.
(٤) مستدرك الحاكم، ٣: ١٧٩.

إذاً لِـمَ لم يلتحق ابـن عبّاس (رض) بالركب الحسينيّ ليفوز بشرف نصرة سيّد المظلومين عليه السلام وبشرف الشهادة بين يديه؟!

هـل اثّاقل إلى الأرضـ وآثر الدنيا علـى الآخرة بعد عمرٍ شريـفٍ عامرٍ بالجهاد ونصرة الحقّ؟!

إنّ العارف بسيرة ابن عبّاس (رض) قد يرفض حتّى التفكير في مثل هذا السؤال! أوليـس ابن عبّاس هو القائل في محاورته الأولـى مع الإمام الحسين عليه السلام في مكّة فـي شعبان سنة ٦٠ للهجرة: جعلت فداك يـا ابن بنت رسول الله، كأنّك تريدني إلى نفسـك، وتريـد منّـي أن أنصرك! واللهِ الذي لا إلـه إلّا هو أنّ لـو ضربتُ بين يديك بسيفـي هذا حتّى انخلع جميعاً من كفّي لما كنت ممّـن أوفّي من حقّك عُشر العُشر! وها أنا بين يديك مرني بأمرك.

إذاً هل كان تقادم العمر به قد أعجزه عن القدرة على النصرة؟!

إذا علمنا أنّ ابن عبّاس (رض) توفّي سنة ٦٨ للهجرة أو ٦٩ وله من العمر سبعون عاماً أو واحد وسبعون[١]، أدركنا أنّ عمره سنة ٦٠ للهجرة كان اثنين وستّين عاماً أو ثلاثـة وستّين عاماً، فهو أكبر مـن الإمام الحسين عليه السلام بحوالي خمسة أعوام، إذاً فقـد كان قادراً على الجهاد مـع الإمام عليه السلام من حيث السلامة البدنيّة، خصوصاً وأنّـه لم يُروَ أنّ ابن عبّاس كان مريضاً آنـذاك، كما روي بصدد محمّد بن الحنفيّة (رض) مثلاً.

فما هي علّة تخلّفه إذاً؟!

لعـلّ المتأمّل في موضوع علّة عدم التحاق ابـن عبّاس (رض) بالإمام عليه السلام في نهضتـه المقدّسة يلاحظ- قبل الوصـول إلى الجواب- نقطتيـن مهمّتين تساعدان على الاطمئنان إلى أنّه كان معذوراً، وهما:

(١) راجع: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، ١: ٢٧٢، وأسد الغابة، ٣: ١٩٥.

١- فـي جميع ما رُوي من لقاءات ومحاورات ابن عبّاس مع الإمام الحسين في مكّة سنـة ستّين للهجـرة، لا يجد المتتبّع أنّ الإمام عليه السلام قد دعـا ابن عبّاس دعوةً مباشرةً إلى نصرته كما صنع مثلاً مع ابن عمر، وحتّى حينما قال الإمام عليه السلام في محاورته الأولى مع ابن عبّاس وابن عمر: «**اللّهمّ اشهد**»[١] أدرك ابن عبّاس مغزى قول الإمام عليه السلام، وبادر إلى إظهار استعداده للنصرة والجهاد بين يدي الإمـام عليه السلام وعدا هذا لا يجـد المتتبّع أيّة إشارةٍ من قريبٍ أو بعيدٍ مؤدّاها أنّ الإمام عليه السلام قد دعا ابن عبّاس إلى نصرته.

٢- لـم نعثر- حسـب تتبّعنا- علـى نصٍّ تأريخـيٍّ عن أئمّة أهـل البيت عليهم السلام يفيـد أنّ ابن عبّاس كان مقصّراً وملوماً ومدانـاً على عدم التحاقه بالإمام الحسين عليه السلام، بل لم نعثر على نصٍّ تأريخيٍّ عامٍّ يشير إلى إدانته[٢] سوى هـذا النصّ الذي نقله ابن شهرآشوب مرسلاً: وعُنِّفَ ابن عبّاس على تركه الحسيـن فقـال: إنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجـلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهـم بأسمائهـم من قبل شهودهـم![٣]، ويظهر من هـذا النصّ أنّ ابن عبّاس لـم يكن معذوراً فـي تركه الإمـام عليه السلام، لكنّ إرسال هـذا الخبر، ومجهوليّة المعنِّف، ومعلوميّة ولاء ابن عبّاس (رض) لأهل البيت عليهم السلام، كلّ ذلك يفرض عدم الاطمئنان إلى صدر هذا الخبر، أي وعُنِّف ابن عبّاس!.

بعـد هذا، ينبغـي أن نذكّر بأنّ ابن عبّاس قد كفَّ بصـرُه آخر عمره، وهذا متّفقٌ عليـه عند المؤرّخيـن، وأنّ سعيد بن جبير كان يقوده بعد أن كـفَّ بصره[٤]، وتعبير

---

(١) راجع نصّ المحاورة الأولى لفهم المراد في جوّ المحاورة نفسها، في صفحة ٢١٣-٢١٧.

(٢) بل ورد عن الصادق عليه السلام أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان يحبّه حبّاً شديداً. انظر: اختيار معرفة الرجال: ٥٧، الرقم ١٠٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ٤: ٥٣/ ولعلّ ابن شهرآشوب نقل هذا عن كتاب التخريج الذي نقل عنه رواية قبل هذه الرواية.

(٤) تنقيـح المقـال، ٢: ١٩١، وقـال الذهبيّ: «**إنّما أخّر الناس عـن بيعة ابن عبّاس- لو شاء الخلافـة- ذهاب بصره**» (سير أعلام النبلاء، ٣: ٣٥٦) «**وخطب ابن الزبير بمكّة على المنبر وابن عبّاس جالسٌ مع الناس تحت المنبر، فقال: إنّ ها هنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره... فقال ابن عبّاس لقائده سعيد بن جبير: استقبل بي وجه ابن الزبير، وارفـع مـن صـدري، وكان ابن عبّاس قد كفّ بصره...**»، «**أنظر: قاموس الرجال، ٦: ٤٧٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٢٠: ١٣٠ و١٣٤، وسير أعلام النبلاء، ٣: ٣٥٤، ومنتهى المقال، ٤: ٢٠١**).

«**كفَّ بصره**» مشعرٌ بأنّ الضعف كان قد دبّ إلى بصره حتّى استفحل عليه فكفّه عن رؤيــة الأشيــاء، ولعلَّ هذا الضعف كان قد دبّ إلى بصــره منذ أيّام معاوية (ويحتمل أنّ بصر ابن عبّاس قد كفَّ أواخر سِني معاوية)، هذا ما يشعر به قول ابن قتيبة في المعــارف حيث يقــول: ثلاثة مكافيف في نسق: عبد الله بن عبّاس، وأبوه العبّاس بن عبد المطلّب، وأبوه عبد المطلب بن هاشم. قال: ولذلك قال معاوية لابن عبّاس: أنتم يــا بني هاشــم تُصابون في أبصاركم. فقال ابن عبّاس: وأنتــم يا بني أميّة تُصابون فــي بصائركم![1]، فلولا أنّ بصــر ابن عبّاس (رض) كان قد ضعف جدّاً، أو قد كفّ بصره آنذاك، لما كان لقول معاوية مناسبةٌ ولا داعٍ.

ويقــول مسروق: كنــتُ إذا رأيت عبد الله بن عبّاس قلتُ: أجمل الناس، فإذا تكلّم قلــتُ: أفصــح الناس، فإذا تحدّث قلتُ: أعلم الناســ، وكان عمر بن الخطّاب يقرّبه ويُدنيه ويشاوره مع جلّة الصحابة، وكفَّ بصره في آخر عمره[2].

فإذا علمنا أنّ مسروقاً هذا قد مات سنة ٦٢ أو ٦٣ للهجرة[3]، أمكن لنا أن نقول: إنّ ابن عبّاس كان مكفوفاً قبل سنة ٦٢ أو ٦٣ على الأظهر، هذا على فرض أنّ عبارة (وكفّ بصره في آخر عمره) من قول مسروقٍ أيضاً.

وهنــاك روايةٌ يمكــن أن يُستفاد من ظاهرها أنّ ابــن عبّاس (رض) كان ضعيف البصر جدّاً أو مكفوفاً أوائل سنة إحدى وستّين للهجرة، في الأيّام التي لم يكن خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام قد وصل بعدُ إلى أهل المدينة المنوّرة.

هــذه الرواية يرويها الشيــخ الطوسي (ره) في أماليه بسنــدٍ إلى سعيد بن جبير (وهــو الــذي كان يقود ابن عبّاس بعد أن كفَّ بصــره)، عن عبد الله بن عبّاس قال: بينــا أنــا راقدٌ فــي منزلي، إذ سمعــتُ صراخاً عظيمــاً عالياً من بيــت أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فخرجت يتوجّه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال

(١) المعارف: ٥٨٩.
(٢) اختيار معرفة الرجال، ١: ٢٧٢؛ وتنقيح المقال، ٢: ١٩١.
(٣) سير أعلام النبلاء، ٤: ٦٨.

والنســاء، فلمّا انتهيتُ إليها قلت: يــا أمّ المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبنــي، وأقبلت علــى النسوة الهاشميّــات وقالت: يا بنات عبد المطلّــب، أسعدنني وابكيــن معي، فقد واللّهِ قتــل سيّدكنّ وسيّد شباب أهل الجنّــة، وقد واللّه قُتل سبط رسول اللّه وريحانته الحسين.

فقيــل: يــا أُمَّ المؤمنيــن، ومن أين علمــتِ ذلك؟ قالت: رأيــت رسول اللّه ﷺ في المنــام الساعة شعثــاً مذعوراً، فسألته عــن شأنه ذلك، فقال: «**قُتــل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم**».

قالت: فقمتُ حتّى دخلتُ البيت وأنا لا أكاد أن أعقل! فنظرتُ فإذا بتربة الحسين التــي أتــى بها جبرئيل من كربلاء فقــال إذا صارت هذه التربة دمــاً فقد قتل ابنك! وأعطانيهــا النبيّ ﷺ فقال: «**اجعلي هذه التربة في زجاجــةٍ - أو قال في قارورةٍ - ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين**». فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قــال: وأخــذت أمّ سلمة من ذلــك الدم فلطّخت بــه وجهها، وجعلــت ذلك اليوم مأتمــاً ومناحةً علــى الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبــره، وأنّه قد قُتل في ذلك اليوم...[1].

فقول ابــن عبّاس (رض): فخرجت يتوجّه بي قائدي إلــى منزلها، كاشفٌ- على الأقــوى- عن مكفوفيّة بصره آنذاك (أو عن ضعفٍ شديدٍ جدّاً في بصره)، لحاجته إلــى قائــدٍ يقوده هو، وليــس إلى قائــد يقود دابته- كمــا قد يحتمــل - وذلك لقرب المسافــة، بدليل أنّه سمع الصراخ بأذنيــه وشخّص أنّ الصراخ كان ينبعث من بيت أمّ سلمة (رض).

ممّــا مضى نكاد نطمئنّ إلــى أنّ ابن عبّاس (رض) كان يعانــي من ضعفٍ شديدٍ فــي بصره أو كان مكفوفاً بصره أواخر سنــة ستّين للهجرة، وبالذات في الأيّام التي

(١) أمالي الطوسيّ: ٣١٤-٣١٥، المجلس ١١، الحديث ٨٧/٦٤٠.

كان فيهـا الإمام الحسين عليه السلام فـي مكّة المكرّمة، الأمر الـذي أعجزه عن القدرة علـى الالتحاق بالإمام عليه السلام والجهاد بيـن يديه، فكان (رض) معـذوراً، ولعلّ هذا هـو السرُّ في عدم دعوة الإمام عليه السلام إيّاه للانضمام إليه، وترخيصه إيّاه في العودة إلـى المدينـة ليرصد له أخبار السلطة الأمويّة والنـاس فيها، حيث يقول عليه السلام: «**يا ابـن عبّاس، إنّـك ابن عـمّ والدي، ولـم تزل تأمـر بالخير منذ عرفتـك، وكنتَ مع والـدي تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصـواب، فامضِ إلـى المدينـة في حفظ الله وكلائـه، ولا يخفَ علـيّ شيءٌ من أخبارك...**»[١].

ولا يقـدح بما نطمئنّ إليه مـا أورده المسعوديّ في مروج الذهب حيث يقول في ابن عبّاس (رض): وكان قد ذهب بصره لبكائه على عليّ والحسن والحسين..[٢]، إذ لا يُستفاد من هذا النصّ بالضرورة أنّه صار مكفوفاً بعد مقتل الحسين عليه السلام، بـل الظاهر من هذا النصّ أنّ الـذي سبب ذهاب بصره هو كثرة بكائه المتواصل لفقـد أمير المؤمنين عليٍّ[٣] والحسن والحسيـن عليهما السلام، ومؤدّى ذلك أنّ الضعف قـد دبّ إلـى بصره لكثرة بكائه منـذ أيّام فقده لأميـر المؤمنين عليه السلام ثمّ لفقده الحسن عليه السلام[٤]، ثـمّ الحسين عليه السلام، ولا يخفى أنّ ابن عبّاس (رض) كان يبكي بـكاءً شديداً للحسين عليه السلام وهو بعدُ لم يخـرج ولم يُستشهد، لعلمه بما سيصيب الإمـام عليه السلام من شديد المحنـة ولعلمه بمصيره، والدلائـل التأريخيّة على ذلك كثيرةٌ متوافرةٌ.

---

(١) الفتوح، ٥: ٢٧؛ ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ، ١: ٢٨١.

(٢) مروج الذهب، ٣: ١٠٨.

(٣) ورد فـي بعض المتـون أنّ ذهاب بصره فـي آخر عمره كان بسبب البـكاء على أمير المؤمنين علـيّ عليه السلام (انظر سفينة البحار، ٦: ١٢٨ عن حديقة الحكمة).

(٤) ولعـلّ هـذا الضعـف الـذي دبَّ إلى بصره بسبـب هذا البـكاء المتواصل منذ فقـده أمير المؤمنيـن عليه السلام كان قد اشتدّ واستفحـل بعد فقـد الإمام الحسن عليه السلام، فكان ابن عبّاس قريباً من العمى أواخر عهـد معاوية– فيما بعد شهادة الإمام الحسـن عليه السلام– فلمّـا التقى معاوية في تلك الأيّام كان ضعف بصره الشديد هذا هـو الذي دفع معاوية إلى القول ساخراً: «**أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم!**».

رسائل ابن عبّاس إلى يزيد:

تـروي لنـا بعض كتب التأريـخ أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا نـزل مكّة كتب يزيد بـن معاوية إلى ابن عبّاس رسالـةً طلب إليه فيها أن يتوسّط فـي الأمر ليثني الإمام الحسيـن عليه السلام عن عزمه على القيـام والخروج على الحكم الأمـويّ، وعرض فيها يزيد من الإغراءات الدنيويّة ما يتناسب وضعف نفسيّته هو!- أي يزيد - .

وتقـول هذه المصـادر التأريخيّة: فكتب إليه ابن عبّاس: أمّا بعدُ: فقد ورد كتابُك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكّة، فأمّا ابن الزبير فرجلٌ منقطع عنّا برأيه وهواه، يُكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرّها في صدره، يوري علينا وريَ الزناد، لا فكّ اللّه أسيرها، فارإ في أمره ما أنت رائه.

وأمّا الحسين فإنّه لمّا نزل مكّة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سألته عن مقدمه، فأخبرنـي أنّ عمّالك في المدينـة أساؤا إليه وعجّلوا عليه بالـكلام الفاحش، فأقبل إلـى حرم اللّه مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع اللّه بـه الكلمـة ويُطفئ به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن بـه دماء الأمّة، فاتّقِ اللّه فـي السرّ والعلانية، ولا تبيتـنّ ليلةً وأنت تريد لمسلمٍ غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافرٍ لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمّلٍ أملاً لم يؤتَ أمله، وخذ بحظّك من تلاوة القرآن ونشر السُنّة! وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها فإنّ كلَّ ما شُغلت به عن اللّه يضرّ ويفنى، وكلّ ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى، والسلام»[١].

وقد روى المزّيّ جواب ابن عبّاس مختصراً هكذا: فكتب إليه عبد اللّه بن عبّاس: إنّي لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمرٍ تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كلّ ما يجمع اللّه به الألفة ويُطفئ به الثائرة»[٢].

---

(١) تذكرة الخواص: ٢١٦.

(٢) تهذيب الكمال، ٤: ٤٩٢.

ويبـدو من نصّ هذه الرسالـة- جواب ابن عبّاس - على فرض صحّة الرواية، أنّ هذه الرسالة كانت بعد لقاء ابن عبّاس مع الإمام الحسين عليه السلام في مكّة لقاءه الأوّل الذي عاد بعده إلى المدينة (بعد الفراغ من العمرة)، كما يُستفاد من نصّها أنّ ابن عبّاس قَبِل القيام بدور الوساطة بين الإمام عليه السلام وبين يزيد! كما يظهر من نصّها أيضاً أنّ ابن عبّاس اعتمد أسلوب الملاينة دون التقريع حتّى في نهيه عن ارتكاب الظلم واجتراح المآثم!

والعارف بعبد الله بن العبّاس (رض)، وبولائه لأئمّة أهل البيت عليهم السلام وبجرأته في الذَوْدِ عنهم، وبشدّته وقاطعيّته في المحاماة عنهم في محاوراته مع رجال بني أميّة، لا يستبعد أن يكون نصّ هذه الرسالة- جواب ابن عبّاس - من إنشاء الواقديّ نفسه الذي يرويها[1] (ونقلها عنه سبط ابن الجوزيّ في كتابه تذكرة الخواصّ)، ذلك لأنّ نَفَس هذا الجواب مغايرٌ تماماً لِنَفَس ابن عبّاس في مواقفه قبال بني أميّة.

ها هو ابن عبّاس (رض) في بلاط معاوية يُخرس محاوريه: معاوية، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان، وزياد بن سميّة، وعبد الرحمن بن أمّ الحكم، والمغيرة بن شعبة، بعد أن دحض إدّعاءاتهم وبهرهم بالحجّة الدامغة، ويقول ليزيد ابن معاوية نفسه في قصر أبيه: مهلاً يزيد، فواللّه ما صفت القلوب لكم منذ تكدّرت بالعداوة عليكم، ولا دنت بالمحبّة إليكم مذ ناءت بالبغضاء عنكم، لا رضيت اليوم منكم ما سخطت بالأمسِ من أفعالكم، وإن تَدُلِ الأيّام نستقض ما سُدَّ عنّا، ونسترجع ما ابتُزَّ منّا، كيلاً بكيل، ووزناً بوزن، وإن تكن الأخرى فكفى باللّه وليّاً لنا، ووكيلاً على المعتدين علينا[2].

(١) الواقديّ: وهو محمّد بن عمر بن واقد الأسلميّ، وقد اتهمه جلُّ رجاليّي العامّة بالكذب والافتراء وأنّه متروك الرواية.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٦: ٣٠٢.

وهـا هو ابن عبّاس (رضـ) يجيب يزيد[١] بقارعةٍ أخرى مـن قوارعه في رسالةٍ كتبهـا إليه قائلاً: مـن عبد الله بن عبّاس إلى يزيد بن معاويـة. أمّا بعدُ: فقد بلغني كتابُـك بذكر دعاء ابن الزبيـر إيّاي إلى نفسه وامتناعي عليه فـي الذي دعاني إليه مـن بيعتـه، فإنْ يَك ذلك كمـا بلغك فلستُ حمَـدك أردتُ ولا وُدَّك، ولكنّ الله بالذي أنـوي عليم، وزعمتَ أنّك لسـتَ بناسٍ ودّي فلعمري ما تؤتينا ممّا في يديك من حقّنا إلّا القليـل، وإنّـك لتحبس عنّا منه العريض الطويل، وسألتنـي أن أحثّ الناسَ عليك وأخذّلهـم عن ابـن الزبير، فلا ولا سروراً ولا حبوراً، وأنـت قتلت الحسين بن عليّ!، بفيك الكثكثُ[٢]، ولك الأثلَبُ[٣]، إنّك إنْ تُمنّك نفسك ذلك لعازب الرأي، وإنّك لأنت المفند المهوّر.

لا تحسبنـي، لا أبا لك، نسيـتُ قتلك حسيناً وفتيان بني عبـد المطلّب، مصابيح الدجـى، ونجوم الأعلام، غادرهم جنودك مصرّعين فـي صعيد، مرمّلين بالتراب، مسلوبيـن بالعراء، لا مكفَّنين، تسفي عليهـم الرياح، وتعاورهم الذئاب، وتُنشي بهم عُـرج الضباع، حتّـى أتاح الله لهـم أقواماً لم يشتركـوا في دمائهـم، فأجنّوهم في أكفانهم، وبي والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست يا يزيد.

ومـا أنسَ من الأشياء فلستُ بناسٍ تسليطك عليهم الدعيَّ العاهر[٤] ابن العاهر، البعيـد رحماً، اللئيم أباً وأمّـاً، الذي في ادّعاء أبيك إيّاه ما اكتسب أبوك به إلّا العار والخـزي والمذلّة في الآخرة والأولى، وفي الممات والمحيا، إنّ نبيّ الله قال: «**الولد**

(١) «أخذ ابن الزبير عبد الله بن عبّاس بالبيعة له، فامتنع عليه، فبلغ يزيد بن معاوية أنّ عبد الله بن عبّاس قد امتنع على ابن الزبير، فسرَّه ذلك، وكتب إلى ابن عبّاس: أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته، وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً، وأنّك امتنعت عليه، واعتصمت ببيعتنا وفاءً منك لنا، وطاعةً لله فيما عرَّفك من حقّنا، فجزاك الله من ذي رحم بأحسن ما يجزي به الواصلين لأرحامهم، فإنّي ما أنسَ من الأشياء فلست بناس برَّك وحسن جزائك وتعجيل صلتك الذي أنت منّي أهله في الشرف والطاعة والقرابة بالرسول، وانظر رحمك الله فيمن قِبَلَك من قومك، ومن يطرؤ عليك من الآفاق ممّن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله، فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي والتمسّك ببيعتي، فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحِلّ الملحد، والسلام. فكتب إليه عبد الله بن عبّاس...» (تاريخ اليعقوبيّ، ٢: ٢٤٧- ٢٤٨).

(٢) بفيك الكثكث: أي بفمك التراب والحجارة. (راجع لسان العرب، ٢: ١٧٩).

(٣) ولك الأثلب: كناية عن الخيبة، والأثلب أيضاً معناه التراب والحجارة. (راجع: لسان العرب، ١: ٢٤٢).

(٤) يعني به عبيد الله بن زياد بن أبيه.

للفراش وللعاهر الحجر». فألحقه بأبيه كما يُلحَقُ بالعفيف النقيّ ولدُه الرشيد! وقد أمات أبوك السُنّة جهلاً! وأحيا البدع والأحداث المظلّة عمداً!

وما أنسَ من الأشياء فلستُ بناسٍ اطرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوّأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله فأكبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم، وما لم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام وعرّضه للعائر وأراقل العالم.

وأنت! لأنت المستحلّ فيما أظنّ، بل لا شكّ فيه أنّك للمُحرّف العريف، فإنّك حلف نسوة، صاحب ملاهٍ، فلمّا رأى سوء رأيك شخص إلى العراق، ولم يبتغك ضراباً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ثمّ إنّك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته، وترك مطاولته والإلحاح عليه، حتّى يقتله ومن معه من بني عبد المطلّب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً، فنحن أولائك، لسنا كآبائك الأجلاف الجُفاة الأكباد الحمير.

ثمّ طلب الحسين بن عليّ إليه الموادعة وسألهم الرجعة[1]، فاغتنمتم قلّة أنصاره، واستئصال أهل بيته، فعدوتم عليهم، فقتلوهم كأنّما قتلوا أهل بيتٍ من الترك والكفر، فلا شيء عندي أعجب من طلبك ودّي ونصري! وقد قتلت بني أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أخذ ثأري، فإن يشاء لا يُطلّ لديك دمي ولا تسبقني بثأري، وإن سبقتني به في الدنيا فقبلنا ما قُتل النبيّون وآل النبيّين، وكان الله

(١) لعلّ ابن عبّاس (رض) يشير بهذا إلى- ما رُوي من- قول الإمام الحسين عليه السلام: «**دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتّى ننظر ما يصير أمر الناس**». (تاريخ الطبريّ، ٣: ٣١٢). أو «**أيّها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض**» (تاريخ الطبريّ، ٣: ٣١٨).

الموعد، وكفى به للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبنّك أن ظفرت بنا اليوم، فوالله لنظفرنّ بك يوماً.

فأمّا ما ذكرت من وفائي، وما زعمت من حقّي، فإن يَك ذلك كذلك، فقد واللّهِ بايعتُ أباك[١]، وإنّي لأعلم أنّ ابني عمّي وجميع بني أبي أحقّ بهذا الأمر من أبيك، ولكنّكم معاشر قريشٍ كاثرتمونا، فاستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقّنا، فبُعداً على من يجترىء على ظلمنا، واستغوى السفهاء علينا، وتولّى الأمر دوننا، فبُعداً لهم كما بعدت ثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، ومكذّبو المرسلين.

ألا ومن أعجب الأعاجيب، وما عشت أراك الدهرُ العجيبَ، حملك بنات عبد المطلّب، وغلمةً صغاراً من وُلدِهِ إليك بالشام كالسبي المجلوب، تُري الناس أنّك قهرتنا، وأنّك تأمر علينا، ولعمري لئن كنت تصبح وتمسي آمناً لجرح يدي، إنّي لأرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي، فلا يستقرّ بك الجدل، ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله إلّا قليلاً، حتّى يأخذك أخذاً أليماً، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً، فَعِش لا أبا لك فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت، والسلام على من أطاع الله[٢].

(١) وفي هذا إشارةٌ إلى أنّه لم يبايع يزيد، بل كان قد بايع معاوية بعد الصلح، لكنّ نصّ هذه الرسالة المرويّ بتفاوتٍ كثيرٍ في بحار الأنوار: ٤٥: ٣٢٣ عن (بعض كتب المناقب القديمة) فيه: «**فقد واللهِ بايعتك ومن قبلك...**» وهذا كما هو ظاهرٌ لا يتلاءم مع نفس متن الرسالة الطافح بالتبرّي من يزيد وفعلته.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ، ٢: ٢٤٨- ٢٥٠؛ وانظر: بحار الأنوار، ٤٥: ٣٢٣.

نُبذَةٌ مِنَ السياسَةِ الحُسَيْنيّة

مقدّمة التحقيق:

الحمد للّه الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمّد ﷺ خاتم النبيّين، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومن والاهم أجمعين، من الآن إلى قيام يوم الدّين.

أمّا بعد..

الحديث عن السياسة والسياسيّين، بالمفهوم العامّ والمطلق وعلى مرّ العصور، يعني الحديث عن تجاذبات ومشادّات واختلافات في وجهات النظر المتباينة بين هذا وذاك، سواء بين جماعتين مختلفتين، أو بين أنصار الجماعة الواحدة، وذلك بسبب الاختلاف الحاصل في الآراء والأفكار والرؤى التي تتبنّاها كلّ جهة أو كلّ شخص.

ومن أجل أن يمرّر كلّ طرف سياسته الخاصّة، أو يفرض آراءه ومعتقداته وأفكاره، عليه أن يعتمد على مبدأ المناورة والتلاعب بالألفاظ، وقد يصل الأمر أحياناً إلى حدّ التنازل عن القيم والمبادئ التي يؤمن بها، واعتماد مبدأ (الغاية تبرِّر الوسيلة) من أجل الوصول إلى ما يصبو إليه.

وقد نقل لنا التاريخ القديم والحديث كيف أنّ الذين اشتغلوا بالأُمور السياسيّة والقضايا السلطويّة كانت لهم أساليب وطرق نستطيع أن نعدّها غير شرعيّة-

(١) تأليف المرجع والعلاّمة الكبير، الشيخ محمّد حُسين كاشف الغطاء قدّس سرّه، المتوفّى سنة ١٣٧٣ هـ، تحقيق عليّ جلال باقر.

والمقصود بغير الشرعيّة هنا إمّا أن تكون مخالفة للشرائع السماويّة، أو للقوانين الوضعيّة المانعة لمثل هذه الأساليب، وهذا ممّا يمكن القول عنه بالمصطلح الرياضيّ الحديث: «**الضرب تحت الحزام**»- للوصول إلى المناصب العليا والتبختر ببهرج السلطة والصول.

وهذه السياسات المتّبعة للوصول إلى السلطة وسدّة الحكم تدفع بالفرد إلى التشبّث بها والاستماتة من أجلها، ولو كان الثمن هو تحوّله إلى «**دكتاتور**» ومجرم وقاتل للنفس المحترمة ومرتكب لكلّ كبيرة، كما فعل ملوك بني أُميّة وبني العبّاس.

فهذا يزيد بن معاوية ارتكب أبشع الجرائم، واستباح كلّ محرّم، من أجل الحفاظ على تركة أبيه وسلطانه، والجلوس مجلسه، وهذا هارون الرشيد الخليفة العبّاسيّ يقول لابنه وفلذة كبده: «**والله لو نازعتني الملك لأخذت الذي فيه عيناك، فإنّ الملك عقيم**»[1].

وعصرنا الحاضر مليء بمثل هذه الأُمور، فمعظم الثورات والانقلابات- إنْ لم نقل كلّها- التي تحدث هنا وهناك من أنحاء العالم، وبالأخصّ عالمنا العربيّ والإسلاميّ، قوامها القتل والتدمير والعنف وسفك الدماء وإزالة الخصوم والمعارضين لهم بشتّى الوسائل، فكلّ الأُمور التي ذكرناها هي ضمن سلوك وسياسة أُناس عاديّين تتحكّم فيهم الأهواء، انطلاقاً من الأنانيّة، وتؤثّر فيهم المطامع الدنيويّة والمصالح الشخصيّة، وهوى النفس.

أمّا عندما يكون الحديث عن سياسة وسلوك رجل مثل الإمام الحسين عليه السلام، الذي عصمه الله تعالى من كلّ خطأ وزلل، بنصوص قرآنيّة وأحاديث نبويّة شريفة لا تكاد تخفى على ذوي العقول النيّرة والضمائر الحيّة البعيدة عن التعصّب الجاهليّ، فالأمر يكون مختلفاً تماماً.

فالإمام الحسين عليه السلام ليست السلطة مبتغاه، ولا الحكم غاية مناه، فهو كالكعبة

(١) انظر: الاحتجاج ج ٢ ص ١٦٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٨٦.

يؤتى ولا يأتي، وأفعاله لا تكون انعكاساً لنزواته وشهواته الدنيويّة وأهوائه، أو طبقاً لدوافع عاطفيّة أو عشائريّة ناتجة من خلاف بينه وبين بني أُميّة، أو غيرهم: فإنّ كلّ هذه الأُمور لا تعني عند الإمام الحسين عليه السلام شيئاً، وإنّ ما يعنيه هو:

١- موقفه الشرعيّ من بني أُميّة الّذين تسلّقوا إلى قمّة السلطة، وتربّعوا على كرسيّ الحكم، واتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، دون أن يكونوا أهلاً لقيادة هذه الأُمّة. أضف إلى ذلك علمه سلام الله عليه بمدى أثر هذا الأمر على جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي لم يُرَ مبتسماً بعد أن أراه الله عزّ وجلّ نَزوَ بني أُميّة على منبره نَزوَ القردة[١].

٢- خوفه على مستقبل الإسلام وشريعة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، هذه الشريعة التي أصبحت عرضةً للتحريف والتزييف من قبل حكّام الجور والظلم، ولا سيّما بني أُميّة، هذه الشريعة التي ضحّى من أجل تثبيت دعائمها جدّه وأبوه وأخوه، روحي وأرواح العالمين لهم الفداء، فقد قال عليه السلام في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفيّة حين أراد الخروج من المدينة...: «**وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله وسلم، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أَوْلى بالحقّ، ومَن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين**»[٢].

ومن هنا ، فإنّ سياسة الإمام عليه السلام كانت مدروسة بدقّة، وخطواته كانت بأوامر إلهيّة، فهو ممّن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إذ قال سلام الله عليه، عندما حاول بعضهم أن يثنيه عن المسير- وذلك لقصور أفكارهم وعدم إدراكهم مقاصده السامية- أو الخروج والمسير دون أخذ العيال والنساء معه، قال: «**إنّ الله**

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾، سورة الإسراء٧ : ٦٠ ، في تفاسير الفريقين.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٩- ٣٣٠.

شاء ذلك، وجدّي أمرني به»، وقال عليه السلام مبرِّراً لأخذه العيال معه: «**إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا**».

فتشكيك المشكّكين بسياسة الإمام عليه السلام ما هو إلّا وجهات نظر ضيّقة لا تتعدّى كونها من أشخاص ينظرون إلى الإمام عليه السلام كنظرتهم لأيّ قائد عسكريّ فاشل، لم يحسب لمعركته مع يزيد بن معاوية الحسابات الدقيقة والصحيحة، دون النظر إلى عصمته ومنزلته ومكانته الإلهيّة.

أو من أشخاص يحاولون تبرير ما قام به حكّام بني أُميّة من تدمير للمبادئ وللقيم السماويّة ومكارم الأخلاق التي بُعِثَ النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ليتمّمها، وضحّى من أجلها بولده وريحانته الحسين عليه السلام.

وبسبب هذه الأفكار القاصرة والرؤى الضيّقة ترانا نسمع، بين حين وآخر، تساؤلات لا ترقى إلى مستوى تضحية الإمام الحسين عليه السلام، تساؤلات لو فكّر بها أصحابها بعيداً عن التعصّب والهوى لكانوا قد وفّروا على أنفسهم عناء البحث عن أجوبة مقنعة لها؛ لأنّ للإمام الحسين عليه السلام سياسة واضحة كوضوح الشمس، لا تحتاج إلى مزيد من التفكير للوصول إلى مغزاها.. فهو عليه السلام لم يستخدم وسائل غير شرعيّة ولا أسلحة محرّمة دوليّاً في حربه من أجل الدفاع عن شريعة جدّه، بل استخدم سلاح التضحية بالنفس- والجود بالنفس أقصى غاية الجود- والأولاد والأموال من أجل رفع كلمة الإسلام وجعلها هي العليا، ودحض كلمة الباطل المتمثّلة بيزيد وأعوانه وجعلها هي السفلى.

ومن بين الّذين وقفوا في وجه هؤلاء المشكّكين- بالأدلّة والبراهين القاطعة- الشيخ كاشف الغطاء قدّس سرّه، الذي عُرف بمواقفه العظيمة في الدفاع عن مذهب ونهج أهل البيت عليهم السلام، من خلال قلمه السيّال، الّذي ما انفكّ يردّ المشكّكين وأصحاب العقول المتحجّرة.

فكانت هذه الرسالة التي بين أيدينا من جملة رسائله التي سارع فيها للدفاع

عن حقيقة السياسة الحسينيّة، هذه الحقيقة التي حاولت يد الغدر والخيانة- من أصحاب الأقلام المأجورة من قبل ملوك بني أُميّة وبني العبّاس، ومَن لفّ لفّهم، وإلى يومنا هذا- تشويهها وطمس معالمها، لكي لا يتسنّى للناس معرفة مقدار التضحية العظيمة التي ضحّى بها الإمام الحسين عليه السلام من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام، ولكي لا يطّلع الناس على سوءات بني أُميّة.

ونتيجةً لهذه المحاولات الدنيئة نرى أنّ بعض ضعاف النفوس أخذوا يتخبّطون في وصفهم لقيام الإمام الحسين عليه السلام.. فمنهم من جعلها خروجاً عن طاعة الإمام، حتّى ولو كان هذا الإمام جائراً وفاسقاً وفاجراً.

ومنهم من جعلها إلقاءً للنفس بالتهلكة: لأنّه كيف لمثل الحسين وأنصاره الذين لا يتجاوزون السبعين نفراً أن ينتصروا على يزيد وجيش يزيد البالغ- على رأي المقلّين- ١٨ ألف نفر؟!

ومنهم من جعلها صراعاً على السلطة بين بني هاشم وبين بني أُميّة: لذا لا ينبغي التدخّل في صراع نشب بين أبناء العمومة.

فجاءت هذه الرسالة لتضع حدّاً لهذه الشكوك، ولتزيل الغشاوة عن أعين الناظرين إلى السياسة الحسينيّة، هذه السياسة التي أصبحت منهجاً لكلّ ثوار العالم الذين يرفضون الخضوع للظلم والظالمين على مرّ العصور والقرون.

ترجمة المؤلّف[1]:

هو: الشيخ محمّد حسين بن الشيخ عليّ بن محمّد رضا بن موسى بن الشيخ جعفر- صاحب «**كشف الغطاء**»- ابن الشيخ خضر بن يحيى، الذي يرجع نسبه إلى مالك الأشتر، وهو من خاصّة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وُلد في النجف الأشرف في العراق سنة ١٢٩٤ هـ، الموافق ١٨٧٧ م.

(١) انظر ترجمة الشيخ مفصّلاً في: مقدّمة جنّة المأوى، ومقدّمة المراجعات الريحانيّة، والعبقات العنبريّة في طبقات الجعفريّة، وشعراء الغريّ، ومصادر كثيرة أُخرى.

بـدأ دارساً المقدّمات- من نحـو، وصرف، وبلاغة، ومنطق- علـى أساتذة هذه العلوم يومـذاك في المساجد والمدارس الحاشدة بالجمـوع الغفيرة من روّاد العلم علـى اختـلاف قوميّاتهم، فقد كانت النجـف الأشرف مصدر إشعـاع علميّ تشدّ له الرحـال من أقطـار نائية، وبدأ يتقدّم في هذا الميـدان وكأنّه في حلبة سباق يطمح أن يحـوز علـى قصب السبق، وأنهى هذه العلوم في مـدّة زمنيّة قياسيّة قلّ نظيرها، وأصبـح مؤهّـلاً بعد اجتيـازه لهذه العلـوم- المقدّمات- أن يرقى إلـى علم الأُصول الـذي هـو- في الحقيقـة- الجهاز الذي من خلالـه يستنبط الفقيه فتـاواه لتحديد سلوك مقلّديه وفق الشريعة الإسلاميّة. درس الفقه على فقيهين كبيرين يشهد لهما القاصـي والداني بغزارة علمهما، وهما: الملّا رضـا الهمدانيّ والسيّد محمّد كاظم اليـزديّ، وتتلمـذ في الأُصول على المـلّا محمّد كاظم الخراسانـيّ، صاحب «**كفاية الأُصول**»، الذي هو بدوره صاحب مدرسة أُصوليّة.

وافتـه المنيّة يوم الاثنيـن١٨ ذي القعدة١٣٧٣ هـ، الموافـق ١٩٥٤ م، في إيران، فـي مدينة (كرند) التـي سافر إليها وهو يحمل معه آلام المرض، وحُمل جثمانه من إيـران إلى مدينة النجف الأشرف حيث وادي السلام مقبرة النجف الأشرف، ودُفن في قبره الذي أعدّه لنفسه عندما شعر بدنوّ أجله وقرب ساعته.

وأرّخ وفاته الشيخ عليّ البازيّ قائلاً:

مدينةُ العلم بكتْ قطبَها الحجّة العظمى، مثال التقى

أبـا حليـم كيف يجدي البُـكا؟ الدينُ قد أصبـح ينعاك، والأيّام قـد فقدت خيرة تأريخها

ومَـن إلى الإسلام إنسان عيـن فقيه شرع، شافع النشأتيـن عليك والنوح وصفق اليدين؟!

التي بها انجلى كلّ رين وافتقدت فيك الإمام الحسين

منهجيّة التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على النسخة المطبوعة في قم، الصادرة عن دار الكتاب للطباعة والنشر، والمطبوعة بالأُوفسيت على نسخة الكتاب الصادرة عن المطبعة الحيدريّة في النجف عام ١٣٦٨ هـ، واقتصرتُ في ذلك على الخطوات الآتية:

١- ضبط النصّ، من حيث التقطيع والتوزيع والتصحيح.

٢- تصحيح الأخطاء المطبعيّة والإملائيّة الواضحة بدون الإشارة إليها.

٣- استخراج الآيات القرآنيّة.

٤- استخراج النصوص والأقوال الأُخرى الواردة في الرسالة من المصادر المنقولة عنها مباشرة أو بالوساطة، وقد اقتصرت فيها على ذِكرِ بعضِ أهمّ المصادر المخرِّجة لها: إذ لو أردنا التوسّع في ذِكر المصادر لخرج بنا المقام عن هدف الرسالة المؤلّفة لأجله، والتفصيل موكول إلى مظانّه، ممّا أُلِّفَ في خصوص منهج وسياسة الإمام أبي عبد الله الحسين، عليه السلام.

٥- استخراج الأبيات الشعريّة التي وردت في الرسالة، مع ترجمة مختصرة لقائلها.

٦- التعريف ببعض الأعلام والوقائع المذكورة في الرسالة.

٧- توضيح المطالب المهمّة، بشرحها والتعليق عليها، أو إحالتها على مصادرها الأصليّة.

٨- شرح معاني الكلمات الغامضة والغريبة.

٩- أدرجتُ عدّة عناوين لتوضيح رؤوس المطالب، ووضعتها بين العضادتين.

١٠- ألحقتُ بأصل رسالتنا هذه رسالةً صغيرةً كانت قد وردت إلى الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، قدّس سرّه، من مدينة مشيغن في أمريكا،

بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة١٣٥٨ هـ، من المدعوّ عبد الله برّي، وردّ الشيخ، قدّس سرّه، عليها، الذي كتبه بتاريخ٢٧ ربيع الآخر سنة١٣٥٨ هـ: المنشورين في كتابه «**جنّة المأوى**»: لصلتهما الوثيقة بموضوع رسالتنا، إتماماً للفائدة.

١١- أبقيتُ على الهوامش التي أدرجها الشيخ كاشف الغطاء والسيّد القاضي الطباطبائيّ[١]، وألحقت بالأُولى جملة «**منه قدّس سرّه**»، وأضفت إليها التخريجات الجديدة وفق المصادر التي اعتمدتها في التحقيق، وجعلتها بين العضادتين.

وفي الختام:

أُسدي جزيل شكري إلى كلّ من أسهم وأعان في نشر هذه الرسالة إلى الملأ العلميّ، ولا سيّما الأخ الشيخ علاء السعيديّ، الذي لفت نظري إلى هذه الرسالة القيّمة وضرورة تحقيقها ونشرها، وإلى سماحة العلّامة السيّد عليّ الخراسانيّ لِما أتحفني به من ملحوظاته النافعة، وإلى الأخ المحقّق السيّد محمّد عليّ الحكيم، الذي أعانني في إبراز الرسالة بما يليق بها.

ولا يفوتني أن أشكر هيئة تحرير مجلّة «**تراثنا**» لِما بذلوه في هذا المجال..

داعياً المولى العليّ القدير أن يوفّقنا جميعاً لِما فيه خدمة المذهب الحقّ مذهب

---

(١) - هو: السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ، وُلد في تبريز سنة ١٣٣١ هـ، عالم فاضل، درس المقدّمات في تبريز عند والده السيّد محمّد القاضي وعمّه السيّد أسد الله القاضي وغيرهما من أساتذة الحوزة العلميّة هناك، ثمّ سافر إلى مدينة قمّ المقدّسة سنة ١٣٥٧ هـ، فأخذ عن علمائها حتّى مرحلة البحث الخارج، وفي سنة١٣٦٩ هـ، وبعد أن أكمل مرحلة السطوح شدّ الرحال إلى مدينة جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلى حيث القبّة التي يرقد تحتها باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله، إلى النجف الأشرف، للاغتراف من نمير علمائها، والارتشاف من مناهل فطاحلها، ثمّ عاد إلى مدينته تبريز سنة١٣٧٢ هـ، بعد أن حاز على درجة الاجتهاد، واتّجه نحو التأليف والتحقيق وإقامة صلاة الجماعة مع أداء واجباته الدينيّة الأُخرى. له مؤلّفات عديدة، منها: كتاب في علم الكلام، أجوبة الشبهات الواهية، رسالة في إثبات وجود الإمام عليه السلام في كلّ زمان، عائلة عبد الوهّاب، حديقة الصالحين. ومن أعماله: جمع وترتيب كتاب «**جنّة المأوى**» لأُستاذه الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، مع إضافة بعض البحوث العلميّة والتاريخيّة والتعليقات النافعة إليه، وسعى في طبعه ونشره لأوّل مرّة في تبريز. استشهد، قدّس سرّه، في تبريز في:١١ ذي الحجّة ١٣٩٩ هـ.

أهـل البيت عليهم السلام، وبثّ علومهـم ونشرها، إنّه نِعم المولـى والمجيب، وآخر دعوانا أنِ.. «**اللّهـمّ كـن لوليّـك الحجّة بن الحسـن، صلواتك عليه وعلـى آبائه، في هذه الساعـة، وفي كلّ ساعة، وليّـاً وحافظاً، وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً، حتّى تسكنه أرضك طوعاً، وتمتّعه فيها طويلا**».

والحمـد للّه أوّلا وآخـراً، وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآلـه الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين، وسلّم تسليماً كثيراً.

عليّ جلال باقر الداقوقيّ

كتاب الشيخ عبد المهدي مطر

دفـع إليَّ[1] حضرة الإمام الحجّة- والدي- دامت بركاته، كتاباً كان قد ورد إليه، هذا نصّه: من الناصريّة، ٢٠ شوّال سنة ١٣٤٨ هـ.

سيّدي حجّة الإسلام، ومرجع الأنام، آية الله الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء مُدّ ظلّه.

إنّ بعضـ المواضيع التي ليست بذات أهمّيّة ربّما تعرض عليها عوارض التشكيك وطـوارئ النقد فتكون أهمّ نقطـة يوجّه إليها السؤال، فالعفو إن كان السؤال في هذا شيء من الركّة في البصيرة، أو الضعف في العارضة، إذا كانت الظروف قد طوّرته إلى هذا الحدّ.

مـولاي! يسـأل المشكّك أو الناقد عمّـا إذا كان الحسيـن عليه السلام عالماً بقتله في خروجـه إلى كربلاء وسبي عياله، فقد عرَّضَ بعِرْضِهِ إلى الهتك، وليس في تعريضه هـذا شـيء مـن الحسن العقلـيّ المعنويّ يـوازي قبح الهتـك، وكُنْتُ قد أجبـتُ: أنّ الهتـك فيه مزيد شناعـة لأعمال الأُمويّين، لم تكن تحصـل بقتل الحسين، عليه السلام، فحسـب، وكانت الغايـة للحسين عليه السلام في خروجه إطفاء نائـرة الأُمويّين، والبروز في المظلوميّة بكلّ مظاهرها، من قتل، وحرق، وسبي.

غير أنّ المشكّك لم يقنع أن تكون وسائل الإطفاء قد قلّت على الحسين، عليه السلام، وهو بذلك المظهر الدينيّ، حتّى احتاج إلى عرض عائلته على الهتك.

فالأمـل أن تفيضـوا علينا مـن فيوضات أنواركـم وجليّ بيانكم: ليقـف المشكّك والناقد على صراط الاعتقاد.

خادمكم عبد المهدي

---

(١) - المتحدّث هو: الشيخ عبد الحليم ابن الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.

(جواب الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء)

وعلمت أنّ هذا الكتاب من الفاضل الأديب الشيخ عبد المهديّ مطر دام فضله، وبعد أن استوفيته بالنظر أمرني الوالد أن أكتب في هذا الموضوع جواباً عن ذلك السؤال، وأن أعتمد على نفسي بدون الاستعانة بكاتب أو كتاب، إلّا ما يقضي به التاريخ، فكتبت ما يلي: الشكّ علّة البدع، ومنشأ الفساد، واختلاف العقائد، ما من أمر إلّا معرّض له[1]، كثيراً ما يطرأ على فكر المرء فيغيّر مجراه ويفسد عليه معتقده، حتّى من البعيد أن يخلو منه امرؤٌ في هذه الحياة الدنيا: لذلك من الصالح للمرء إزالته بأن ينظر فيه من هو أحصف عقلاً، وأثبت رأياً، وأسمى فكراً.

ومن تلك التي تلاعبت دول الشكّ في أسبابها، وكثر اللغط بها: هي الواقعة الشهيرة، وحقّاً إنّها الواقعة، جلّت وعظمت[2]، وبالحريّ أن تداولتها الشكوك، وتلاعبت بها الأفكار، وشخصت إليها الأنظار.

والآن، فلنداول فكرنا فيها إجابة للطلب، وإن كنّا لسنا من أصحاب الأفكار السامية والآراء الثاقبة، لكنّ الفكر يظهر من الردّ والبدل على نتيجة ناجعة.

فنقول: إنّا إذا نظرنا إلى تاريخ الحروب والوقائع نرى منها ما ظهر باسم الحقّ والواجب الدينيّ، وهي التي تقع بين منتحلي الأديان والفرق وأصحاب الحقوق والسيادة، وهي محلّ البحث ومجال النظر. ومنها ما ظهر بمظهر حربيّ سياسيّ صرف، وهي الحروب السياسيّة التي تقع بين الأُمم.

وبما أنّ واقعة الطفّ واقعة مذهبيّة داخليّة ظهرت باسم الحقّ والواجب الدينيّ، لا يمكن الغور في البحث عنها إلّا بعد أن نبيّن ذاتيّة الحسين، عليه السلام، من الجهة الدينيّة عندنا، ونجعلها مقياس البحث.

فالمعتقد فيها أنّها ذاتٌ مقدّسةٌ لا يعتبر بها الخطأ والزلل، تَعْلَمُ بالمغيّبات قبل

---

(١) - كذا في الأصل، ولعلّ الأقرب إلى الصواب: ما من امرئ إلّا معرّضٌ له، أو ما من أمر إلّا عرضةٌ له، أي: عرضةٌ للشكّ.

(٢) - أي واقعة الطفّ الأليمة في كربلاء، في عاشوراء سنة ٦١ هـ.

وقوعها بإذن الله، وهذا الاعتقاد هو داعي البحث ومجلس الشكّ.

فالحسين، عليه السلام، كما كان عالماً بقتله في خروجه، كذلك كان عالماً بقتله في بقائه: إذ من المعلوم ما للأُمويّين من الضغائن والأحقاد القديمة على بني هاشم، فهم يتطلّبون أدنى حجّة وفرصة للفتك بهم.

فيزيد[1] الجائر لمّا رأى ما للعلويّين من التعصّب والتصلّب عليه، تأهّب للانتقام، فأوصى جميع ولاته وعمّاله بالحسين، عليه السلام، شرّاً حتّى ولو وُجد متعلّقاً بأستار الكعبة، لكنّ لين العمّال وتردّدهم في اقتحام مهلكة جهنّميّة كهذه ممّا أمهل الحسين، عليه السلام، أن يصل إلى كربلاء، ولذلك ترى يزيد أكْثَرَ من عزل الولاة والعمّال أيّام الحسين عليه السلام، وأنّ الحسين خاطر الموت قبل أن يصل إلى كربلاء مرّتين، ولكنّ قضاء الله حال دون ذلك:

أوّلاً: في المدينة، وذلك أنّ خالد بن الحكم أو الوليد بن عتبة[2] والي المدينة أرسل إلى الحسين وابن الزبير رسولاً، فذهبا معاً إليه، وكان عنده مروان بن الحكم،

---

(١) - هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وُلد سنة٢٢ وقيل سنة ٢٧ هجريّة، ثاني ملوك الدولة الأُمويّة، ترعرع في تدمر فنشأ نشأة بدويّة، وكان دائم الشغل بالصيد والعبث واللهو والشراب، يدخل المغنّين إلى قصر معاوية «**الخضراء**» في جوف الليل مع علم معاوية. أُمّه: ميسون بنت بحدل بن حنيف الكلبيّة، و«كلب» قبيلة كانت نصرانيّة، أسلمت بعد الفتح الإسلاميّ للشام.

كان يزيد أوّل من سنّ الملاهي في الإسلام، وآوى المغنّين، وأظهر الفسق وشرب الخمر، وكان ينادم عليها جون- مولاه- والأخطل الشاعر، وظهر الغناء بمكّة والمدينة في أيّامه، وأظهر الناس شرب الشراب، وكان يفعل فعل المجوس من نكح الأُمّهات والمحارم، ويتّخذ الغلمان والقيان.

ذكر المؤرّخون أنّه أمر مسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثة أيّام في وقعة الحرّة، وقتل أهلها الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ وحتّى بقيّة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله. وأمر أيضاً الحصين بن نمير بإحراق الكعبة بالمنجنيق ورميها بالنّار والحجارة حتّى هدّمت وأُحرقت البنية. إضافة إلى كلّ هذه الأفعال الشنيعة، فإنّه ارتكب جريمة يندى لها جبين البشريّة ووجه التاريخ إلى يوم القيامة، ألا وهي جريمة قتل سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، وأخذ عياله ونسائه سبايا، فهذه الجريمة النكراء هي وحدها كافية بأن تخرج يزيد اللعين من الدّين والملّة.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعدج ٤ ص ٢١٢، أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٢٩- ٣٧٦، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٣٤، وج ٢ ص ٥- ١٧، تاريخ اليعقوبيّ ج ٢ ص ١٥٤، تاريخ الطبريّ ج ٥ ص ٦٢٣، الفتوح- لابن أعثم- ج ٣ ص ١٨٠- ١٨٨، البدء والتاريخ ج ٢ ص ٢٤١- ٢٤٤، العقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٢، مروج الذهب ج ٣ ص ٦٧- ٧٢، الأغاني ج ٨ ص ٣٣٦، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٨١- ١٨٩، وللمزيد من التفصيل راجع: كتاب «**يزيد في محكمة التاريخ**» لجواد القزوينيّ.

(٢) - الصحيح هو: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولّاه معاوية على المدينة سنة ٥٨ بعد أن عزل عنها مروان. بعث له يزيد بن معاوية رسالة يطلب فيها منه أن يأخذ البيعة له من الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام بعد هلاك أبيه. انظر: تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٢٥٢، تاريخ اليعقوبيّ ج ٢ ص ١٥٤، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٧٧.

فقالا للحسين عليه السلام: بايع!

فقال: «**لا خير في بيعة سرّاً**».. إلى آخره.

فقال مروان: أُشدد يدك يا رجل فلا يخرج حتّى يبايعك، فإن أبى فاضرب عنقه.

وقال الزبير: قد علمت أنّا كنّا قد أبينا البيعة إذ دعانا إليها معاوية، وفي نفسه علينا ما لا نجهله، ومتى ما نبايعك ليلاً على هذه الحالة ترى أنّك قد أغصبتنا على أنفسنا، دعنا حتّى نصبح وتدعو الناس إلى البيعة فنأتيك ونبايعك بيعة سليمة، ولم يزالا به حتّى خلّى عنهما وخرجا.

فقال مروان: تركتهما؟! والله لن تظفر بمثلها منهما أبداً!

فقال: ويحك! أتشير عليَّ أن أقتل الحسين؟! فوالله ما يسرّني أنّ لي الدنيا وما فيها، وما أحسب أنّ قاتله يلقى الله بدمه إلّا خفيف الميزان يوم القيامة.

فقال مروان مستهزئاً: إن كنت إنّما تركت ذلك لذلك فقد أصبت[1].

وعلى أثر ذلك عُزل خالد، أو الوليد[2].

ثانياً: لمّا صادف، عليه السلام، الحرّ الرياحيّ وعارضه، وقال له الحسين، عليه السلام: «**ثكلتك أُمّك**».. إلى آخره[3].

وما ذكرنا ذلك إلّا ليطّلع الناقد على تشدّد يزيد في طلب الحسين، عليه السلام، وأن لا بُدّ من قتله ما دام ممتنعاً!

وبما أنّ القتل كان عند العرب أمراً هيّناً لا أثر له في نفوسهم، آثر الحسين، عليه السلام

---

(١) - انظر: تاريخ خليفة بن خيّاط ص١٧٧ ، أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣١٣- ٣١٧، تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٢٦٩- ٢٧٠، مقتل الحسين- لابن أعثم الكوفيّ- ص ١٥- ٢٠، مقتل الحسين- للخوارزميّ- ج ١ ص ٢٦٨، البداية والنهاية ج ٨ ص ١١٨، تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤، الملهوف على قتلى الطفوف ص ٩٦- ٩٨.

(٢) - الصحيح هو: الوليد، كما سبق أن أشرنا، وقد عزله يزيد عن المدينة وولّى بدلاً عنه عمرو بن سعيد الأشدق. انظر: تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٠٤، حوادث سنة ٦٠ هـ، الكامل في التاريخ ج ٣ ص٣٨٠ حوادث سنة ٦٠ هـ، تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥، حوادث سنة ٦٠ هـ.

(٣) - انظر تفصيل الحوار الذي دار بين الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وبين الحرّ بن يزيد الرياحي في: تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٠٥- ٣٠٦، حوادث سنة ٦١ هـ، مقتل الحسين-لابن أعثم ص ٨٩- ٩٦، مقتل الحسين- للخوارزميّ ج ١ ص ٣٢٩- ٣٣٣.

القتل في خروجه مع الهتك، لِما له من التأثير العظيم على نفوس العرب، ومن العاقبة الوخيمة على بني أُميّة، حذراً من أن يقتل في حرم جدّه، ويذهب دمه هدراً بلا تأثير عظيم على العالم الإسلاميّ، ولا الحصول على شرف خالد يستحقّ تمام الإعظام للعلويّين، أو الحصول به على أتباع يتظلّمون لهم ويتطلّبون بحقوقهم[1]، وأمّا ما قلت من أنّه ليس هناك حسن معنويّ يوازي قبح الهتك..

فهل هناك حسن معنويّ أكبر من تلك المحاسن التي تقدّمت، من شرف خالد، وإظهار مظلوميّته، والحصول على أتباع، إلى غير ذلك؟! والهتك- وإن كان قبيحاً في حدّ ذاته- لم يظهر هنا للعالم بمظهر القبح، بل ظهر بمظهر المظلوميّة.

وأمّا ما قلت: إنّ وسائل الإطفاء لم تك قد قلّت على الحسين، عليه السلام..

فذلك صحيح، لم تك قد قلّت عليه، لكنّ تلك الوسائل لا تلبث أن يتلاشى أثرها بزوال الحسين كأن لم تك شيئاً: فإنّا إذا نظرنا إلى الوسائل التي يتّخذها الثائر بحدّها تنحصر:

أوّلاً: بوسيلة سياسيّة: دعايةً تكون في بادئ أمرها سلميّة تجعل الأُمّة تستفزّ من تلك الدولة حتّى تثور عليها، وذلك بأن تنشر بينها مثالب تاريخ تلك الدولة وفظائع أعمالها، وهذه لا تكون إلّا بعد مضيّ مدّة من الزمن على الدولة، حتّى تتراكم عليها مثالب التاريخ، وأنّه يحتاج في نشرها وتشكيل جمعيّتها إلى زمن غير قصير، وأنّها تحتاج إلى سياسة ودهاء وكذب، وهذه لا يمكن أن يقوم بها رجل كالحسين، عليه السلام،

(١) - لقد أورد ابن عساكر حديثاً أحببت أن أذكره هنا لمناسبته للمقام، قال: و(حدثنا) موسى بن إسماعيل، (حدثنا) جعفر بن سليمان، عن يزيد الرشك، قال: حدّثني من شافه الحسين، قال: رأيت أبنية مضروبة بفلاة من الأرض، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه لحسين. قال: فأتيته فإذا شيخ يقرأ القرآن، قال: والدموع تسيل على خدّيه ولحيته، قال: قلت: بأبي وأُمّي يا بن رسول الله! ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد؟! فقال: هذه كتب أهل الكوفة إليَّ، ولا أراهم إلّا قاتليَّ، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلّا انتهكوها، فيسلّط الله عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأمَة: يعني منفعتها. انظر: تاريخ دمشق ج ١٤ ص ٢١٦، ترجمة الإمام الحسين ابن عليّ عليه السلام.

أقول: فوالله ما التفرّق والذلّ الذي يعيشه المسلمون عامّةً، والعرب خاصّةً، من بعد ذاك اليوم إلى يومنا هذا، وإلى يوم الوقت المعلوم، إلّا نتيجة الجريمة الشنعاء التي ارتكبها يزيد وأعوانه، بقتلهم سيّد شباب أهل الجنّة ابن بنت رسول الله وريحانته الإمام الحسين عليه السلام، وخذلان غيرهم، ورضا وسكوت آخرين، من قبل وقعة الطفّ الفظيعة وحتّى زماننا هذا، فحقّ عليهم دعاؤه عليه السلام: «**اللّهمَّ إنْ متّعتهم إلى حين فَفَرِّقْهم فِرَقاً، واجعلْهم طَرَائقَ قِدَداً، ولا تُرْضِ الولاةَ عنهم أبداً: فإنّهم دَعَونا لِيَنْصرونا، ثمَّ عَدَوْا علينا فقتلونا**». انظر: الإرشاد ج ٢ ص ١١٠- ١١١.

ظاهر في أوائل الدولة، مُعَرَّضٌ- بامتناعه عن البيعة- للقتل، غير لائق به الكذب.

ثانياً: بوسيلة حربيّة: وهي تقوم بإشهار السيف، وهي التي لا مَفَرَّ للحسين منها، وهو أن يشهر السيف في مكّة والمدينة، فيذهب مع أصحابه الثائرين من أهل المدينة ليس له أثر في التأريخ عظيم، فإنّه لا يلاقي من تلك الفجائع التي تأخذ بالقسط الأوفر من التأثير على النفوس، فيذهب الحسين في المدينة كما ذهب أصحابه، من عبد الله بن الزبير وغيره من أهل المدينة، لا أثر لهم في صفحات المجد والتأريخ، فقط أنّه يمتاز منهم بما له من الحسب الشريف، وهذا لا يزيد كفّة الميزان شيئاً يُذكر ما لم يباشره شيء آخر.

فيتّضح من ذلك للناقد أن لا سبيل له في الانتقاد على الحسين، عليه السلام، في خروجه، وهو يرى أنّ الوسائل التي بيد الحسين عليه السلام لا تضع أثراً خالداً، ويرى أن لا بُدّ له من القتل، وإذا قتل بصورة بسيطة غير مفجعة لم تؤثّر في النفوس أثراً كبيراً، فنقول: قُتل كأصحابه، وأكثر العرب يموت قتلاً.

وهذا آخر ما تفضّل به عَلَيَّ الفكر: والسلام.

عرض الجواب على الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

ثمّ إنّي رفعت هذا البيان وعرضته على مطالع والدي، الحجّة السامية، وبعد أن استوفاه بالنظر، قال: إنّه وإن كان على مقربة من الصواب، ولكن لا أحسب أنّ الخصم أو المشكّك يقنع به، ولا تُزاح عنه به العلّة، ولا تنقطع به الخصومة، والمسألة تحتاج إلى تشريح من البيان أوسع من هذا.

ثمّ أوعز بالحضور لديه في أوقات فراغه، والجلسات التي ينتهزها من متراكم أشغاله، بالبحث والمطالعة والتدريس وفصل الخصومات، فأملى علَيَّ في عدّة مجالس عدّة وجوه حاسمة للشبهة، وقاطعة للحجاج، فجاءت رسالة من أبدع ما يكون في بابها، بل هي باكورة الإبداع في موضوعها.

جواب الشيخ كاشف الغطاء

قال، دامت بركاته وامتدّت فيوضاته:

كَتَبْتَ إليَّ أيّها الفاضل- مدّك الله منه بالعون والعناية- تذكر سؤال الناقد المشكّك عن الحسين، عليه السلام، إذا كان عالماً بقتله في خروجه إلى كربلاء وسبي عياله، فقد عَرَّضَ بِعِرْضِهِ إلى الهتك.

وأنّك أجبت: بـ «**أنّ الهتك فيه مزيد شناعة لأعمال الأُمويّين لم تكن تحصل بقتله فحسب**»، وذكرت أنّ المشكّك لم يقنع بهذا الجواب، وطلبت منّا جليّ البيان ليقف المشكّك على صراط الاعتقاد.

فنقول والله المستعان:

أوّلاً: إنّ هذا السؤال وأمثاله من البحث والنظر الذي يتمخّض عن الاعتراض والتحدّي لأعمال الأئمّة، بل ولأعمال رسول الله وخلفائه المعصومين سلام الله عليهم، لا موقع له على أُصول مذهبنا معشر الإماميّة، الّذين قادنا الدليل والبرهان إلى القول بعصمة أُولئك النفر المخصوص[1].

فليس عندنا في مناهجهم الخاصّة، وأعمالهم التي تصدر عنهم طول حياتهم بين البشر، إلّا كمثل رَجُل عَرَفَ مِنْهُ المَلِكُ تمام الكَفاءَةِ، وأحْرَزَ مِنْهُ صِدْقَ الطاعةِ، فأرسلَه سفيراً إلى قوم، يَبُثُّ بينهم الدعاية، ويقوم فيهم بالإرشاد والهداية، وزوّده بمناهج مخصوصة، وألزمه أن لا ينحرف عنه قيد شعرة.

ولكلّ واحد من الأنبياء والأئمّة سجلٌّ خاصٌّ به، من بدء قيامه بالسفارة والدعوة إلى منتهى أجله، حسب المصالح ومناسبات الظروف الخاصّة، والحِكَمِ التي اقتضت لذلك المَلِك الحَكيم أن يسجّلها على ذلك السفير، مِن قتل، أو سمّ، أو أسر، أو غير ذلك من قضايا التضحية والمفاداة.

---

(١) - راجع مباحث الإمامة في: دلائل الصدق ج ٤ ص ٢٠٥ وما بعدها.

وعـبء السؤال وعبء البحث عن تلك الحِكَـم والأسرار مطروحٌ عن الرعية، وهو تكلّـفٌ زائد، بل ربّما يكون نفس السفير غيـر واقف عليها تماماً، إنّما يجد في سجلّ أحوالـه: عليك أن تبذل نفسك للقتل في الوقت الفلاني: فيقول: سمعاً وطاعة: وليس لـه حقّ السؤال والمراجعة عن الحكمة أو المصلحة بعد أن كان من اليقين على مثل ضوء الشمس أن قضايا ذلك الحَكَم[1] وعزائِمَهُ كُلَّها مُنبَعِثَةٌ عن أقصى ما يمكن من الصلاح ومعالي الحكمة، ليس في الإمكان أبدع ممّا كان.

وكلّ هـذه النظريّـات سلسلة عقائـد يبتني بعضهـا على بعضـ، وكلّها مدعومة بالحجّـة والبرهان ممّـا تمخّضت عن عقـول الفلاسفة وآراء الحكمـاء من معاهد العلـم والتأريـخ، وكلّها فروع أصـل واحد، ينتهي إليه البحـث والجدل، وتنقطع عن الخصومة.

ومـا هـو إلّا إثبات العنايـة الأزليّة والقوّة القاهـرة الشاعرة، وأنّهـا هي المدبّرة لهذه العوامل، لا الطبيعة العميـاء والمادّة الصمّاء الفاقدة للحسّ والشعور[2]، وبعد إثبـات تلك العناية ورسوخ الاعتقاد بها يهون ويسهـل إثبات ما يتفرّع عليها من تلك النظريّات.

وأنّ مِـنْ لازم تلـك العنايـة، بعث الهُـداة والمُرشديـن البالغيـن أقصى مراتب الكمـال البشريّ: لتكميل الناقصين من بني جنسهـم، ولا يتسنّى التكميل والاهتداء إلّا بالتسليـم والانقياد لهم، واليقين بعصمتهم عن الخطأ والخطيئة، وأنّهم مؤيّدون بتلك العناية.

وبعـد الإلزام بكلّ هاتيك المبادئ عن براهينها، لا يبقى مجال للشكّ والارتياب، والنقـد والاعتراضـ في شيء من أعمالهـا مهما كانت في الفظاعـة والاستنكار في مطارح العقول المحدودة والأفكار المحجوبة.

---

(١) - كذا في الأصل، والظاهر أنّه تصحيف: «**الحكيم**»، بقرينة: «**الملك الحكيم**» التي جاءت قبل عدّة أسطر.

(٢) - إشارة إلى المادّيّين الّذين يسلّمون بوجود المادّة وحدها، وبها يفسّرون الكون والمعرفة والسلوك، ويقولون بأنّ الطبيعة هي المدبّرة لعوامل الكون.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

ولعلّ إلى ذلك أشاروا، سلام الله عليهم، بقولهم- إنْ صحّ الحديث- : «**نحن أسرار الله المودعة في هياكل البشريّة: يا سلمان! أنزلونا عن الربوبيّة ثمّ قولوا فينا ما استطعتم، فإنّ البحر لا ينزف، وسرّ الغيب لا يُعرف، وكلمة الله لا تُوصف، ومن قال هناك: لِمَ؟ ومِمَّ؟ وبِمَ؟ فقد كفر**»[٢].

ولعلّ المراد بالكفر معناه الأوّل، وهو الظلام

. . . . . إنْ صَحَّ أنَّ اللَّيلَ كافِرْ[٣]

يعني: إنْ تعرّضَ لتلك الاعتراضات فقد ظَلمَ وأظلمَ كمن خاض في لُجّ من الظلمات. وما ذكرتُ هذه النبذة إلّا للإشارة إلى جواب ذلك السؤال من الوجهة الدينيّة محضاً، وإن كنت أعلم أنّ ذلك ممّا لا يُعَوِّل عليه المشكّك الناقد، ولا يعتدّ به المُعْتَرِضُ المُتَحَيِّر، سيّما لو كان ممّن لا يعرف الحسين، عليه السلام، كما تعرفه علماء الشيعة وخواصّها، إماماً معصوماً لا يتطرّق إليه العبث والعيث[٤]، فضلاً عن الغلط والاشتباه، بل غاية ما يقول فيه أنّه من عَلِيّةِ الرجال وأفاضلهم، نسباً ونفساً وشجاعة وبراعة، لكن لا يمنع كُلُّ ذلك مِنْ أنْ يجري عليه ما يجري على غيره مِن نوابغ الدهر،

---

(١) - سورة النساء الآية ٦٥.

(٢) - اللمعة البيضاء- للتبريزيّ ص ٦٤- ٦٥ عن معاني الأخبار، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة- للسيّد عبد الله شبّر ص ٢١٠.

(٣) - عجز بيت من قصيدة للشاعر بهاء الدّين زهير، المتوفّى٦٥٦ هـ، وتمامه في الديوان، ص ١٥٦:

إنْ صَحَّ أنّ اللّيلَ كافِرْ لي فيكَ أجرُ مجاهِد

والكَفر- لغةً-: ستر النعمة، وأصله الكَفر- بالفتح، أي: الستر، ومنه سُمّيَ المزارع كافراً لستره البذر، وقيل: الليل كافر، لأنّه يستر بظلمته كلّ شيء، وكَفَر الليلُ الشيءَ، وكَفر عليه بمعنى غطّاه. انظر: تفسير الطبريّ ج ١ ص ١٤٣، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج ١ ص ٢٢، لسان العرب ج ١٢ ص ١٢٠، مادّة «**كفر**»، تاج العروس ج ٧ ص ٤٥٢، مادّة «**كفر**».

- العَيْثُ: مصدر عاثَ يعيثُ عَيثاً وعُيوثاً وعَيثاناً: أفسد وأخذ بغير رفق، وقيل: هو الإسراع في الفساد. انظر: لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١، مادّة «**عيث**».

(٤) - العَيْثُ: مصدر عاثَ يعيثُ عَيثاً وعُيوثاً وعَيثاناً: أفسد وأخذ بغير رفق، وقيل: هو الإسراع في الفساد. انظر: لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١، مادّة «**عيث**».

وأفذاذ البشر، من الصواب تارة، والخطأ أُخرى، والاستقامة أحياناً، والالتواء حيناً، وكرم سجاياه وعظم مزاياه لا يقع سدّاً بين العقول وبين النقد عليه في بعض سيرته وسياسته، إن لم يكن في كلّها: والكمال للّه. وحينئذ فلنفرض الحسين، عليه السلام - كما يفترضه السائل- زعيماً من الزعماء، يرى نفسه بما أُوتي من شرف الحسب والنسب أَوْلى بالخلافة من يزيد، وأحقّ بالمُلكِ منه، ولا جرم أنّه يبذل كلّ ما في وسعه لاستعادة ذلك الحقّ المغصوب منه ومن أبيه.

أوّلاً: فعلى الأقلّ أنّه لا يبايع يزيد ويصير رعيّة له، مع ما هو المعلوم من المجاهرةِ بإحياءِ كُلِّ رذيلة، وإماتةِ كُلِّ فضيلة[1].

وعليه: فالجواب الذي ذكرته إذا كُسي حلّة أُخرى من البيان لم يكن للخصم، لو أنصف أن لا يقتنع به.

وهل من سبيل إلى الكشف عن نفسيّة يزيد وخسّة طبعه وعدم أهليّته، من حيث لؤم عنصره، وخبث سريرته، وقبح سيرته- مع قطع النظر عن الدّين والشرع- أقرب وأصوب وأعمق أثراً في النفوس عامّة والعرب خاصّة والمسلمين بالأخصّ، من هتك حرم النبوّة صلى الله عليه وآله وسلم وودائع الرسالة، وجلبهم أُسارى من بلد إلى بلد، ومن قفر إلى قفر؟! وهل أعظم فظاعة وشناعة من التشفّي والانتقام بالنساء والأطفال بعد قتل الرجال؟! وأيُّ ظفر وغلبة على يزيد أعظم من إشهار هذه الجرائم عنه؟!

أمّا القتل: فقد كان عند العرب أهون شيء، وهو أمر معتاد متعارف لا شيء فيه من الفظاعة والغرابة، فكان الحسين، عليه السلام، أعرف أنّ يزيد وابن زياد من خبث الذات وسوء الملَكة مستعدّان لتلك الجرائم: فأراد أن يبرزها منهم إلى الوجود وتكون الناس منهم على بيّنة محسوسة، ثمّ يكون الغالب بعدها هو المغلوب، والقاهر هو المقهور.

نعم، يزيد قتل الحسين، عليه السلام، وأنصارَه، ولكنّ الحسين قتل يزيد وكلَّ بني أُميّة

(١) - كما مرّ في ترجمته في الصفحة ٣١٧ فراجع!

بأعظم من قتلهم له بألف مرّة: قتلهم يزيد يوماً واحداً، وقتلوه وقومه إلى آخر الأبد: فأيّ الظفرين أعظم؟! وأيّ القتلين أكبر؟!

وهـذه الفلسفة قـد أدركها حتّى الباحثـون من الأجانب عن الإسـلام، وقد ألمح إليها المستشرق الألمانيّ المسيو ماربين، حيث قال: «**لمّا كان الحسين يعلم عداوة بنـي أُميّـة وبني هاشـم، ويعرف أنّه بعد قتله يأسِرونَ عيالـه وأطفاله، وذلك يؤيّد مقصـده ويكـون له أثـر عظيم في قلـوب المسلمين، سيّما العـرب، كما وقع ذلك، جلبهم معه وجاء بهم من المدينة...**»

إلـى أن قـال: «**ولمّـا كانـت أنظـار المانعيـن محـدودة، وأفكارهـم قاصـرة، ولا يدركـون مقاصـد الحسيـن العالية، وآخر ما أجابهم بـه: إنّ الله شاء ذلك، وجدّي أمرني به**[1]**، فقالوا: إن كنت تمضي إلى القتل فما وجه حملك النسوة والأطفال؟ فقال: إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا**»[2]. انتهى[3].

أقـول: وهذا الجواب ليس كما تخيَّلَهُ المستشرق جوابـاً إقناعيّاً، ودفعاً وقتيّاً، بل له مقامـه الراهن من الحقيقة، ولعلّ الله سبحانه، وجدّه ﷺ، إنّما أمراه بذلك كي يُفتضَـح يزيد ويظهـر حاله للناس، نحن لا نقول: إنّ الطريـق لهتك يزيد انحصرت بهتـك العيال: ولكن نقول: إنّه كان أحد الطرق التي لها التأثير الكبير في المقصود. والقـول: إنّه لا يجوز في الدِّين أن يُعَرِّضَ نسـاءه للهتك مهما كان الأمر: فهو منبعث عـن البساطة والسذاجـة، فإنّ الذي لا يساعد عليه الدِّين، بـل ولا تسمح به الغيرة، هو تعريضـ الإنسان عِرْضَهُ للهتك الموجب لِما يمسّ الشرف، ويخدش رواق العفّة والصيانة، وسرادق النجابة والحصانة.

أمّـا الهتك الذي تستحكم به عرى القدس والطهـارة والعزّة والمنعة، فذلك ممّا

---

(١) - انظر: البداية والنهاية ج ٨ ص ١٣١.

(٢) - الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٢٨، بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٤، ينابيع المودّة ج ٢ ص ٦٠.
وانظر: أُسد الغابة ج ١ ص ٤٩٨ رقم ١١٧٣، ترجمة الإمام الحسين- ابن سعد- ص٥٩، تاريخ دمشق ج ١٤ ص ٢٠٩.

(٣) - السياسة الإسلاميّة لماربين.

لا يشيـن ولا يهين، وتلك الحرائر، صلـوات الله عليهنّ، مهما سَفِرْنَ فَهُنَّ محجّبات، ومهما تَبَذَّلْنَ فهنّ مَصونات، وهنّ بحيث النجم من يد المتناول[١]

يَشُعُّ عَلَىٰ وَجْهِ الْبَرَاقِعِ نُوْرُهَا فَيَحْسَبُ رَاءٍ أَنَّهُنَّ سَوَافِرُ[٢]

والغرضُ: أنّ هذا الجواب محكم رصين، وله حظّه من الحقيقة، وإذا لم يقنع به الناقد والمشكّك فهناك:

وجه ثان وجيه أيضاً، وهو: أنّ الحسين عليه السلام، في كلّ أدواره وأطواره، ومنذ نشأ وشبّ إلى آخر نفَس من حياته، كانت شيمته الشمم والشهامة، وعزّة النفس والإباء والكرامة، تتجلّى وتشعّ من جميع حركاته وسكناته، وكلّ أحواله وملَكاته، ولو ذهبنا إلى سرد الشواهد على هذا لجاء كتاباً مفرداً، ومجموعاً وافياً.

ويخطر لي أنّ الحسن عليه السلام، لمّا صالح معاوية على الشروط التي لم يفِ بشيء منها، وكان قد حضر عند معاوية مع خواصّ أصحابه للبيعة، فبايع الحسن ومن معه، وطلب معاوية البيعة من الحسين عليه السلام، فقال: دعه! فإنّه لا يبايع، ولكن لا يأتيك منه سوء.

فقال: حسبنا منه ذلك[٣].

---

(١) - المراد أنّ حرائر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام كالنجم في البعد وعلوّ المرتبة، وفي منزلة يستحيل معها الوصول إليهن أو مسّهنَّ بما يخدش عفّتهنَّ، روحي وأرواح العالمين لهنّ فداء.

(٢) البيت للشاعر جواد بدقت الأسديّ، ضمن قصيدة من٣٥ بيتاً، مطلعها:

رسـوم بأعلـى الرقمتيـن دوائـرُ بواعـث أنّـي للغـرام مـؤازرُ

إلى أن يقول:

فيحسـب راء أنّهـنَّ سوافِـرُ يطـوف علـى وجـه البراقـع نورها

ويقول في آخر القصيدة:

ويـا ليـت خـدّي دون خـدّك عافـرُ فيا ليت صدري دون صدرك موطئٌ

والشاعـر هـو: جواد بن محمّد حسين الأسديّ الحائريّ، الشهير بـ (بدقـت) أو (بذكت)، وُلد في كربلاء عام ١٢١٠ هـ. كان فاضـلاً أديباً مشهـورَ المحبّة لأهل البيت عليهم السلام، ومن مشاهير شعراء القرن الثالـث عشر، ساجل العديد من شعراء عصره، أمثال الشيخ صالح الكوّاز كما ذكر ذلك الشيخ اليعقوبيّ في «**البابليّات**».

نَظمَ في مختلف أبواب الشعر فأجاد وأبدع، له ملحمة رائعة يمتدح بها أهل البيت عليهم السلام، توفّي سنة ١٢٨١ هـ. انظر: أدب الطفّ ج ٧ ص ١٤٤- ١٥١.

(٣) - انظر: مناقب آل أبي طالب- لابن شهرآشوب ج ٤ ص ٤٠.

وبعد أن تمّ الأمر لمعاوية كان الحسين عليه السلام إذا اجتمع به في حشد من محافل الشام أو الحجاز يناضله ويناظره فيرضخه من القول بالصَّلادِم[١]، ويصكّ جبهته بما هو أمضّ من الصَّوارِم[٢]-ورُبّ قول أنفذ من صول[٣]-، ومعاوية يحتمل كلّ ذلك منه لِما يعلم من عزّة نفسه وشدّة شكيمته.

مـرّ على الحسين عشـرون عاماً- مدّة خلافة معاوية- ما ذاق فيها طعم الخضوع والاستكانـة، حتّى إذا هلك معاوية وامتنع عن البيعة ليزيد، ورأى من السداد الهجرة عن المدينة: ليعرف العالم الإسلاميّ امتناعه عن البيعة، فخرج من المدينة بأهل بيته قاصـداً مكّة، ولزم الطريق الأعظم الدرب السلطانـيّ، فقيل له: «**لو تنكّبت الطريق كما فعل ابن الزبير؟ فقال: لا والله لا أُفارقه أو يقضي الله ما هو قاض**»[٤].

فالحسيـن- وعلى ذِكره السلام، هو يحمل بين جنبيـه هذه النفس الكبيرة- لمّا أراد الخـروج مـن مكّة إلى العراق أبـت نفسه الكريمة، وأنفت همّتـه القعساء[٥] أن يخرج هو وولدانه وغلمانه على ظهور خيولهم خروج المتشرّد الخائف، والنافر الفزع، ولـم يرض لنفسه إلّا أن يظهر بأسمى مظاهر الأُبَّهَـةِ والهَيْبَةِ والجَلالِ والحِشْمَةِ في الموكـب الملوكيّ، وفخامة الملك والسلطان. ومـن المعلوم أنّ لحمل الحرم والعائلة مـن لوازم الفخامة والعظمة، وشوكة المناطق والسـرادق، ما لا يحصل بدونها، ولو خـرج سلام الله عليـه من أوطانه وترك عقائله في عقر دارهـم لكان خروجه أشبه مـا يكون بصعاليك العـرب وأهل الغزو والغارات والمتلصّصيـن، وحاشا لسيّد أهل الإباء أن يرضى لنفسه بتلك المنزلة والخطّة السافلة، بل سار بأهله وذراريه ليكون

(١) - الصِّلْـدِمُ والصُّلادِمُ: الشديدُ الحافر، وقيل: الصِّلْدِمُ: القـويّ الشديد من الحافِر، وجمعه: صَلادِم- بالفتح-، وفرسٌ صِلْـدِمٌ- بالكسـر-: صُلْبٌ شديد، ورأسٌ صِلْدِمٌ وصُلادِمٌ- بالضمّ-: صُلْب. وهـي هنا كناية عن قوّة حجّة الإمام الحسين عليه السلام وبلاغته. انظر: لسان العرب ج ٧ ص ٣٨٧، مادّة «**صلدم**».

(٢) - أي: أحدّ من السيوف.

(٣) - من حِكَم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، انظر: نهج البلاغة ٥٤٥ رقم ٣٩٤.

(٤) - مقتل الإمام الحسين- لابن أعثم الكوفيّ- ٣٠.

(٥) - القَعَس: نقيض الحَدَب، وهو خروج الصدر ودخول الظهر، قَعِسَ قَعَساً، فهو أقْعَس ومُتقاعس، والمرأة قعساء، والجمع: قُعْس. و«همّته القعساء» هنا كناية عن علوّ همّة الإمام الحسين عليه السلام وارتفاع عزيمته وسموّ شأنه. انظر: لسان العرب ج ١١ ص ٢٤٣، مادّة «**قعس**».

علـى مهاد الدّعة والسكينـة والهدوء والطمأنينة، كَسَيْر أكبـر ملك من ملوك الدنيا وأوسعهم في القدرة والسلطان.

ولا تخالـنّ فـي كلمتي هذه ضرباً مـن الخيال، أو شيئاً من المبالغـة والغلوّ: كلّا، فإنّـك لو نظرت إلى بعض الخصوصيّات في سيره لوجدت منها أوثق شاهد لك على ما ادّعيناه.

أنْعِـمِ النظر في قصّة الحرّ التي اتّفقـت على نقلها أرباب المقاتل وأُمناء التاريخ والسيَر[١]، حيث التقى بالحسين في قفر من الأرض لا ماء فيه ولا كلاء، وقد أمضّ بـه وبأصحابه العطش، وَهُمْ زُهاءَ ألف فارس على ألف فرس، فقال الحسين عليه السلام لفتيانـه: «**اسقوا القـوم وأوردوهم المـاء، ورشّفوا الخيـل ترشيفـاً**»، ففعلوا وأقبلوا يمـلأُون القِصاع[٢]، والطِساس[٣] مـن الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقي آخر حتّى سقوها عن آخرها.

فانظر أوّلاً، واعجب ما شئت بهذا الحنان والرحمة والعطف والإشفاق، فإنّ القوم الّذيـن سقاهم الحسين عليه السلام، كانوا أعداءه، وقـد جاءُوا مِنْ قِبَل ابن زياد للقبض علـى الحسين عليه السلام، حتّـى إنّ عليّ بن طعّان المحاربيّ- وهـو عراقيّ من أصحاب الحرّ-لـم يعـرف كيـف يشرب مـن الراويـة[٤] وكيف يخنـث[٥] السقاء كمـا يفعله الحجـازيّ، فكان يشرب والمـاء يسيل على أشداقه وثيابـه، فنزل الحسين عليه السلام، بنفسه وخَنَثَ السِّقاء حتّى شرب وارتوى[٦].

---

(١) - تقدّمت الإشارة إلى ذلك.

(٢) - القَصْعَـةُ: الصَّحفـة أو الضَّخمة منهـا تشبع العشرة، والجمع: قِصاعٌ وقِصَعٌ وقَصَعـات. انظر مادّة «**قصع**» في: لسان العرب ج ١١ ص ١٩٣، تاج العروس ج ١١ ص ٣٧٥.

(٣) - الطَّسُّ: الطَّسْـتُ من آنية الصفر، أُنثـى تُذكَّر، وهي فارسيّة، والجمع: طِساس. انظر: تـاج العروس ج ٣ ص ٩٠، مادّة «**طست**» وج ٨ ص ٣٤٠ مادّة «**طسس**».

(٤) - الراوية: هو البعير أو البغل أو الحمار يُستقى عليه الماء، والراوية هنا هي المِزادة والوعاء الذي يكون فيه الماء، سمّيت راوية لمكان البعير الذي يحمله. انظر: لسان العرب ج ٥ ص ٣٨٠، مادّة «**روي**».

(٥) - خَنَـثَ: ثَنَـى وكَسَرَ، خنَثَ فَمَ السِّقاء: ثنى فاهُ وكَسَرَه إلى الخارج، فشرب منه، وإن كَسَرَهُ إلى الداخل فقد قَبَعَهُ. انظر: تاج العروس ج ٣ ص ٢٠٧، مادّة «**خنث**».

(٦) - انظر: تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٠٥، مقتل الحسين للخوارزميّ ج١ ص ٣٢٩- ٣٣٠.

واعجب ثانياً، لإيثاره بالماء في بادية قحلاء وصحصحان أجرد[١]، والماء فيه أعزّ من الذهب، وقد لا يجدونه في يومين أو ثلاثة أو أكثر، فأيُّ سخاء هذا السخاء؟! وأيُّ نفس تلك النفس؟! وأعجب ثالثاً- وهو محلّ الغرض- كم كانت سعة ذلك الموكب السلطانيّ وإدارة ذلك الركاب الملوكيّ؟! وكم كان يحمل من الماء؟! حيث سقى نفسه وأعداءه، سقى ألف فارس وألف فرس، وعلى أقلّ تقدير أنّ النفوس التي كانت مع الحسين عليه السلام، من أولاده وأنصاره وعيالاتهم ألف نفس، وحمولهم[٢] المِكارَةُ التي تحمل خيامهم وأمتعتهم، وما إليها من قدور وقصاع وطساس، ونحو ألفين من الخيل والبغال غير الإبل، فتكون النفوس المحتاجة إلى الإرواء بالماء في ذلك الموكب- على أقلّ التقادير- خمسة آلاف أو أربعة آلاف نسمة، غير الفضلة الاحتياطيّة التي سقى منها الحرّ وأصحابه وخيولهم. فالموكب الذي يحمل من الماء ما يروي ستّة آلاف أو سبعة آلاف نسمة، كم ترى يكون ضخامة ملكه وفخامة سلطانه؟! وإذا صحّ ما رواه الطريحيّ في «**مجمع البحرين**» من أنّ الحسين عليه السلام، لمّا نزل كربلاء اشترى أرض نينوى والغاضريّة من بني أسد بستّين ألف درهم، واشترط عليهم أن يدلّوا زوّاره على قبره ويضيّفوهم: انتهى بمعناه[٣]: فكم كان معه من الأموال والنقود التي يكون فضلتَها ستّون ألفاً؟! وأزيدك شاهداً على ذلك من عظمة الملك والسلطان قضيّة محمّد بشير الحضرميّ[٤] الذي رواه السيّد ابن

---

(١) - الصَّحْصَحُ والصِّحصحاحُ والصَّحصحان: كلّه ما استوى من الأرض وجَرَد، والجمع: الصحاصِحُ، والصَّحصحُ، الأرض الجرداء المستوية ذات حصىً صغار، وأرض صحاصحُ وصحصحان: ليس بها شيء ولا شجر ولا قرار للماء. انظر: لسان العرب ج ٧ ص ٢٧٧، مادّة «**صحح**».

(٢) - الحُمُول: الإبل وما عليها من الهوادج والأثقال. انظر: لسان العرب ج ٣ ص ٣٣٤، مادّة «**حمل**».

(٣) - انظر: مجمع البحرين ج ٥ ص ٤٦١، مادّة «**كربل**».

(٤) - كذا في الأصل، والظاهر أنّ كلمة «**بن**» ساقطة، لأنّ بعض المصادر التي نقلت القصّة ذكرت أنّه «**محمّد بن بشير الحضرميّ**»، كما في: ترجمة الإمام الحسين ومقتله لابن سعد ص ٧١، تاريخ دمشق ج ١٤ ص ١٨٢، اللهوف على قتلى الطفوف ص ١٥٣، بغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٥٩٢، تهذيب الكمال ج ٤ ص ٤٨٣، ومصادر أُخرى ذكرت أنّه «**بشير بن عمرو الحضرميّ**» كما في: مقتل الحسين- لأبي مخنف- ص ١٥٦، تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٣٠، وترجم له صاحب «**تنقيح المقال**» قائلاً: بشر بن عمرو بن الأحدوث الحضرميّ الكنديّ، كان من حضرموت وعداده في كندة، وكان تابعيّاً، وله أولاد معروفون بالمغازي، وكان ممّن جاء إلى الحسين عليه السلام أيّام المهادنة. انظر: تنقيح المقال ج ١ ص ١٧٣ رقم ١٣٣١.

طاووس وغيره حين قيل له ليلة عاشوراء ليلة القلق والأرق، الليلة التي كانت المَنايا فيها على الحَوايا[١]، والحِمام يحوم فيها على الخيام قيل له: إنّ ابنك أُسر في ثغرَي الريّ: فقال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما أُحبّ أن يؤسر وأنا أبقى بعده: فسمع الحسين عليه السلام قوله، فقال له: «**رحمك الله، أنت في حلّ من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك**». فقال: أكلتني السباع حيّاً إن فارقتك. قال: «**فاعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه**». فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار[٢].

وعليه: فيكون قيمة كلّ ثوب مئتي دينار، مئة ليرة ذهب.

وأنا لا أدري ما كانت تلك الثياب التي قيمة الواحد مئة ليرة؟! وكم كان معه مثلها؟! ولماذا يحملها وأمثالها معه في تلك المراحل؟! هذه سؤلة لعلّك في غنىً عن الجواب عنها، ولكن أيّها الناقد المشكّك! أتحسب أنّ الحسين عليه السلام، كان صعلوكاً من صعاليك العرب، ولئيماً من لئامها، كابن الزبير، الذي يقول لجنده: أكلتم تمري وعصيتم أمري؟![٣] ويقول للوافد عليه، المستجدي منه، بعد أن قال له: إنّ ناقتي قد نَقِبَت[٤].

فقال: ارقعها بِهُلْب[٥]، واخصفها بِسِبْت[٦]. فقال الوافد: لعن الله ناقةً حملتني إليك. فقال: إنّ وراكبها[٧].

---

(١) - الحويَّة: كساء محشوٌّ حول سنام البعير، وهي السويّة، والحويّة لا تكون إلّا للجمال، والسويّة قد تكون لغيرها، لذا تقول العرب: المَنايا على الحَوايا، أي قد تأتي المنيّة للشجاع وهو على سرجه. انظر: لسان العرب ج ٣ ص ٤٠٩، مادّة «حوا».

(٢) - انظر: ترجمة الإمام الحسين ومقتله- لابن سعد- ص ٧١ رقم ٢٩٢، تاريخ دمشق ج ١٤ ص ١٨٢، الملهوف على قتلى الطفوف ١٥٣- ١٥٤، بغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٥٩٢، تهذيب الكمال ج ٤ ص ٤٨٣، بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٩٤.

(٣) - انظر: شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٣، تاريخ اليعقوبيّ ج ٢ ص ٢٦٦.

(٤) - النَّقِبُ: رقّة الأخفاف، نَقِبَ البعيرُ ينقبُ فهو نَقِبٌ، بالكسر إذا رقّت أخفافه. انظر: لسان العرب ج ١٤ ص ٢٤٩، مادّة «**نقب**».

(٥) - الهُلْبُ: الشَّعر كلّه، وقيل: هو في الذَّنَب وحده، وقيل: هو ما غلظ من الشعر، والهُلْبةُ شعر الخنزير الذي يخرز به. انظر: لسان العرب ج ١٥ ص ١١١، مادّة «**هلب**».

(٦) - السِّبْتُ- بالكسر-: جلود البقر المدبوغة بالقَرظ، تُحذى منه النِّعال السبتية. انظر: لسان العرب ج ٦ ص ١٤٠، مادّة «**سبت**».

(٧) - انظر: الأغاني ج ١ ص ١٨- ١٩، تاريخ دمشق ج ٢٨ ص ٢٦١، وج ٤٨ ص ٢٨٥، النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٧٨، شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٣٩. وذكر القصّة ابن منظور في لسان العرب ج ١ ص ٢٤٤، مادّة «**أنن**»، وقال: «**إنّ وراكبها، يعني: نعم مع راكبها**».

لا يـا هـذا! الحسين أكبر ممّا تظنّ ، الحسين أكبر مـن أن يتخلّص من طواغيت بنـي أُميّة الّذيـن أرادوا سفك دمه في حرم الله فتنتهك بـه حرمة الحرم، كما فعل ابـن الزبير وفعلوا به، هـو أكبر من أن يخلص بنفسه ويترك عيالـه يشرئبّون إليه ويتطلّعون إلى أخباره ويناشدون الركبان عنه.

وأمّا ما تخيَّلْتَهُ من أنّ هتك الحريم لا يقدم الغيور عليه مهما كان الأمر، فهو وَهمٌ زائـف، وقد عرَّفناك أنّ الهتك المُشين هو الذي يلمس أذيال العفّة، ويمسّ ذلاذل[1] الشرف، لا الذي تستحكم به أسوار الصون وسياج العفاف.

وبعد هذا كلّه، فهل أقنعك هذا الوجه، وعرفت كيف كانت منزلة الحسين عليه السلام من عظمة الشأن وسموّ السلطان؟!

وهنـاك وجـه ثالث لحمـل العيال، وهو: كمـا كانت العـرب عليه مـن أنّهم إذا أرادوا أن يستميتـوا في الحرب، ويصبروا للطعن والضرب، جعلوا الحريم خلفهم، واستقبلـوا العـدوّ، فإمّا الحتـف أو الفتح، ويستحيـل عندهم النكوص أو الفرار، وتـرك الحريم للذلّ والإسار، ويشهد لهذا عدّة وقائع لا تغيب عن الضليع في تاريخ العـرب[2]، عليه حَمَلَ العيال كـي يستميت أصحابه دونها، وينالـوا درجة السعادة بالشهادة كما فعلوا.

وهنـاك وجه رابـع لعلّه أوجه من تلك الوجـوه، وأقربها إلى الحقيقـة، وإنْ كانت للحسيـن عليه السلام ، ملحوظة وراء التعبّد والانقيـاد والرضا والتسليم للمشيّة القاهرة، وكانـت سياسة عن فلسفة نظريّة، وتدابير بشريّة، فهـي هذه الملاحظة التي سوف نبديها ونشير إليها على الجملة حيث لا سعة للتفصيل.

تقول أيّها الناقد: «**إنّ الحسين عليه السلام ، كان يعلم أنّه يقتل..**».

نعم، وأنا أقول كذلك، بل يعلم أنّ جميع مَنْ معه مِن الرجال، بل وكثير من الأطفال

---

(١) – ذلاذل القميص: ما يَلي الأرض من أسافله، الواحد ذُلذُلٌ. انظر: لسان العرب ج ٥ ص ٥٧، مادّة «**ذلل**».

(٢) – انظر: تاريخ الطبريّ ج ١ ص ٤٦٧– ٤٨٢، أحداث معركة ذي قار، و ج ٢ ص ١٦٦ أحداث غزوة حنين سنة ٨ هـ.

يُقتلون حتّى الرضيع[١]، ولا يفلت إلّا وَلَدهُ زين العابدين من أجل العلّة والمرض.

فلمّا عَلِمَ ذلك كُلّه، وَعَلِمَ أنّ بني أُميّة وأشياعهم سوف يموّهون، بل كانوا قد موّهوا على المسلمين أنّ الحسين عليه السلام، خارج على إمام زمانه، وهو يزيد المنصوب بالنصّ عليه بالاستخلاف من الخليفة الذي قبله وهو معاوية، فالحسين عليه السلام، بخروجه باغ، وحكم الباغي القتل فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله[٢]، فتكون هذه الفتوى وهذا التمويه أعظم على الحسين مِن قتله.

وهذا الطلاء المبهرج، وإنْ كان لا يخفى على العارفين والنياقدة، ولكنّهم بالضرورة خاضعون للسلطة، قد شملتهم الذلّة، وأخملتهم القلّة، وألجمهم الخوف والتقيّة، سيّما بعد الفراغ من أمر الحسين عليه السلام، فلا رحمة لأحد بعده ولا حرمة، والناس كما قال هو سلام الله عليه، يوم الطفّ، وكما هو حالهم اليوم: «**عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم**»[٣]، فمن ذا يقدر أن ينبسُ[٤] بالحقيقة، فضلاً عن الإصحار[٥] بها، وسيوف يزيد وابن زياد فوق أرؤسهم، وأموالهم نصب أعينهم؟!

وتعلم كيف يلعب الرجاء والخوف في النفوس، فحينئذٍ فلا يمرّ حول أو حولان إلّا وقد سجّل التاريخ أنّ الحسين عليه السلام - وأستغفر الله- باغٍ عاتٍ وقد قُتل بحكم شريعة جدّه.

وبَعّدَ الناقدُ فريتَه بقوله: هلاّ بايع كما بايع أخوه الحسن عليه السلام، ودفع عن نفسه وأهله القتل؟!

---

(١) - انظر: مقتل الحسين- لابن أعثم الكوفيّ- ص ١٤٠، تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٣٢، الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٦٨- ١٦٩.

(٢) - سورة الحجرات الآية ٩.

(٣) - انظر: تحف العقول ص١٧٤، مقتل الحسين- للخوارزميّ- ج ١ ص ٢٣٧، كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٢.

(٤) - نَبَسَ ينبسُ نبساً: وهو أقلّ الكلام، وما نبس، أي: ما تحرّكت شفتاه بشيء، وما نبس بكلمة، أي: ما تكلّم. انظر: لسان العرب ج ٢٠ ص ١٤، مادّة «نبس».

(٥) - الإصحار: المجاهرة بالشيء، وأبرز له ما في نفسه صَحاراً، أي: جاهره به جهاراً. انظر: لسان العرب ج ١٧ ص ٢٨٩، مادّة «صحر».

كيـف؟! وقد قال بعضـ النواصب في القـرون الوسطـى: إنّ الحسين قتل بسيف شريعة جدّه[١].

وهـذه عند الحسين- وهو عَلَمُ الحقّ، ومنارُ الهُـدى، وجسمُ روحِ الغيرة والإباء- رزيّة لا رزيّة فوقها، ومصيبة لا مصيبة أعظم منها.

فعلـى من يعتمد الحسين عليه السلام، في دفع هـذه الغائلة[٢]، وتفنيد هذه الضلالة، وإنقاذ المسلمين من هذه الورطة المهلكة؟!

أَعَلى رجال وكلّهم سوف يقتلون معه بعلم منه؟!

أم على زين العابدين، وهو أسير مشغول بعلّته، وقتله أهون عليهم من قتل ذبابة؟!

فمَن يقوم للحسين بهذه المهمّة بعد قتله؟!

ومَـن ذا يقرع بالحجّـة، ويوضح المحجّـة، ويكشف الحقيقة، ويتعقّـب القضيّة، ويخطـب في النوادي الحاشـدة، والجوامع الحافلة، تلك الخطبـة البليغة، والحجج الدامغة؟!

تصـوّر ذلك العصر مليّاً، واستوسـع التأمّل في تلك الأوضاع، وانظر هل كان من الممكن أن يقوم بشيء من ذلك أكبر رجل باسل؟!

وهَـبْ أنّ الممكن أن يفادي رجـلٌ بنفسه للحقّ وإبداء الحقيقة، ولكن هل يُمهلونه إلى أن يستوفي الغرض ويبلغ الغاية؟!

أَوَليـس عبد الله بن عفيـف الأزديّ، ذلك البصير الذي ذهبت عيناه، واحدة يوم الجمـل والأُخـرى بصفّين: نعم، ذهبت عيناه، ولكن فتح الله له في قلبه عشر عيون،

---

(١) أقول: لقد وصل ببعضهم الكره والبغض ونصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام إلى درجة النطق بمثل هذه التفاهات والترّهات، بـل قالـوا كلمة الكفر، ومن أمثـال هؤلاء النواصب: أبو بكر بـن العربيّ محمّد بن عبد الله، المتوفّـى سنة ٥٤٣ هـ، راجع تفاهاتـه فـي كتابه المسمّى «**العواصم مـن القواصم**» ص ٢١١- ٢١٦، وعبد الرحمن بن خلـدون، المتوفّى سنة ٨٠٨ هـ، راجع مخاريقه في «**مقدّمته**» ص ١٧٠- ١٧١. وقد تصدّى لإمثال هؤلاء النواصب، وردّ على ترّهاتهم وخرافاتهم المحققُ الكبير والعلاّمة السيّد عليّ الحسينيّ الميلانيّ في «**نفحات الأزهار**» ج ٤ ص ٢٣٦- ٢٤٢، فجزاه الله خير الجزاء.

(٢) الغائلة: الحِقد الباطن. انظر: لسان العرب ج ١٠ ص ١٦١، مادّة «**غيل**».

وسقط الجهاد عنه بيده، ولكن جاهد في لسانه بعشرة أسياف إلى أن أحرز الشهادة في هذا السبيل!

فإنّه لمّا سمع خطبة ابن زياد على منبر الكوفة بعد قتل الحسين عليه السلام وهو يقول: الحمد لله الذي نصر أمير المؤمنين يزيد وأشياعه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب، نهضت به الحميّة والحماية للحقّ، وفادى بنفسه في ذلك الحشد الرهيب، فقام وقطع عليه خطبته قائلاً له: «**إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت ومن استعملك يا عدوّ الله ، تقتلون أولاد النبيّين وتتكلّمون بهذا الكلام على منابر المسلمين**».

فغضب ابن زياد وقال: من هذا المتكلّم؟!

فقال: «أنا المتكلّم يا عدوّ الله!

أتقتل الذرّيّة الطاهرة الّذين أذهب الله عنهم الرجس، وتزعم أنّك على دين الإسلام؟!

وا غوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم [1] ؟!»، فازداد غضب ابن زياد حتّى انتفخت أوداجه، وقال: عَلَيَّ به! فقام الجلاوزة فأخذوه، وقامت الأشراف من الأزد عشيرته فخلّصوه، وانطلقوا به إلى منزله. ولكن هل خلص ونجا من ذلك الطاغية؟! وهل كان آخر أمره إلّا أن أُحضر بين يديه فضرب عنقه صبراً وصلب جثمانه في السبخة [2] في قصّة طويلة، وما ظفر ابن زياد به إلّا بعد حرب سجال وتحريش منه خبيث بين اليمانية والمضرية

---

(١) هنا إشارة إلى تفسير الآية الكريمة: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ سورة الإسراء الآية ٦٠، التي نزلت في بني أُميّة الّذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وقد نقلت ذلك كتب التفسير والحديث والتاريخ، انظر مثلاً: تفسير الثعلبيّ ج ٦ ص ١١١، تفسير ابن جزيّ الكلبيّ ج ٢ ص ١٧٤، تفسير القرطبيّ ج ١٠ ص ١٨٣- ١٨٤، تفسير الفخر الرازيّ ج ٢٠ ص ٢٣٩، زاد المسير ج ٥ ص ٤٠- ٤٢، البحر المحيط ج ٦ ص ٥٤- ٥٥، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٨، تفسير البيضاويّ ج ١ ص ٥٧٥، الكشّاف ج ٢ ص ٤٥٥، الدرّ المنثور ج ٥ ص ٣٠٩- ٣١٠، تفسير غرائب القرآن- للنيسابوريّ ج ٤ ص ٣٦١- ٣٦٢، فتح القدير ج ٣ ص ٢٣٨- ٢٤٠، فتح الباري ج ٨ ص ٥٠٨ ح ٤٧١٦، عمدة القاري ج ١٩ ص ٣٠، لباب النقول في أسباب النزول- بهامش تفسير الجلالين ص ٢٣٥، مجمع البيان ج ٦ ص ٢٥٠، شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٢٢٠، وج ١٢ ص ٨١، مسند أحمد ج ٢ ص ٥٢٢، مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٤٠- ٢٤١، تاريخ الطبريّ ج ٥ ص ٦٢١، حوادث سنة ٢٨٤ ه، الخلفاء الراشدون- للذهبيّ- ص ٢٠٩- ٢١٠، البداية والنهاية ج ٦ ص ١٧٦- ١٧٧، و١٨٢، تاريخ الخلفاء- للسيوطيّ- ص ١٦.

(٢) - السبخة: أرضٌ ذات ملح ونَزّ، وجمعها سِباخ. انظر: لسان العرب، ج ٦ ص ١٤٨، مادّة «سبخ».

على قاعدة التفرّق[١]. نعم، ما أنكر على ابن زياد إلّا عبد الله بن عفيف رضوان الله عليه، وإلّا ذلك الصحابيّ الضعيف بكلّ مواقع الضعف، ألا وهو زيد بن أرقم، فإنّه حين رأى رأس الحسين عليه السلام بين يدَي ابن زياد وهو يضربه بعوده، قال له: «**ارفع عودك عن هاتين الشفتين! فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبّلهما**».

ثمّ بكى زيد، فقال له ذلك الخبيث: أتبكي لما فتح الله للأمير؟! لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لأخذت الذي فيه عيناك! فخرج زيد وهو يقول: «**ملَكَ عبدٌ حرّاً، أنتم يا معشر العرب عبيد بعد اليوم، قتلتم ابن بنت رسول الله وأَمَّرْتُم ابن مرجانة**»[٢]. ولا أستحضر مُنْكِراً على ابن زياد غير هذين الرجلين، وكلماتهما وإنْ كانت ذات قيمة ثمينة في مثل تلك الأيّام العصيبة والمواقف الرهيبة، ولكن أيّ شيء لها من التأثير؟! وما ميلها في تلك التيّارات الجارفة والزوابع القاصفة؟! وهل هي إلّا كلمات قيلت وذهبت أدراج الرياح؟! وهل كانت تكفي لإيجاد بواعث الثورة، وتكوين الانقلاب على بني أُميّة وتحرير النفوس وغليان الأفكار وتأجيج النّار لطلب الثار؟! كلّا ثمّ كلّا، فإنّ الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك، يحتاج إلى المثابرة والتعقيب في الخطب الرنّانة والكلمات المهيّجة، وتشهير المثالب والمساوئ، ونقد السيّئات ونعيها على تلك الدولة الغاشمة والسلطة الظالمة والحكومة الجائرة. فإنّ بهذا ومثله تتكوّن في الأُمّة روح ثورة وانفجار يكتسح ظلم الظالمين، وتقتلع عروق الجور والاستبداد. قل لي برأيك، أيّها الناقد، أيّ رجالات ذلك العصر كان يقدر على القيام بتلك المهمّة، ويقوى على النهوض بذلك العبء؟! أليس قصارى أمره، مهما كان من البسالة والجرأة، أن يقول الكلمتين والثلاث، فيقال: خذوه فاقتلوه فاصلبوه في السبخة أو في الكناسة؟! أليس زين العابدين عليه السلام مع أنّه عليل أسير- والأسير لا يُقتل- قد أمر

(١) - انظر: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٣- ٤١٥، تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٣٧، مقتل الحسين، لابن أعثم الكوفيّ ص ١٥٢- ١٥٦، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ٥٨- ٦٢، الردّ على المتعصّب العنيد ص ٤٤، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٣٦.

(٢) - انظر: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٢- ٤١٣، تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٣٦، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ٥٨- ٦٢، الردّ على المتعصّب العنيد ص ٤٤، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٣٦، أُسد الغابة ج ٢ ص ٢١، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٢.

ابن زياد بقتله لجواب خفيف وقول طفيف، فإنّ ابن زياد بعد أن فرغ من تحدّي زينب وأخرجتــه بقوّة العارضة والبيان من الميدان مكعوماً[١] بالخزي والخذلان التفت إلى زين العابدين، فقال: من هذا؟! فقيل له: هو عليّ بن الحسين عليه السلام.

فقال: أليس قد قتل الله عليّاً؟!

فقال سلام الله عليه: «**كان لي أخ يقال له عليٌّ قتله الناس**».

فقال ابن زياد: بل الله قتله!

فقــال الإمام: «**الله يتوفّــى الأنفس حين موتهــا**»[٢]. فقال لــه: أَوَبِكَ جرأةٌ على ردّ جوابــي؟! يــا غلمان! خذوه فاضربوا عنقه! فتعلّقت بــه زينب، وقالت: يا بن زياد! حسبــك مــن دمائنا ما سفكت، فــإن عزمت على قتله فاقتلني معــه. فقال الطاغية: عجباً للرحم! فوالله لَوَدَّتْ أن تموتَ دونه، اتركوه لِما به[٣]. وما تركه رحمةً لها، ولكن قــد رأى أنّ العلّة والإسار والأغلال والجامعــة[٤] ستقضي عليه وتكفي ابن زياد مؤنة قتلــه. فإنّ سلامة زين العابديــن وبقاء حياته كان من خــوارق العادة، وعلى خلاف مجاري الأسباب، ولو قُتل أو مات في تلك البرهة لانقَطَعَ نسل الحسين، ولكنّ مشيئة الله سبحانــه وقضاءه السابق بأنّ الأئمّة من ذرّيّته لا يردّ ولا يُغلب، وكانت زينب هي السبب في حفظه على الظاهر. فليكن هذا وجهاً خامساً لحمل العيال، فلعلّ الحسين عرف أنّ العلّة والمرض لا يكفي في سلامة ولده، وأنّهم قد يقتلونه على مرضه، وأنّ لزينب موقفها الباهر في المفاداة والدفاع عنه.

وكلّ غرضنا من سحب أذيال هذا المقال، أن يتجسّم لديك كيف كان الحال في كمّ الأفواه، وعقل الألسن، وإرجاف القلوب، ومشق الحسام لضرب الهام على أقلّ الكلام.

---

(١) – الكعــام: شيء يجعل على فــم البعير، كعم يكعمُ كعماً، فهو مكعوم وكعيم: شدّ فاه، والجمع: كُعُم. انظر: لسان العرب ج ٢ ص ١١٠، مادّة «**كعم**».

(٢) – سورة الزمر الآية: ٤٢.

(٣) – انظــر: ترجمــة الإمام الحسيــن عليه السلام لابن سعد ص ٧٩، تاريخ الطبريّ ج ٣ صــ ٣٣٧، مقتل الحسين عليه السلام لابن أعثم الكوفيّ ص ١٥٠– ١٥١، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٣٥.

(٤) – الجامعة: الغُلُّ: لأنّها تجمع اليدين إلى العنق. انظر: لسان العرب ج ٢ ص ٣٥٩، مادّة «**جمع**».

إذاً فمَـن يَردّ تلـك الأمانة ويـؤدّي تلك الوديعـة، وديعة الحـقّ، وأمانة الصدق، والانتصار للحقيقة، وإزهاق الباطل؟!

نعـم، قُمْنَ بكلّ تلـك الوظائف على أوفى مـا يرام، وأتمّ ما يحصـل به الغرض، قامـت بـه ودائع النبوّة وحرائر الوحـي والرسالة، نهضن بتلك الأعبـاء الثقيلة التي تعجز عنها الأبطال وأُسود الرجال.

كأنّ الحسيـن عليه السلام علـم- ولا شـكّ أنّه علم- أنّـه سيُقتل هو وجميـع أهل بيته وأنصـاره، ولا يبقـى رجل يتسنّى له الكشف لجمهرة ذلـك الخلق التعس عن فظاعة تلك الجناية وشناعة تلك الجرائم السيّئة، ولو أهمل هذه الناحية المهمّة لذهب قتله سـدًى، ولفات الغرض والغايـة، فلم يجد بُدّاً من حمل تلـك المصونات معه لتكميل ذلك المشروع الذي ابتذل نفسه ونفوس أعزّته في سبيله. وعلم، سلام اللّه عليه، أنّ بني أُميّة، مهما بلغوا في خرق النواميس وهتك الحرمات والتجاوز على الشناشن[1] العربيّـة، والشرائـع الإسلاميّة، ولكنّهم لا يقدرون على قتـل النساء: لا يقدرون على قتـل امرأة مصابة مفجوعة تكلّمت بشيء مـن الكلام تبريداً وتسكيناً للوعتها. ويوم الطـفّ وإنْ قَتَلَ حزبُ بني أُميّة عدّةً من النسـاء الوديعات[2]، كما قتلوا الأطفال[3]،

(١) - الشِّنْشِنـة: الطبيعـة والخليقة والسَّجيّة، والشناشـن العربية: يعني السجايا والأخلاق والطبائـع العربيّة. انظر: لسان العرب ج ٧ ص ٢٢٠، مادّة «شنن».

(٢) - استُشهـدت مـع الإمام الحسين عليه السلام يوم الطفّ امرأةٌ واحدة، هـي: أُمّ وهب النمريّة القاسطيّة، ذكر ذلك الطبريّ فـي تاريخـه، بعد أن سرد قصّة التحاقها هي وزوجها عبـد اللّه بن عمير الكلبيّ بركب الإمام عليه السلام يوم الطفّ، وخروج زوجها للمبارزة والقتال بين يدي الإمام عليه السلام، وخروجها هي أيضاً للقتال شاحذةً همّة زوجها، مناصرةً لإمام زمانها، ولكنّ الإمام عليه السلام منعها وردّها إلى الخيام، قائلاً لها: ارجعي رحمك اللّه إلى النساء، فإنّه ليس على النساء قتال. قال: وخرجـت إلـى زوجها بعد أن استشهد حتّى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنّة: فقال شمر بن ذي الجوشـن لغـلام له يسمّى رستم: اضرب رأسها بالعمود! فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها. تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٢١- ٣٢٢ و ٣٢٦، وانظر: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٨، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٢٢، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٥، إلّا أنّ ابـن أعثـم الكوفيّ وابن شهرآشوب والخوارزميّ وابن طاووس رووا أنّها كانت مع ولدها وهب وزوجته، التي حاولت أن تثنيه عن الخروج والقتال مع الإمام أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام في بادئ الأمر، لكنّ أُمّه كانت تشدّ من أزره وتحثّـه علـى الاستشهاد بيـن يدي الإمام عليه السلام ليكون شفيعاً له عند ربّه يوم القيامـة، إلّا أنّ زوجته أخذت- بعد ذلك- عمـوداً فأقبلـت نحوه وهي تقول: فـداك أبي وأُمّي! قاتل دون الطيّبين حرم رسـول اللّه صلى الله عليه وآله، فأقبل ليردّها إلى النساء، فأخـذت بثوبـه وقالت: لن أعـود دون أن أموت معك، وظلّت تقاتل معه إلى أن ردّها الإمـام الحسين عليه السلام إلى الخيمة. انظـر: الفتـوح لابن أعثم الكوفيّ ج ٥ ص ١١٦- ١١٧، مناقـب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ١٠٩- ١١٠، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ١٥- ١٦، الملهوف على قتلى الطفوف ص ١١٦.

(٣) - واستُشهد مع الإمام أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام يوم الطفّ من الأطفال الّذين لم يبلغوا الحلم خمسة، وهم: عبد اللّه

ولكنّ الحربَ لها أحكام وشواذّ لا تجري في غيرها.

لا، وكلّا، لا يستطيع ابن زياد- مهما طغى وتجبّر- أن يقتل ساعة السلم امرأة عزلاء، أسيرة بين يديه، لا تحمل من السلاح إلّا قلبها ولسانها، قلبها درعها، ولسانها سيفها، لا يستطيع أن يقتل امرأة مهما تجرّأت عليه، بل ولا يستطيع أن يمدّ يده إليها فيضربها[1] إنّ زينب العقيلة لمّا سوّدت وجه ابن زياد ولطمته تلك اللطمة السوداء بقولها: «**ثكلتك أُمّك يا بن مرجانة!**»، اسودّت الدنيا في عينه، حيث عرف والحاضرون ما أرادت، فَهَمَّ أن يضربها، ولكنّ عمرو بن حريث، وهو من أكبر القوّاد في جند ابن سعد، وكان أميراً على الرجّالة بعد أن كان من خواصّ أمير المؤمنين في صفّين، أنكر عليه وجاءه بحجّة، وهي أنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد: أما تراها كيف تجرّأت عليَّ؟![2].

كان الحسين وأنصاره قد وقفوا يوم الطفّ موقفاً تجسّمت فيه روح الشجاعة والبسالة، وأصبح المثل الأعلى للعزم والإقدام والاستهانة بهذه الحياة في سبيل العزّ والإباء، ودون موارد الذلّ! وقفوا موقفاً ما حدّثنا التاريخ بمثله، ولا سمع الدهر بنظيره! وقف سبعون رجلاً في مقابل سبعين ألفاً، ومددهم إلى الكوفة، بل إلى الشام متواصل، وهؤلاء لا مدد لهم، هؤلاء على شاطئ النهر يكرعون منه، وينتهلون كلّ حين، وأُولئك قد حُبسوا عن الماء يومين أو ثلاثة، والعطش وحرّ الهجير ورمال الصحراء أحرق أجسادهم، وفتّت أكبادهم، وأطفالهم يتصارخون من العطش نصب

بن الحسين الرضيع، وعبد الله بن الحسن، ومحمّد بن أبي سعيد، والقاسم بن الحسن، وعمرو بن جنادة الأنصاريّ، وقد ذكر أصحاب السير والتواريخ كيفيّة استشهادهم. انظر: تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٣١- ٣٣٤، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٢٨- ٤٣٣، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ٢١- ٢٢، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٤.

(١) - أقول: إنّ ابن مرجانة وأمثاله لا يتوانون ولا يتورّعون عن الاعتداء على حُرَم رسول الله ﷺ، فهمّه بضرب عقيلة الطالبيّين زينب عليها السلام، التي اعتادت أن ترى مثل هذه الاعتداءات من هؤلاء القوم وأسيادهم، فمِن قبلُ رأت كيف عاملوا أُمّها الزهراء عليها السلام ولم يرعوا لها حرمة بمجرّد غياب رسول الله ﷺ، وكيف قادوا أباها عليّاً عليه السلام ليأخذوا منه البيعة قهراً، وكيف رموا نعش أخيها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بالنبل، لَدَليل على ذلك، إلّا أنّ الله تعالى قيّض وجود بعض الّذين تحرّكهم الشيم والسجايا والأعراف العربيّة، وليس الورع والتقوى والمودّة في القربى التي أمر بها الكتاب العزيز، ووصّى بها النبيّ الأكرم ﷺ، ممّا حال دون ذلك. فانظر وتأمّل!

(٢) - انظر: تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٣٧.

أعينهـم، وعلـى احتفاف أضعاف ذلك الرزايا والمحن بهـم. نعم، ومع كلّه ما هانوا ولا استكانـوا، ولا فشلوا ولا ذلّوا، بل كانوا يـزدادون بشراً وطلاقة، وعزماً وصلابة، وعـزّاً وشهامة. حقّاً إنّه لموقف باهر، ومقام قاهر، وحديث مدهش، ونفوس غريبة، بل وفوق الغرابة بمكان! ولكن ألا أدلّك على أدهى من موقف أنصار الحسين عليه السلام، وأدهشـ وأبهى وأبهر؟! هو موقف عقائل النبوّة في مجلس يزيد وابن زياد! أتستطيع أن تستحضـر في نفسـك، وتتمثّل فـي أُمّ رأسك مجلس ابن زياد فـي قصر الإمارة بالكوفـة وقد أَدْخَلوا عليـه السبايا والرؤوس، وفيهنّ الحرّة الحـوراء زينب الكبرى، وهو سكران بنشوة الفتح والظفر، ورؤساء الأرباع والأسباع[1]، ورؤوس القبائل مثول بيـن يديه، والدنيا مقبلة بكلّ وجهها عليه؟! دخلـت عليه تلك العقيلة وجلست ناحية متنكّرة، فأبت نفسه الخبيثة أن يصفح صفح الكرام، ويغضي إغضاء الأماجد، أبت نفسه إلّا إظهار الشماتة، ولؤم الملَكة، وخبث الظفر، وسوء الاستيلاء، وقبيح الأثرة، فسـأل- ولا شكّ أنّـه.....[2]، ويهتكها- وهـو المهتوك- وقال: مَن هـذه المتنكّرة؟! فقيل له: هي زينب بنت عليّ عليهما السلام.

فقـال لها قـول الشامت الشاتم: أرأيـت كيف صنع الله بأخيـك الحسين والعتاة المـردة مـن أهل بيتـه؟! فقالت- قـول الثابت الجَنـان، المتدرّع بدلاص[3] اليقين والإيمـان، المستحقر له ولكلّ ما له مـن قوّة وسلطان: «**ما رأيـت إلّا جميلاً، أُولئك قـوم كتـب الله عليهـم القتل فبرزوا إلـى مضاجعهم، وسيجمـع الله بينك وبينهم، فتحـاجّ وتخاصـم فانظر لمن الفَلْج؟!**[4] **ثكلتك أُمّك يا بن مرجانة!**»، فلمّا لطمته بهـذه اللطمة السـوداء لم يجد سبيـلاً للتشفّي منها والانتقـام إلّا بأسوأ الكلام من

---

(١) - الأربـاع: جمع الرَّبْـع، أي المنزل والمحلّة والدار. والأسباع: جمع السُّبُع- بالضـمّ-: وهي جزء من سبعة. انظر: لسان العـرب ج ٥ صـ ١١٥، مادّة «**ربع**»، تاج العروس ج ١١ ص ١٩٩، مادّة «**سبع**». ورؤساء الأربـاع والأسباع كناية عن رؤساء العشائر والأحياء والمجاميع التي كانت حاضرة مجلس ابن زياد حين دخول حرم رسول الله سبايا إلى قصره.

(٢) - كذا في الأصل، والظاهر أنّ هناك سقطاً في الفقرة.

(٣) - الدِّلاص من الدروع: الليّنـة، ودرعٌ دِلاص: برّاقة ملساء ليّنة بيّنة الدَّلَص، والجمع: دُلُصٌ. انظر: لسان العرب ج ٤ ص ٣٨٨، مادّة «**دلص**».

(٤) - الفَلْجُ: الظَّفَرُ والفوز، وقد فَلَجَ الرجلُ على خصمه يفلجُ فلجاً. انظر: لسان العرب ج ١٠ ص ٣١٤، مادّة «**فلج**».

السباب والشتيمة، فقال: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم، وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت- غير طائشة ولا مذعورة-: «**إنّما يُفتضح الفاسق ويُكذب الفاجر، وهو غيرنا**».

وقف الحسين وأنصاره ظهيرة عاشوراء وهم على خيولهم الجياد، وفي أيمانهم البيض الحداد[١]، وعلى متونهم السمر الصِّعاد[٢]، قد رفلوا بأبراد العزّ، وتكلّلوا بتيجان الشرف، لا يُقتل منهم واحد حتّى يَقتلوا ألفاً من عدوّهم[٣]، وهم ضاحكون مستبشرون، ثقة بما يصيرون إليه بَعدُ من منازل الفردوس الأعلى في دار النعيم.

كان هذا موقف الحسين وأنصاره يوم الطفّ.

ووقفت زينب بنت عليّ عليها السلام، والخفيرات من أهل بيتها في مجلس ابن زياد وهم في قيد الإسار، وذلّ الصغار، لا ترى أمام عينها إلّا عدوّاً شاتماً، أو كاشحاً[٤] شامتاً، أو قاتلاً لحُماتها وسُراتها، واليتامى والأيامى حولها، كلّ هذه الشؤون والشجون ممّا تذيب القلب، وتذهل اللبّ، وتطيش عندها الأحلام، وتخرس الألسنة، وتموت الفطنة، ولا يستطيع أجلد إنسان أن ينبس بكلمة في مثل تلك الكوارث.

أفهل تخشى- لو تصوّرت مزايا تلك الرزايا لزينب- أن تقول: إنّ موقفها عند ابن زياد كان أعظم من موقف أنصار الحسين يوم الطفّ عند جند ابن سعد؟! قل ولا تخف، وعلَيَّ الإثبات. هل أحسستَ في تلك الساعة الرهيبة من زينب أمام عدوّها القاسي الظالم الشامت الشاتم أن تلجلج لسانها؟! أو اضطرب جَنانها؟! أو ظهر عليها ذرّة من الذلّ والاستكانة؟! أو خضعت فانقطعت؟! أو عجزت عن

---

(١) - البيض الحِداد: السيوف الحداد القاطعة التي شُحذت ومُسحت بحجر أو مبرد. انظر: لسان العرب ج ١ ص ٥٥٥، مادّة «**بيض**»، و ج ٣ ص ٨٠ مادّة «**حدد**».

(٢) - الصعدَةُ: القناة، وقيل: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى التثقيف، والجمع: صِعاد، وقيل: هي نحوٌ من الأَلّةِ، والأَلّةُ أصغَرُ من الحربة. انظر: لسان العرب ج ٧ ص ٣٤٤، مادّة «**صعد**».

(٣) - جهة الالتئام دقيقة مع ما سبق في صحيفة ٣٤٩: وقف سبعون رجلاً في مقابل سبعين ألفاً، بالمبالغة هنا والحقيقة هناك. منه قدس سره.

(٤) - الكاشح: العدوّ المبغض الذي يضمر لك العداوة ويطوي عليها كشْحَهُ، أي باطنه. انظر: لسان العرب ج ١٢ ص ٩٩، مادّة «**كشح**».

ارتجـال الخطب البليغة التي لو جاء بها الـوادع الساكن والمطمئنّ الآمن بعد ليال وأيّام لكانت آية من آيات الإبداع، ورمزاً من رموز البراعة؟! فكيف وقد اندفعت بها في حشد الرجال على سبيل الارتجال، وهي على ما عرفتَ من الوضع: عنه يقال في الشـدّة: «**بين ذِرَاعَيْ وجبهة الأسد**»[١]، تتقاذفها لهوات الكُرب، وتلوكها وتمضغها أنياب النوب، حتّى إنّ ابن زياد أعجَمَ عُودَها[٢]، فرآهُ صلباً مرّاً، لا يلين لغامز، ولا يلـذّ لماضِغ، وأنّها لا تنقطع ولا تكلّ، ولا تعرف للرهبة وللخوف معنىً، وخشي أن لا تُبقـي من هتكه وفضيحته باقية، وأن تقلـب عليه الرأي العامّ، وتُحْدِث في جماعته فتقـاً لا يُرتق، غيَّرَ من خطّته، وتنازل عن غُلوائه[٣] وشدّته، فكان آخر كلامه معها بعـد أن شفت غليلها منه: لعمري إنّها لسجّاعة، ولقد كان أبوها أسجع منها؟![٤] لا يا بـن مرجانة! ما هي بسجّاعة، هي أُمثولة الصبر والثبات، ورمز غلبة الحقّ على الباطل، واحتقار الحكم الزائف والملك الزائل، وسلطنة الخداع والمكر.

لا يـا بن مرجانة! هـذه زينب بنت عليّ الـذي عَلَّمَ الناس الفصاحـة، والبراعة، والشجاعة، والسجاعة.

هذه زينب بنت الزهراء البتـول، لا كمرجانة وسميّة ذَوَاتَيْ الأعلام في الجاهليّة والإسلام[٥].

---

(١) – عجز بيت للفرزدق، وتمامه:

يـا مَـن رأى عـارضـاً أسـرَّ به بـين ذراعـي وجـبـهـة الأسـدِ

انظـر: شـرح ديوان الفرزدق ص ٢١٥، كتاب سيبويه ج ١ صـ ١٨٠، إملاء ما مَنَّ به الرحمن ص ٤٨٠، تفسير سورة الروم، خزانـة الأدب ج ٢ صـ ٢٨١– ٢٨٢، وأورده صاحب مغني اللبيب ص ٤٩٨، رقم ٧٠٧، وفي ص ٨٠٩ رقم ١٠٤٧، دون أن ينسبه لأحد.

(٢) – العَجْـمُ: عَضٌّ شديـدٌ بالأضراس دون الثنايا، وعجـم الشيء يعجمه عجمـاً وعجوماً: عضّه ليعلم صلابتـه مِن خَورِه ورَخاوَته. انظر: مادّة «**عجم**» في: لسان العرب ج ٩ ص ٧٠، تاج العروس ج ١٧ ص ٤٦٣. وأعجمَ عودَها: يعني اختبر قوّتها وصلابتها سلام الله عليها.

(٣) – الغُلْواء: سرعةُ الشباب وشِرّته، وغُلَواءُ كلّ شيء أوّلُه وشِرَّته. انظر: لسان العرب ج ١٠ ص ١١٤، مادّة «**غلا**».

(٤) – انظـر: تاريـخ الطبـريّ ج ٣ ص ٣٣٧، مقتل الحسين لابن أعثم الكوفيّ ص ١٥٠، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٣٥، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ٤٧– ٤٨.

(٥) – سميّة: هي جارية للحرث بن كلدة، الطبيب الثقفيّ، كانت من البغايا ذوات الرايات بالطائف، وتسكن حارة البغايا خارجاً عـن الحصـر، وتؤدّي الضريبة للحرث، وكان قد زوّجها من غلام رومي له اسمه: عبيد، وفي أحد أسفار أبي سفيان للطائف طلب من أبي مريم الخمّار بغيّاً، فقدّم له سميّة فعلقت بزياد ووضعته على فراش عبيد سنة إحدى من الهجرة، وكان يُنسب

هـذه زينب بنـت الطاهرة العـذراء، لا كهنـد الخرقـاء[١]، صاحبـة القارعة[٢] والفاكّة[٣]، التي يقول فيها حسّان شاعر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

لِمَنِ الْصَّبِيُّ بِجَانِبِ الْبَطْحَاءِ ....

البيتين[٤].

ومـا كانـت تلك الشجاعـة منها، سلام الله عليهـا، في مـرّة أو مرّتين، بل كانت كلّما ضاق الأمر، واشتدّت المحنة، وتجمهر المتفرّجون عليهم عند دخولهم الكوفة، وعنـد خروجهم منها، وفي قصر الإمارة، وفي مجلس ابن زياد: في كلّ ذلك تتحدّى فتُدْهش، وتحتجّ فتُفْلج، وتخطب فتُعْجب، تخطب خطبة البليغِ المُدِرِّ[٥]، والمِصْقَعِ[٦] المُفَوَّهِ[٧] الذي تهيّأت له كلّ أسباب الدَّعَة[٨] والراحة والفراغ والطمأنينة.

دخـل السبي إلـى الكوفة بحال يذوب الصفا منها ويشجـي المحصبُ[٩]، فجعل

إليـه، ألحقـه معاوية بأبيه أبي سفيان فقيل لـه: زيادِ بن أبي سفيان. ومرجانة: هي زوجة زياد بن أبي سفيان، وأُمّ عبيد الله بن زياد. انظر: الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٣، رقم ٨٢٥، أُسد الغابة ج ٢ ص ١١٩، رقم ١٨٠٠، مروج الذهب ج ٣ ص ٦.

(١) - الخُـرق: الجهـل والحُمق، خَرُقَ خُرقاً، فهو أخرق، والأُنثى خرقاء، وامرأة خرقاء: أي غير صَنَاع ولا لها رِفق، فإذا بنت بيتاً انهدم سريعاً. انظر: لسان العرب ج ٤ ص ٧٤، مادّة «**خرق**».

(٢) - قارعة الدارِ: ساحَتها، وقارعة الطريق: أعلاه، وقيل: وسطه، وقيل: هو نفس الطريق.

وصاحبة القارعة: كناية عن المرأة التي تكثر الجلوس على قارعة الطريق ولا يسلم من لسانها المارّة، ولا تبالي بما يقال فيها. انظر: لسان العرب ج ١ ص ١٢٣، مادّة «**قرع**».

(٣) - الفـاكُّ: الهَـرِمُ مـن الإبل والناس، فَكَّ يَفُكُّ فكّاً وفكوكاً، وشيخ فاكٌّ إذا انفـرج لحياه من الهَرم. انظر: لسان العرب ج ١٠- ص ٣٠٧- ٣٠٨، مادّة «**فكك**».

(٤) - قال حسّان بن ثابت لهند ابنة عتبة بن ربيعة:

لِـمَـنْ الـصَّـبِـيُّ بِـجـانِـبِ الـبَـطْـحـاءِ ... مـلـقـىً عـلـيـه غَـيـرَ ذي مَـهْـدِ
نَـجَـلَـتْ بِـهِ بـيـضـاءُ آنِـسَـةٌ ... مِـن عَـبْـدِ شَـمْـسٍ صَـلْـتَـةُ الـخَـدِّ

انظر: ديوان حسّان بن ثابت ج ١ ص ٣٩٦.

(٥) - المُـدِرُّ: المكثِـر السَّيّال، ودَرَّت السماء بالمطر دَرّاً، إذا كثر مطرها، وسماء مِدرارٌ أي: تدرّ المطر. وهي هنا كناية عن غـزارة علـم عقيلة بني هاشم السيّدة زينـب سلام الله عليها وبلاغتها. انظر: لسان العـرب ج ٤- ص ٣٢٤- ٣٢٦، مادّة «**درر**».

(٦) - المِصْقَعُ: البليغ الماهر في خُطبته، والجمع: مصاقِع. انظر: تاج العروس ج ١١ ص ٢٧٥، مادّة «**صقع**».

(٧) - المُفَوَّهُ: الرجل الذي يجيد القول. انظر: لسان العرب ج ١٠ ص ٣٥٦، مادّة «**فوه**».

(٨) - الدَّعَةُ: السكينة والوقار والتَّرَفُّه. انظر: لسان العرب ج١٥ ص ٢٥٠- ٢٥١، مادّة «**ودع**».

(٩) - عجز بيت للشيخ هاشم الكعبيّ، من قصيدة طويلة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام في ٩٩ بيتاً، مطلعها:

مُـنـى الـقـلـب أن تـدنـو مـنّـي بعولة ... ولـلـركـب قـصـدٌ دون ذاك ومـطـلـبُ

أهـل الكوفـة ينوحون ويبكـون، فقال عليّ بـن الحسين، عليه السلام، وقـد أنهكته العلّة: «**تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم، فالحَكَمُ بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء**»[١]. ثـمّ تعاظمت الفجيعـة فصار الرجال والنسـاء يبكون معاً، فقـال عليه السلام: «**أتبكون وتنوحـون لنـا؟! فمن قتلنا؟**»[٢]. قال بشر بن خزيم الأسديّ[٣]: ونظرت إلى زينب بنـت عليّ، عليها السلام، يومئذ فلم أرَ خفرة قطّ أنطـق منها كأنّما تنطق عن لسان أمير المؤمنيـن عليه السلام، وقـد أومأت إلى النـاس أن اسكتوا، فارتـدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس[٤]، ثمّ قالت: «**الحمـد لله، والصلاة على أبي محمّد وآلـه. أمّا بعد.. يا أهـل الكوفـة! يـا أهل الختـل[٥] والغـدر! أتبكون؟! فـلا رقأت الدمعـة، ولا هدأت الرنّـة، إنّمـا مَثَلُكُـم كمَثَـلِ التي نقضـت غزلها من بعد قـوّة أنكاثـاً**»[٦]. واندفعت كالسيـل المنحـدر، إلـى أن قالـت: «**أتبكـون وتنتحبـون؟! إي والله فابكـوا كثيراً**

إلى أن يقول:

ورحـــن كـمـا شـــاء الـــعـــدوّ بـعـولـة ... يـذوب الصفـا منهـا ويشجـي المحصبُ

ويقول في آخر القصيدة:

ولـي منـك مـوعـودٌ أرجـــى نـجـاحـه ... ومـوعـدك الـحـقّ الـذي ليـس يـكـذبُ

والناظـم هـو: الشيخ هاشم بن حردان الكعبيّ الدورقيّ، وُلد ونشأ في الدورق مسكن عشائر كعب في الأهواز، ثمّ سكن كربلاء والنجـف، وهـو من فحول الشعراء وفـي طليعتهم، نظم في رثاء أهل البيت عليهم السلام فأكثر وأبـدع وأجاد، له ديوان أكثره في الأئمّة عليهم السلام ويضمّ بين دفّتيه عشرين قصيدة حسينيّة أو أكثر، توفّي سنة ١٢٣١هـ. انظر: الديوان ج ١ ص ٦، أدب الطفّ ج ٦ ص ٢١٨.

(١) – الكلام لأُمّ كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كما في: ينابيع المودّة ج ٣ ص ٨٦، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٥.

(٢) – انظر: مقتل الحسين لابن أعثم الكوفيّ ص ١٤٧، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢– ص ٤٥، الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٩٢.

(٣) – كـذا فـي الأصل، وقـد اختلف أصحـاب السير والتواريخ فـي ضبط اسمه، ففـي بلاغات النساء صـ ٧٤– ٧٧: حذام الأسـديّ، ومـرّة أُخرى حذيم، وفـي الأمالي للشيخ المفيد صـ ٣١٢: حذلم بن ستير، وفي نسخة بـدل: حذلم بن بشير، وفي الاحتجاج ج ٢ ص ٢٩– و٣١: حذيم بن شريك الأسديّ، وفي مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ٤٥: بشير بن حذيم الأسديّ، وفي الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٩٢– ١٩٤: بشير بن خزيم الأسديّ، وفي الرجال للشيخ الطوسيّ ص ٨٨: باب الحاء: حذيم بن شريك، وقد عدّه من أصحاب الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام.

(٤) – الجَرْسُ والجِرْسُ والجَرَسُ: الصوت الخفي، والحركة والصوت من كلّ ذي صوت، والجَرَسُ: الذي يُضرَب به، والجمع: أجراس. انظر: لسان العرب ج ٢ ص ٢٤٨، مادّة «**جرس**».

(٥) – الختـل: تخـادع عن غفلة، خَتَله يختُله ويختِله ختلا وختلاناً، وخاتلهُ: خدعه عـن غفلة، والختل: الخديعة. انظر: لسان العرب ج ٤ ص ٢٤، مادّة «**ختل**».

(٦) – سورة النحل الآية ٩٢.

واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها[١]. ويلكم! أتدرون أيَّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيَّ كريمة له أبرزتم؟! وأيَّ دم له سفكتم؟! أفعجبتم أن قطرت السماء دماءً ولعذاب الآخرة أخزى[٢] وأنتم لا تُنصرون، فلا يستخفنّكم الجهل، فإنّه لا يحفزه البِدار[٣]، ولا يخاف فوت الثار، وإنّ ربّكم لبالمرصاد». قال: فواللّه لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً يبكي حتّى اخضلّت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يذلّ ولا يُخزى[٤]. ثمّ خطبت أُمّ كلثوم بخطبة بليغة[٥]. ثمّ خطبت فاطمة الصغرى بخطبتها التي تقول في أوّلها: «**الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى..**»[٦] إلى آخر ما قالت.

هذا كلّه وهم سائرون يُساقون في السبي على الهوادج والمحامل، وفي الكوفة، وعند ابن زياد.

ولكن هلمّ معي ندخل مع هذا السبي إلى الشام، وننظر كيف دخوله على يزيد ووقوفهم بين يديه، ولنستبق إلى مجلس يزيد نتبوّأ لنا موقفاً منه قبل ازدحام المتفرّجين وتزاحم النظّارة.. ووقفنا في حاشية النادي الأُموي نتطلّع..

---

(١) - الشِّنار: أقبح العيب والعار. انظر: لسان العرب ج ٧ ص ٢١١، مادّة «شنر».

(٢) - سورة فصّلت الآية: ١٦.

(٣) - بادَرَ الشيء مبادَرَةً وبِداراً وابتَدَرَهُ وبَدَرَ غيره إليه يَبْدُرُه: عاجَلَهُ، ولا يحفزه البِدار، أي لا تدفعه المعاجلة، والضمير عائد إلى اللّه سبحانه وتعالى. انظر: لسان العرب ج ١ ص ٣٤٠، مادّة «بدر».

(٤) - انظر: الأمالي للشيخ المفيد ص ٣٢١- ٣٢٤، الأمالي للطوسيّ ص ٩١، المجلس الثالث رقم ١٤٢، الاحتجاج ج ٢ ص ١٠٩- ١١٤، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ٤٥- ٤٧، الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٩٢- ١٩٤.

وقد أورد ابن طيفور الخطبة كاملة، إلّا أنّه نسبها إلى أُمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «...**عن حذام الأسديّ وقال مرّة أُخرى: حذيم، قال: قَدِمْت الكوفة إلى أن قال...: ورأيت أُمّ كلثوم- رضي الله عنها- ولم أرَ خفرة... إلى أن قال: ..ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفي، وقد اخضلّت لحيته من دموع عينه، وهو يقول:**

كهولكم خيرُ الكهول ونَسْلُكُمُ إذا عُدَّ نسلٌ لا يبورُ ولا يُخزى

انظر: بلاغات النساء ص ٧٤- ٧٧.

(٥) - انظر: بلاغات النساء ص ٧٤، الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٩٨.

(٦) - الاحتجاج ج ٢ ص ١٠٤- ١٠٨، رقم ١٦٩، الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٩٤- ١٩٧.

هـذا يزيد جالس على السرير فوق المصطبة العالية، وهو مخمور يرنّح[١] أعطافه[٢] من خمرتين خمرة العُقار[٣]، وخمرة الانتصار، ومنتشٍ بنشوتين: نشوة الملك، ونشوة الفتح والظفر[٤]، ودونه طواغيت بني أُميّة من الأعياص والعنابسة[٥] من بني عبد شمس، وهم على كراسي الذهب والعاج، يرفُلون[٦] بحلل الديباج.. وهذه أقداح الشراب والخمور، ونخب الفرح والسرور تدار عليه وعليهم، والأعواد والمزامير تضرب لديهم.. فبينما (هم) ومثله، إذ أدخلوا سبي آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم مربَّقين[٧] بالحبال، بين نساء وأطفال.. هناك استفزّته نشوة الأُنس والطرب، وتمنّى حضور أشياخه قتلى بدر، من عتبة وشيبة والوليد[٨]، ليشاهدوا أخذه

---

(١) - التَّرَنُّحُ: تَمَزُّز الشراب، ورَنَّحَ الرجلُ وغيره وتَرَنّحَ: تمايل من السُكر وغيره. انظر: لسان العرب ج ٥ ص ٣٣١، مادّة «**رنح**».

(٢) - العِطفُ: المَنكِبُ، منكِب الرجل عطفه، وإبطه عِطفُهُ، والعُطوف: الآباط، وعِطفا الرجل والدابّة: جانباه عن يمين وشمال، وشِقّاه من لَدُن رأسه إلى وركه، والجمع أعطاف وعِطاف وعُطوف: وعِطفا كلّ شيء: جانباه. انظر: لسان العرب ج ٩ ص ٢٦٩، مادّة «**عطف**».

(٣) - العُقار: الخمر، سُمّيت بذلك لأنّها عاقرت العقل، يقال: عاقره إذا لازمه وداوَمَ عليه، والمعاقرة: إدمان شرب الخمر. انظر: لسان العرب ج ٩ ص ٣١٧، مادّة «**عقر**».

(٤) - أقول: نقل لنا أصحاب السير والتواريخ أنّ الله عزّ وجلّ نغّص نشوة يزيد بقتله أبي عبد الله الحسين عليه السلام في لحظات، ولم يدعه يهنأ بهذه النشوة، ذلك حين جبهه يحيى بن الحكم أخو مروان، قائلاً:

لـهـام بِـجَـنـبِ الـطَّـفِّ أدنـى قـرابـةً ... مِـن ابـنِ زيـاد الـعـبـدِ ذي الـحـسـب الـوغـلِ

سُـمـيّـة أضـحـى نـسـلُـهـا عَـدَد الـحـصـى ... وبـنـتُ رسـولِ الله أضـحـتْ بـلا نـسـلِ

وكذلك عندما اعترض عليه أبو برزة الأسلميّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قائلاً: «**ويحك يا يزيد! أتنكث بقضيبك ثغر الحسين ابن فاطمة؟! أشهد لقد رأيت النبيّ يرشف ثنياه وثنايا أخيه الحسن، ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، فقتل الله قاتلَكُما ولعنه، وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيراً**». انظر: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٢، تاريخ الطبريّ ج ٣ ص ٣٣٨- ٣٤١، البدء والتاريخ ج ٢ ص ٢٤٢.

(٥) - كان لأُميّة بن عبد شمس من الوَلَد أحدَ عشرَ ذكراً، كلُّ واحد منهم يُكنّى باسم صاحبه، فمنهم: الأعياص، وهم: العاص وأبو العاص، والعيص وأبو العيص، والعويص لا كَنِيَّ له. والعنابس، وهم: حرب وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو، وإنّما سُمّوا العنابس لأنّهم ثبتوا مع أخيهم حَرب بن أُميّة بعكاظ، وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشُبِّهوا بالأسد، والأسود يقال لها العنابس، واحدها عنبسة. انظر: الأغاني ج ١ ص ١٧- ١٨، لسان العرب ج ٩ ص ٤١٥، مادّة «**عنبس**».

(٦) - الرَّفْلُ: جَرُّ الذيل ورَكْضُه بالرِّجْل، ورَفَلَ الرَّجُلُ في ثيابه يَرفُلُ إذا أطالها وجرّها متبختراً. انظر: لسان العرب ج ٥ ص ٢٧٥- ٢٧٦، مادّة «**رفل**».

(٧) - الربقة: الحبل، أو عروة في الحبل تُجعل في عنق الحيوان، والربق بالفتح: مصدر قولك: رَبَقْتُ الشاة والجدي أرْبُقُها وأربِقُها ربقاً، وربَّقتها: شدّها في الربقة. انظر: لسان العرب ج ٥ ص ١٢٣، مادّة «**ربق**».

(٨) - لقد برز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد يوم بدر إلى القتال، فبرز لهم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحمزة عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وعبيدة بن الحارث، فقتل أميرُ المؤمنين الوليدَ بن عتبة، وقتل حمزةُ شيبةَ بن ربيعة، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ الإمام عليّ عليه السلام على عتبة فقتله. وعتبة بن

بثأرهم، وقيامه بأوتارهم، وأنّه زاد على أخذ الثار بقتل الرجال وسبي العيال، قائلاً:

لَيْتَ أَشْيَاخِيَ بِبَدْرٍ شَهِدُوْا . . . . . .

هنالك قامت العقيلة زينب فقالت، واسمع ما قالت، وانظر كيف خطبت، وهل راعها أو هالها شيء من تلك المظاهر الهائلة، وتأمّل في فقرات خطبتها التي قصمت بها الفَقار[١] من ظهر يزيد، وكانت أشدّ عليه من ضرب الحسام في يد الضرغام، وانظر كيف صيّرته- وهو بتلك الأُبّهة- أحقر من قُلامة[٢]، وأقذر من قُمامة، قامت صلوات الله عليها فقالت: «صَدَقَ اللهُ كَذلِكَ حينَ يَقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾»[٣].

أَظَنَنْتَ يا يَزيد حَيْث أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقطارَ الأَرْضِ وَآفاقَ السَماءِ، فَأَصْبَحْنا نُساقُ بَيْنَ يَدَيْكَ كَما تُساقُ الأُسارى، أنّ بِنا عَلى اللهِ هَواناً وَبِكَ عَلَيهِ كَرامَة، وَأنّ ذلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَه؟! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ في عِطْفِكَ، جَذلان مَسْروراً، حَيْث رَأَيْتَ الدُنْيا لَكَ مُستَوْسِقة[٤]، وَالأُمور مُتّسقَة، وَحِينَ صَفا لَكَ مُلْكُنا وَسلطانُنا.

فَمَهْلاً مَهْلاً! أَنَسيتَ قَولَ اللهِ عَزّ وَجَلّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟![٥].

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرُك حرائرَك وإماءك، وسَوْقُكَ بنات رسول الله سبايا؟! قد هُتكت ستورهنّ، وأُبديت وكيف يُرتجى مراقبة مَن لفظ فوه أكبادَ الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟!

ربيعة، هو والد هند زوجة أبي سفيان، أُمّ معاوية وجدّة يزيد، لذا هو يستذكر هنا أجداده من مشركي قريش الّذين هلكوا في معركة بدر الكبرى على يد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ويعدّ انتصاره على الإمام الحسين عليه السلام هو أخذاً بثارات بدر. انظر: تاريخ الطبريّ ج ٢ ص ٣٢.

(١) - الفِقرة والفَقَرَة والفَقار- بالفتح-: واحدة فَقار الظهر، وهو ما تنضّد من عظام الصلب من لَدُن الكاهل إلى العَجْب، والجمع: فِقَر وفَقار، وقيل: فِقْرات وفِقَرات. انظر: لسان العرب ج ١٠ ص ٣٠٠، مادّة «فقر».

(٢) - القُلامة: اسم ما قطع من طرف الظفر. انظر: لسان العرب ج ١١ ص ٢٩١، مادّة «قلم».

(٣) - سورة الروم الآية: ١٠.

(٤) - وسقَ: وسقه يَسِقُه وسقاً ووسوقاً، أي: ضَمَّهُ وجمعه وحمله، واستوسقت الإبل، أي: اجتمعت، استوسقَ لك الأمر: أمكنَك، ومستوسقة: مجتمعة. انظر: تاج العروس ج ١٣ ص ٤٨١، مادّة «وسق».

(٥) - سورة آل عمران الآية ١٧٨.

ثمّ تقول غير مستعظم ولا متأثّم:

لَأَهَلُّوْا وَاسْتَهَلُّوْا فَرَحاً . . . . . .

تهتف بأشياخك، زعمت أنّك تناديهم، فلَتَرِدَنَّ وشيكاً مَورِدَهُمْ، وتودّنّ أنّك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت، حسبك بالله حاكماً، وبمحمّد ﷺ خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بئسَ للظالمين بدلاً[٦] وأيُّكُم شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً[٧].

أقول: ألا بحرمة الإنصاف والحقيقة قل لي: أتستطيع ريشة أعظم مصوّر وأبدع ممثّل أن يمثّل لك حال يزيد وشموخه بأنفه، وزهوّه بعطْفه، وسروره وجذله باتّساق الأُمور وانتظام الملك، ولذّة الفتح والظفر، والتشفّي والانتقام، بأحسن من ذلك التصوير والتمثيل؟! وهل في القدرة والإمكان لأحد أن يدمغ خصمه بتلك الكلمات، وهي على الحال الذي عرفت؟! ثمّ لم تقنع منه بذلك حتّى أرادت أن تمثّل له وللحاضرين عنده ذلّة الباطل وعزّة الحقّ، وعدم الاكتراث والمبالاة بالقوّة والسلطة، والهيبة والرهبة.

أرادت أن تُعَرِّفَهُ خِسَّةَ قدره، وضعة مقداره، وشناعة فعله، ولؤم فرعه وأصله، وتعاليها عن حواره، وترفّعها عن مخاطبته، فقالت وتعاظمت بحقّ واستطالت:

«ولئن جرّت عليَّ الدواهي مخاطبتك أنّي أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، وأستكبر توبيخك، لكنّ العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء».

ثمّ أرادت أن تجسّم له عياناً مقام العزّة، وموضع الصبر والجلد والثبات والسكينة..أرادت أن تعرِّفَهُ والناسَ جميل النظر في العاقبة، وأنّ الأُمور بعواقبها،

(٦) - سورة الكهف الآية: ٥٠.
(٧) - سورة مريم الآية: ٧٥.

والأعمال بخواتمها، وأنّ شرف الغاية- كما يقال- يبرِّر الواسطة[١].

أرادت أن تعرّفه شرف آبائها وأبنائها، وأنّ القتل والشهادة ما زادهم إلّا فخاراً، وما جلب لعدوّهم إلّا عاراً وناراً، فقالت وما أبلغ ما قالت: «**فكِد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذِكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا تَرْحُصُ عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين؟!**

فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[٢].

هذا قليل من كثيرِ تلك الخطبة، التي هي آية في البلاغة والفصاحة، ومعجزة من معجزات البيان!

وهل يختلجك الشكّ والريب بأنّ كلّ فقرة منها كانت على يزيد أشدّ من ألف ضربة؟!

وهل تشكّ أنّ هذه الخطبة وأمثالها كانت هي الضربة القاضية على مُلك يزيد ومعاوية؟!

وهل أبقت لهم من باقية؟!

وهل يبقى لك شكٌّ بعدُ أنّ مواقف زينب وأُمّ كلثوم وفاطمة الصغرى ورباب وسكينة، في الكوفة والشام، بل في كلّ موقف ومقام، كانت لا تقصر- إنْ لم تتفوّق- على موقف حُماتهنّ وسُراتهنّ يوم الطفّ؟!

---

(١) - أقول: نعم، إنّ شرف الغاية يبرِّر الواسطة، ولكن لا يكون ذلك إلّا لمَن عصمه الباري عزّ وجلّ عن كلّ خطأ وزلل، فتقييم المعصوم لشرف الغاية ونوع الوسيلة يكون تقييماً إلهيّاً لا يستند إلى الهوى والرغبات الشخصيّة، فكلّ الوسائل التي يتّبعها للوصول إلى الغاية لا تخرج عن كونها وسائل شرعيّة. ولعِلم المصنّف قدّس سرّه بأنّ مقولة: «**شرف الغاية يبرِّر الواسطة**» على إطلاقها غير صحيحة، لتعذُّر تشخيص الغاية الشريفة من غيرها ممّن هم دون مرتبة العصمة، الّذين تتعدّد اجتهاداتهم وآراؤهم تبعاً لأهوائهم وتصوّراتهم في تقييم الغايات وتشخيص الوسائل الصحيحة للوصول إليها، لذا اعترضها بقوله: «**كما يقال**» فلاحظ!

(٢) - انظر: بلاغات النساء ص ٧٠- ٧٣، مقتل الحسين للخوارزميّ ج ٢ ص ٧٤، الاحتجاج ج ٢ ص ١٢٢- ١٣٠، رقم ١٧٣، الملهوف على قتلى الطفوف ص ٢١٥- ٢١٨، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٤.

وهل تشكّ وترتاب في أنّ الحسين، سلام الله عليه، لو قُتل هو وولْدُهُ، ولم يتعقّبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحدّيات لذهب قتله جُباراً[١]، ولم يطلب بـه أحـد ثـاراً، ولضاع دمه هـدراً، ولم يكن قتلـه إلّا قتل عبد الله بـن الزبير وأخيه مصعب وأمثالهما ممّن خَمَدَ ذِكرهم وضاع وترهم؟!

نعـم، لا يرتـاب لبيب عارف بأسباب الثـورات، وتكوين انقلابـات الأُمم، وتهييج الرأي العامّ، أنّ أقوى سبب لذلك هو الخطابة والسحر البيانيّ الذي يؤثّر في العقول وينير العواطف!

وإذا استحضـرت واقعة الطفّ المفجعة وتوالبها[٢]، تعلم حقّاً أنّه ما قلب الفكرة علـى بني سفيـان، وانقرضت دولـة يزيد بأسرع زمـان، إلّا من جـرّاء تلك الخطب والمقـالات التـي لم يقدر أيّ رجل فـي تلك الأوقات الحرجة والأوضـاع الشاذّة على القيـام بأدنى شـيء منها، فقد تسلسلـت الثورات والفتن على يزيـد من بعد فاجعة الطفّ إلى أن هلك.

بل مـا نهضت جمعيّـة التوّابين، وتلاهم قيـام المختار لأخذ الثـار[٣]، وتعقّبتها واقعـة الحرّة[٤]، التي هلك بعدها يزيد بأيّـام قليلة، ما كان كلّ ذلك إلّا من أثر تلك

(١) - الجُبار: الهَدَرُ، ذهب دمه جُباراً، أي هدراً. انظر: لسان العرب ج ٢ ص ١٦٨، مادّة «جبر».

(٢) - التولـب: ولَـد الأتان من الوحش إذا استكمل الحول. وهنا كنايـة عمّا أولدته واقعة الطفّ من الحـروب والثورات التي اندلعت على بني أُميّة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. انظر: لسان العرب ج ٢ ص ٤١، مادّة «تلب».

(٣) - راجـع رسالـة «**أصـدق الأخبـار في قصّـة الأخذ بالثـار**» للسيّد محسن الأميـن العامليّ، تحقيق فارس حسّون كريم، المنشورة على صفحات مجلّة «**تراثنا**»، العدد المزدوج ٦٦- ٦٧، السنة السابعة عشرة- ربيع الآخر- رمضان ١٤٢٢ هـ.

(٤) - هذه الواقعة هي عارٌ في جبين يزيد بن معاوية، وجريمة أُخرى تضاف إلى جريمته الكبرى التي ارتكبها بقتله الإمام الحسيـن عليه السلام. فـي هذه الواقعة من المآسي والويلات تكاد السمـاوات يتفطّرن من هولها، فقد استباح مسلم بن عقبة وجنـوده وبأمر من يزيـد مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثة أيّام، واعتـدوا على العذارى من بنات المهاجريـن والأنصار، وقتلوا الآلاف مـن الشيوخ والنساء والأطفال اللائذين بقبر سيّـد المرسلين صلى الله عليه وآله، حتّى إنّه لم يبق بعدها بدريّ، وأمر بعد ذلك بالبيعـة ليزيـد وعلى أنّهم خَـوَلٌ وعبيد له، إنْ شاء استـرقّ وإنْ شاء أعتق، فبايعوه على ذلـك، وفيهم جابر بن عبد الله الأنصاريّ وأبو سعيد الخدريّ وغيرهما من بقيّة الصحابة. ثمّ بعث مسلم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد، فلمّا أُلقيت بين يديه جعل يتمثّل بقول ابن الزِّبعْرى يوم أُحد:

لـيـت أشـيـاخـي بـبـدر شـهـدوا جـزع الـخـزرج مـن وقـع الأسـلْ

انظر: أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٣٥- ٣٣٧، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٣٤- ٢٣٩، البدء والتاريخ ج ٢ ص ٢٤٣- ٢٤٤، العقد الفريـد ج ٣ صـ ٣٧٢- ٣٧٤، تاريخ الطبـريّ ج ٥ ص ٦٢٣، البداية والنهاية ج ٨ صـ ١٧٧- ١٨٠، وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٦، الفخري لابن الطقطقيّ ص ١١٩، الإتحاف بحبّ الأشراف ص ٦٦.

المواقف المشهودة لزينب وأخواتها.

فكان الحسين عليه السلام يعلم أنّ هذا عمل لا بُدّ منه، وأنّه لا يقوم به إلّا تلك العقائل، فوجب عليه- حتماً- أن يحملهنّ معه، لا لأجل المظلوميّة بسبيهنّ فقط، كما شرحناه في الجواب الأوّل[١]، بل لنظر سياسيّ وفكر عميق، وهو تكميل الغرض وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضي على الإسلام وتعود الناس إلى جاهليّتها الأُولى!

فقد أصبح الدّين على عهد يزيد هو دين القرود والفهود، دين الخمور والفجور، والضرب بالعود والطنبور، وأوشك أن يذهب دين محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم، أدراج الرياح، وتكون نبوّته كنبوّة مسيلمة[٢] وسجاح[٣]، ونظرائهما[٤].

إذاً، فجزى الله تلك الحرائر بحسن صنيعهنّ عن الإسلام أحسن الجزاء، وكلّ مسلم مدين بالشكر لهنّ وللحسين، عليه السلام، إذا كان مسلماً حقّاً ويرى للإسلام حقّاً عليه.

---

(١) - انظر: الجواب الأوّل في الصفحة ٣٢٤ وما بعدها.

(٢) - هو: مُسيلمة بن حبيب من بني تميم، متنبّئ، كان يسجع لقومه السجعات مضاهاةً للقرآن، وضع عنهم الصلاة، وأحلّ لهم الخمر والزنا! وُلد باليمامة قبل ولادة والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان من المعمّرين، تلقّب بالجاهلية بـ «**الرحمن**»، وعرف بـ «**رحمن اليمامة**»، قالوا في وصفه: كان رُوَيْجِلاً، أصيفر، أخينس، كان اسمه مَسْلَمة، وسمّاه المسلمون مُسيلمة تصغيراً له، قُتل في غزوة اليمامة عام ١٢ هـ، وكان عمره آنذاك ١٥٠ سنة. انظر: تاريخ الطبريّ ج ٢ ص ١٩٩- ٢٠٠، تاريخ الخلفاء للسيوطيّ ص ٨٩، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٣.

(٣) - هي: سجاح بنت الحارث بن سويد، وقيل: بنت غطفان التغلبيّة التميميّة، تكنّى أُمّ صادر، كانت رفيعة الشأن في قومها، شاعرة، أديبة، عارفة بالأخبار، لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب، وكانت متكهّنة قبل ادّعائها النبوّة، وهي مع ادّعائها النبوّة فقد كذّبت بنبوّة مسيلمة الكذّاب، ثمّ آمنت به، فتزوّجها من غير صداق! ثمّ أصدقها بأن وضع عن قومها صلاتَي الفجر والعشاء الآخرة!! وقيل: إنّها عادت إلى الإسلام بعد مقتل مسيلمة، فأسلمت وهاجرت إلى البصرة، وتوفّيت بها في زمان معاوية نحو سنة ٥٥هـ.

انظر: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٣، الإصابة ص ٧٢٣، رقم ١١٣٦١، البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٣٩- ٢٤١، حوادث سنة ١١ هـ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٥٩، لسان العرب ج ٦ ص ١٧٤، مادّة «**سجح**»، الأعلام ج ٣ ص ٧٨.

(٤) - من أمثال: طُليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر الأسديّ، شهد معركة الخندق مع الأحزاب، وأسلم سنة ٩ هـ، ثمّ ارتدّ وادّعى النبوّة في عهد أبي بكر، ثمّ كانت له وقائع كثيرة مع المسلمين، ثمّ خذله الله وهرب حتّى لحق بأعمال دمشق، ونزل على آل جَفْنَة، ثمّ أسلم وقدم مكّة معتمراً، ثمّ خرج إلى الشام مجاهداً، وشهد اليرموك، وشهد بعض حروب الفرس، وقُتل بنهاوند سنة ٢١ هـ. انظر: الاستيعاب ج ٢ رقم ٧٧٣، أُسد الغابة ج ٢ ص ٤٧٧، رقم ٢٦٣٩، تاريخ دمشق ج ٢٥ ص ١٤٩- ١٧٢، رقم ٢٩٩٢، الإصابة ج ٣ ص ٥٤٢، والأسود العنسيّ، عيهلة بن كعب بن عوف العنسيّ المذحجيّ، قيل: إنّه كان أسود الوجه فسمّي الأسود للونه، متنبّئ مشعوذ، من أهل اليمن، أسلم لمّا أسلمت اليمن، وارتدّ في أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فكان أوّل مرتدّ في الإسلام، وادّعى النبوّة، قُتل قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة أيّام، وكان ظهوره في سنة ١٠ هـ. انظر: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠١، البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٢٨.

وعلى هذا، فيحقّ للجنس اللطيف- كما يسمّونه اليوم- أن يفخر على الجنس الآخر بوجود مثل تلك العليّات العلويّات فيه، وقد تجلّى واتّضح أنّ هذا الجنس الشريف قد يقوم بأعمال كبيرة يعجز عنها الجنس الآخر، ولو بذل كلّ ما في وسعه، وأنّ له التأثير الكبير في قلب الدول والممالك، وتحوير الأفكار، وإثارة الرأي العامّ.

وهذه نكتة واحدة من نكات السياسة الحسينيّة، وغور نظره في الشؤون الدوليّة لو قطعنا النظر عن الوحي والإمامة، وجعلناه كواحد من الناس قد ثار على عدوّ له متغلّب عليه، يريد الانتقام منه، يريد أن ينقله من عرشه إلى نعشه، ومن قصره إلى قبره، ومن ملكه إلى هلكه، ويريد أن يقضي على دولة أبيه ودولته، ولا يدع حظّاً في الملك لولده وذرّيّته.

ومن تصفّح سيرة معاوية، وجهوده العظيمة، وتدابيره العميقة مدّة عشرين سنة، يعرف عظيم مساعيه، وكم كان حريصاً على توطيد دعائم الملك ليزيد، وحبسه أبداً عليه وعلى ولده، حتّى دسّ السمّ إلى الحسن، عليه السلام، وقتله مقدّمة لاستخلاف يزيد، وكم استعمل العامِلَين القويَّين السيف والدينار، والرغبة والرهبة، في تمهيد عرش يزيد وإعطائه صولجان الملك وتاج الخلافة الذي انتزعه من بني هاشم، وأعمل التدابير المبرمة في أن لا يعود إليهم أبداً.

ولكنّ الحسين، وعلى ذِكره آلاف التحيّة والسلام، بتفاديه وتضحيته، وتدابيره الفلسفيّة، وإحاطته بدقائق السياسة، ثَلَّ[1] ذلك العرش، وهدم ذلك البنيان الذي بناه معاوية في عشرين سنة، هدمه في بضعة أيّام، وما أثمر ذلك الغرس الذي غرسه معاوية ليزيد إلّا العار والشنار، والخزي المؤبّد، واللعنة الدائمة، وصار معاوية المثل الأعلى للخداع والمكر، والظلم والجور، والرمز لكلّ رذيلة، ومعاداة كلّ فضيلة.

كلّ ذلك بفضل السياسة الحسينيّة وعظيم تضحيته، وصار هو وأهل بيته- إلى

(١) - ثُلَّ عَرْشُ فلان ثَلاًّ: هُدِم وزالَ أمرُ قومه. انظر: لسان العرب ج ٢ ص ١٢٣، مادّة «ثلل».

الأبد- المثل الأعلى لكلّ رحمة ونعمة، وبركة وسلام، فما أكبره وما أجلّه!

وقد بقيت هناك دقائق وأسرار لم يتّسع الوقت لنظمها في هذا السلك، ولقد كنت أتمنّى منذ عشرين سنة أن أنتهز من عمري فرصة، وآخذ من مزعجات أيّامي مهلة، لأكتب كتاباً في دقائق السياسة الحسينيّة، وأسرار الشهادة، بما لم يكتبه كاتب، ولا حامَ حول شيء منه مؤلّف، ولا تفوّه وألَمّ خطيبٌ ببعضه، ولكنّ حوادث الأيّام وتقلّبات الصروف لا تزال تدفعني من محنة إلى محنة، ومن كارثة إلى أُخرى

كَأُزْجُوحَةٍ بَيْنَ الْخَصَاصَةِ... وَمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الشَّقَاوَةِ وَالْعَمَىٰ

حتّى أصبحت كالآيس من الحصول على تلك الأمنيّة، ولا يأس من روح الله.

وهذا الذي ذكرنا هنا طرف من سياسة الحسين، عليه السلام، وناحية من نواحيها، ذكرنا منه ما يتعلّق به الغرض في الجواب، ودفع الشكّ والارتياب.

وفي الختام، أرجع فأقول: ما أدري، هل اندفع بهذه الوجوه الأربعة أو الخمسة اعتراض الناقد أو المشكّك على الحسين، عليه السلام، في حمل العيال؟!

وهل انكشف الستار عن تلك الأسرار[1]؟!

فإنْ كان كلّ ذلك البيان لم يقنعه، ولم يدفع شكّه وريبه، فأمره إلى الله، ولا أحسبه إلّا ممّن قال فيه سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾[2]، والله وليّ التوفيق لنا ولهم، وبه المستعان.

ربيع ٢ سنة ١٣٥٨ هـ
سؤال من أمريكا
مشيغن

---

(١) - ويحتمل البعض أنّ وجه حمل الحسين عليه السلام للعيال معه أنّه كان يخشى عليهنّ الأسر والسبي لو تركهنّ في بيوتهنّ بالمدينة، لأنّ بني أُميّة كانوا يتوسّلون إلى أخذ البيعة منه بكلّ وسيلة، وحينئذ فإمّا أن يبايع أو يتركهنّ في الأسر، فإن صحّ، فهو وجه خامس أو سادس (منه قدّس سرّه).

(٢) - سورة الأنعام الآية: ٢٥.

سيّدي الحجّة آل كاشف الغطاء

أُتيح لي أن أطّلع على كتاب «**السياسة الحسينيّة**»، لجامعه: ولدكم المحروس عبد الحليم، وما دار به من بحوث حول الحسين وسياسة الحسين عليه السلام، فخرجت من هذه المطالعة على وشك الاعتقاد الراسخ من أنّ الحسين لم يُقتل إلّا لأجل شيء معنويّ، وهذا الشيء المعنويّ لا يزال مجهولاً عند الباحثين عن تأريخ الحرب الأُمويّة، وعند أتباع الحسين عليه السلام، الّذين يتحرّون جميع الأساليب المؤثّرة، ويزيدونها على النواجيد[1] الحسينيّة إثارة للذكريات الدفينة[2] التي تمجّد موقف الحسين عليه السلام، وتخذل موقف يزيد والأُمويّين الّذين عاصروه ومشوا على مبادئه وسننه الظالمة.

إنّ الحسين لم يُقتل لأجل الدّين الإسلاميّ، كما تقول الشيعة بذلك، ولم يُستشهَد طلباً للمُلك والسلطان، بل قُتل، عليه السلام، محافظاً على معنويّاته الهاشميّة التي هي علّة وجود الأُمّة العربيّة وبعثها من جديد، متمتّعة بجميع أساليب الثقافة ووسائل النجاح الاقتصاديّ المادّي.

وهذه القَتْلَةُ التي يقولون عنها: إنّها كانت في سبيل الله، وسبيل المحافظة على معنويّة آل محمّد في سبيل الله أيضاً، هي الشيء المعنويّ الذي لا يزال مخبّأً عن أعين

---

(١) - النَّجدة: النُّقلُ والشِّدّة، والفزع والهول، والمنجود: المكروب. انظر: لسان العرب ج ١٤ ص ٤٩، مادّة «**نجد**».

(٢) - أقول: إنّ حادثة الطفّ الفجيعة، وجريمة القتل الشنيعة، التي راح ضحيّتها حجّة الله على خلقه الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته والخيرة من أصحابه، ليست كالحوادث التاريخيّة الأُخرى التي كلّما مرّ عليها الزمان يعتريها النسيان وتصبح في خبر كان. فتضحية الإمام الحسين عليه السلام هذه أحيت ديناً من الفناء، وأنقذت أُمّةً من الضياع والضلال، فلولا هذه التضحية لَما بقي من الإسلام إلّا اسمه ومن القرآن إلّا رسمه، لذا اقترن اسمه عليه السلام مع الدّين اقتراناً، فصارت أسرار ومزايا شهادته عليه السلام تتجدّد بتجدّد الزمان، وتطلع كلّ يوم على البشر طلوع الشمس والقمر، لا ينتهي أمدها، ولا ينطفئ نورها، ولا تبرد حرارتها. قال الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام: «**نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إنّ لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً**». ثمّ قال عليه السلام: «**بأبي قتيل كلّ عبرة**». قيل: وما قتيل كلّ عبرة يا بن رسول الله»؟

قال: «**لا يذكره مؤمنٌ إلاّ بكى**». انظر: مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٣١٨، كتاب الحجّ ح ١٤. وقال الشاعر:

كذب الموتُ فالحسينُ مخلّدُ كلّما مرّ الزمانُ ذِكرُه يتجدّدُ

الباحثيـن. ونحن إذا قلنا: إنّ الحسين، عليه السلام ،مـات دفاعاً عن شرف الدّين، نكون قـد أسأنا إلى الدّين الإسلاميّ نفسه، الذي ليس يقوم على قَتْلة الحسين، عليه السلام ، أو استشهـاد أيّ نبيّ من الأنبياء، وليس هو صورة مادّيـة يملكها فرد من البشر، لتموت بموتـه وتحيـا بحياته. والأفضـل لكلّ مقتصـد، أن يجعل هذه القضيّـة قضيّة عائليّة تتفاوت عن حدّ وقوعها بين سموّ مبادئ الحسين وبين انحطاط مبادئ يزيد.

وقـد أدرك ولدكـم- حرسه الله- في جوابه على كتـاب الشيخ عبد المهديّ شيئاً مـن هذا، إذ قال: إنّ الذي عرّضـ الحسين للقتل هو تمنّعه عن المبايعة ليزيد، وفي عدم القيام بهذه المبايعة يتعرّض الحسين لأن يقتل بسيوف الأُمويّين، حتّى ولو كان فـي عقر داره، دون أن يضطرّ إلى الخروج لمحاربة يزيد وأتباعه، وأن يعرّض نساءه وأطفالـه للهتك الذي هو صورة القبح عند طبقـات الأشراف الّذين منهم الحسين، كما زعم غير واحد في افترائه على الحسين وعائلة الحسين.

إنّ هـذا الافتراضـ ممكن الوقوع أكثر مـن غيره، ومبايعة الحسـن لمعاوية التي ظلّت أسبابها مغمضة في بحثكم[1]، هي التي أجّلت وقوع الحرب الأُمويّة إلى ما بعد وفـاة معاويـة، ويظهر أنّ الحسن بتعهّده لمعاوية أنّه لا يـرى من الحسين شيئاً- كما جـاء برسالة سماحتكم- وقف وقفـة المشفق الذي لا يريد أن يُفجَع بأخيه وهو حيّ، أراد بمبايعتـه أن يحجـب دماء الأبريـاء التي أباحها يزيد في تعنّتـه وطغيه وفساده واعتدائـه على أخيه الحسين. ولكنّ السياسة لعبـت دورها يومذاك: إذ مات معاوية الـذي كان عنـده مخافة من الله أكثر من ولـده يزيد[2]، وإذا توفّـي الحسن- الذي يعدّ بحقّ نبراس السياسة الهاشميّة المؤدّية إلى إعمال السلام القوميّ- الذي وقف حائـلاً في حياته دون وقوع حـرب طاحنة كالحرب الأُمويّة، فيمـا لو ضمّ صوته إلى

(١) - للاطّلاع على تفاصيل صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، والظروف التي أحاطت بالإمام عليه السلام واضطرته إلى هذا الصلح، راجع كتاب «**صلح الحسن**» للشيخ راضي آل ياسين قدّس سرّه، ففيه بيان ما كان بين الإمام وابن أبي سفيان.

(٢) - ليـس عنـده ولا عند ولده يزيد شيء من مخافة الله، ولكـنّ معاوية عنده سياسة وتدبّر دنيوي ويزيد ليس عنده دين ولا سياسة. كاشف الغطاء.

صوت أخيه الحسين في زمن معاوية، الذي تعود مبايعته لهذا السبب الوفاقيّ- على ما أظنّ- لا لأسباب الخوف والوجل الذي عزاه كثير من ضعفاء العقول والنوايا[١] السيّئة للحسن.

أمّا قضيّة العادة العربيّة التي قلتم- سماحتكم-: إنّها دفعت بالحسين إلى أن يصحب أولاده ونساءه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف، فهذه تخضع- على خروجها عن قلم سماحتكم- لضروب النقد والاعتراض، إذ كان الدّين الإسلاميّ، أو التعاليم الإسلاميّة- بتعبير أصحّ- حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلّا من وراء الحجاب، وأرجعتها إلى بيتها حيث تقوم بتربية وتهذيب أولادها وتدبير شؤون منزلها، الذي يعدّ نصف الحياة الزوجيّة- إذا لم يكن كلّها- في نظر قانون الزواج المدنيّ والدينيّ، فكيف بالحسين خرق حجاب هذا النظام وأصحب عائلته وتابعيه معه جرياً على العادة العربيّة المعروفة قبل ظهور الإسلام وبعده؟!

وتعلمون أنّ العادة التقليديّة غير حكم الدّين التشريعيّ، فحكم الدّين أسمى مكانة في نفس الحسين من عاطفة العادة، فهل هناك ضرورة حيويّة دفعت بالحسين، أن لا يكترث بتعاليم الدّين، ويتّبع ما أوحته عاطفة العادة التي تعدّ ملغاة بحكم هذه التعاليم؟!

هذا ما نريد الإجابة عنه مفصّلاً.

وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصيّ، وهو: أنّ الخمسة الأثواب التي أعطاها الحسين إلى محمّد بن بشير الحضرميّ[٢] كان يزيد ثمن الواحد منها على المئة ليرة عثمانيّة، لا يتوافق اقتناؤها بهذا الثمن الباهظ من قبل الحسين مع دواعي الزهد التي كانت متجسّمة في أبيه وجدّه سيّد الرسل، إذ عرفنا عن طرق الأحاديث

(١) - النيّة: عمل القلب، وهي مؤنّثة لا غير، وتُجمع جمع مؤنّث سالم، لذا يكون جمعها بـ «**النيّات**» لا «**النوايا**» التي هي خطأ شائع. انظر: لسان العرب ج ١٤ ص ٣٤٢، مادّة «**نوي**».

(٢) - انظر ما تقدّم في الصفحة ٣٣٦ .

المرويّـة أنّ عليّاً والـد الحسين كان يرتدي الصوف على بدنه داخلاً ويلبس الأطمار الرخيصـة خارجـاً، دلالةً على زهده وورعـه وتقواه، أو تقليداً للنبـيّ الذي هو المثل الأعلـى للأُمّـة الإسلاميّة، والـذي جعل بهذا الارتـداء أُمثولة عـزاء للفقير الذي لا يستطيـع أن يلبس ثوبـاً يساوي ثمنه مئة ليرة عثمانيّة ونحوها، كما استطاع الحسين أن يلبس[1] مثل هذا الثوب ويهب خمسة على غراره إلى أحد أتباعه من الفقراء؟!

إنّ هذه الرواية- على ما فيها من استقراء في النقل- تصوّر لنا الحسين مسرفاً، طامعـاً فـي خير الدنيـا أكثر من خيـر الآخرة، بينما لـو رجعنا إلـى استقصاء ورع الحسين وزهده وتقواه لوجدنا ذلك أنّه لا يتوافق ورغبة الحسين في تضميد عواطف الفقراء المجروحة، والترفيه عن كلّ بائس محتاج!

ولـو أنّ راويـاً عزا ذلك إلى الحسن، الذي كان له مَيلٌ خاصٌّ وصِفةٌ خاصّة بهذا الثراء الدنيويّ لأمكننا أن نصدّق ذلك، بدليل أنّ الحسن نشأ على الأُبّهة والمجد في زمن جدّه وأبيه.

وأمّـا الحسين فمـن المعروف عنه أنّـه كان لا يعرف قيمة للدنيـا، ولو عرف لها قيمة لبايع يزيد، وبذلك كان أضاف إلى ثرائه ثراءً آخرَ يدفعه له يزيد بدلاً من تلك المبايعـة، التي كانت منعت هذه الحرب وذلك الهتـك، وحوّلت معنويّة الحسين من رجل شريف نزيه حافظ على مبدأ أجداده، ومعنويّة هذا المبدأ إلى رجل مادّي عبث بكلّ شيء، وخضع لكلّ شيء بتأثير المادّة[2].

---

(١) - لم يلبس الحسين تلك الثياب، وإنّما كان يقتنيها ليعطيها (كاشف الغطاء).

(٢) - أقـول: إنّ هـذه الفقرة تتضمّن من التناقضات الشيء الكثير الذي يستوقف أي قارئ، منها: قوله: «**إنّ الحسن نشأ على الأُبّهـة والمجـد فـي زمن جدّه وأبيه**». وهذا خـلاف العقل والمنطق، إذ كيف عاش الحسن بهـذا الوصف والحسين على العكـس منـه وقد ترعرعا سويةً فـي كنف أبيهما وجدّهما وتعلّمـا منهما الزهد والإيثار؟! فهـل كان رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام يميّزان بين الحسن والحسين؟! ألم تنزل آية الإطعام فيهم جميعاً؟! أم هل كان الحسن ابن حرّة والحسين ابـن أَمـة فقيرة؟! كلّ هـذه الاستفهامات تلجئنا إلى اليقين القطعـي أنّ مثل هذه المقولات وغيرهـا هي محض افتراءات وأكاذيب وضعها رواة بني أُميّة للنيل من منزلة الإمام الحسن عليه السلام، وهيهات! وقوله: «**وأمّا الحسين فمن المعروف عنه أنّه كان لا يعرف قيمة للدنيا**». وهذا- أيضاً- خلاف منهج الإمام الحسين عليه السلام: لأنّ قيمة الدنيا عنده عليه السلام معنوية أكثر ممّا هي مادّية، فهو لا ينظر إلى الدنيا على أنّها دار بقاء ومتاع ونزوات وشهوات وملذّات، وإنّما ينظر إليها من منطلق قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ولذا فالدنيا عند الحسين عليه السلام دار عبادة وطاعة للباري عزّ وجلّ، والدّين هو

وروايــة أُخرى لا تتوافق وصحّة النقل- وهي واردة بجواب سماحتكم- من أنّ زيد بــن أرقم قــال ليزيد يوم كان يضرب رأســ الحسين بعوده: ارفع عــودك عن هاتين الشفتين! فوالله طالمــا رأيت رسول الله ﷺ يقبّلهما، إذ إنّه من المعروف أنّ رسول الله ﷺ كان يقبّــل الحسين في نحره على اعتبــار أنّه سيموت مقتولاً، ويقبّل الحسن فــي فمه على اعتبار أنّــه سيموت مسموماً، فكيف تناقض المعنى الذي وقع فعلاً كما أشــار النبيّ ﷺ؟! وكيف انتقل تقبيل فم الحسن إلى فم الحسين الذي مات منحوراً علــى قفاه، ولم ينتقــل تقبيل نحر الحسين إلى نحر الحســن الذي مات مسموماً في فمه[1]؟!

وفي الاستعراض الدينيّ لأهل البيت نجد اعتراضاً على الحديث الذي ورد بلسان النبــيّ ﷺ، قال مخاطباً سلمــان الفارسيّ: «**نحــن أسرار الله المودعــة في هياكل البشريّة.**

يا سلمان! أنزلونا عن الربوبيّة ثمّ قولوا فينا ما استطعتم، فإنّ البحر لا يُنزف، وسرّ الغيب لا يُعرف، وكلمة الله لا تُوصف، ومن قال هناك: لِمَ؟! وممَّ؟! وبمَ؟! فقد كفر».

إذ إنّ من يتأمّل المعاني الاستهلاليّة من الحديث، يجد أنّ منها ما يعدّ استكباراً

الوسيلة التي يحافظ بها الإنسان على الدنيا، فإذا ذهب الدّين ذهبت الدنيا، وخوفاً على الدّين من الاندراس وعلى الدنيا من الخراب وانتشار الفساد- بسبب ما يفعله بنو أُميّة- ضحّى الإمام عليه السلام بنفسه وأهل بيته.

(١) - أقــول: لــو تجشّــم الكاتب قليلاً من عناء البحــث في بطون الكتب التــي روت فضائل الأئمّة عليهم السلام، لَما حــارَ في أمر تقبيل الرســول ﷺ للحســن والحسين عليهما السلام. فقد روى أحمد بن حنبل في مسنــده، عن يعلى العامريّ، أنّه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دُعوا له، قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه، قــال: فطفق الصبيّ ها هنا مــرّة وها هنا مرّة، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتّى أخذه، قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأُخــرى تحــت ذقنه فوضع فاه على فيه فقبّله، وقال: «**حسين منّــي وأنا من حسين**»، «**أحبّ الله من أحبّ حسيناً**»، «**حسين سبــط مــن الأسبــاط**». مسند أحمد ج ٤ ص ١٧٢، وهذا الحديث وما سبقه ممّا تقــدّم- عن زيد بن أرقم، في الصفحة ٣٤٤، من تقبيل رسول الله ﷺ شفتَي الإمام الحسين عليه السلام، وما تقدّم في الصفحة ٣٦٠، الهامش رقم ١، عن أبي برزة الأسلميّ- مــن ترشيــف رسول الله ﷺ شفتَي الحسن والحسين، كُلّها تفيد أنّ النبــيّ ﷺ كان يقبّل الحسنين من شفتيهما. نعم، اشتهر عنــه ﷺ بأنّــه كان يكثر من تقبيل الحسن عليه السلام من فمه والحسين عليه السلام من نحــره، لعلمه صلوات الله وسلامه عليه بكيفية استشهادهما عليهما السلام، ولكن هذا لا يدلّ على التخصيص. انظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٩٦٨، رقم ١٣٦١، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٠٤، المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٧٧- ١٧٨، شرح الأخبار ج ٣ ص ١١٢، ح ١٠٤٩.

فـي الأرض، وهـو يخالف بمنطوقـه إرادة الله التي جـاءت في القـرآن، فمحت آية الاستكبار الخليقة بالمستضعفين من الناس.

ويجد أنّ كلمة «**أسـرار الله المودعة**» التي عمّت جميع «**هياكل البشريّة**» تتعرّض للشـرّ حينـاً، وللخير حيناً آخر، وتنقل من الزهد والتقـوى دوراً، وإلى الفساد والإثم والفوضى دوراً آخر، حيث كانت هياكل البشر الطاهرة فيها.

فهل كان الرسول يعني أنّه هو وذرّيّته سرّ الله المودع في هياكل البشريّة الطاهرة فقـط؟! أو في جميـع الهياكل؟! سواء كانـت طاهرة أو خبيثة، مجرمـة أو مصلحة، مدنّسـة أو غيـر مدنّسة؟! هذا سـؤال نطرحه أمام سماحتكم مـن الشطر الأوّل من الحديث.

وأمّـا الشطر الآخر، فيه: «**ومن قال: لِمَ؟! وممّ؟! وبِمَ؟! فقد كفر**»، فيكفينا أن نقـول: إنّ فيه حَجْراً لعقل الإسـلام الذي خُلق حرّاً طليقاً بحكم التشريع الإسلاميّ، ونتسـاءل كيـف أباح النبيّ محمّـد ﷺ لنا إدراك الله عن طريـق العقل بعد التفكير والتكييـف والمقارنـة والمشابهـة والظنّ والشـكّ والريبة وما أشبه ذلـك، ثمّ تكون هـذه الأشيـاء كلّها شرعيّة بنظر القانون الإسلاميّ، ولم يبـح لنا إدراك كنه «**أسرار الله المودعـة، وسـرّ الله الذي لا يعرف، وكلمة الله التـي لا توصف**» المتجسّمة في شخصه وشخص ذرّيّته من بعده؟!

إنّ هـذا المنـع المجرّد عن العقل والرويّة يعرّض الرسـول ﷺ - إذا كان صادراً عنه- إلى عدّة انتقادات عقليّة، أهمّها: إنّه أباح للعقل أن يدرك الله تعالى عن طريق الظنّ والتفكير الذي حرّمه لإدراك شخصه، وبذلك جعل نفسه فوق الله تعالى، وإنْ كانت هذه النفس هي خليقة الله والخاضعة لأمر الله!

هـذا، فضلاً عن أنّ هذا الادّعاء المتجسّـم في كلمة «**سرّ الغيب الذي لا يعرف، وكلمـة الله التـي لا توصف**» يجعل للشكوك والأوهام سبيلاً للوقوف حائلاً بين حكم العقـل وعاطفة الاعتقاد، ولماذا لا يُعرف رسول الله الـذي هو كلمة الله، وله أعمال

وأقوال تدلّ على شخصه وتنمّ عن سجاياه وأخلاقه؟!

ومتى كانت أعمال الرجل وأقواله وتصرّفاته الدينيّة والاجتماعيّة بين أيدينا، يمكننا أن نحكم على شخصيّته من أنّها شخصيّة صالحة إذا كانت أعماله وأقواله توافق الصلاح، وأن نحكم على هذه الشخصيّة من أنّها شخصيّة مجرمة فاسدة فيما إذا كانت أعماله وأقواله تأتي الفساد، وترتكب الإجرام والفوضى الاجتماعيّة!

لا أعتقد أنّ هذا القول يصدر عن نبيّ- كمحمّد ﷺ- كان متواضعاً جدّاً، وهو كإنسان بسيط يمشي في الأسواق، ويأكل ويشرب، فكيف به كنبيّ يقول مثل هذا القول الذي هو من صفات الإلهيّة؟!

بل أعتقد أنّ هذا الحديث من جملة الأحاديث التي دسّتها اليهود دسّاً في كتب الإسلام، انتقاصاً من قيمة الدعوة المحمّديّة، التي هي أسمى من كلّ شيء ظهر على وجه الأرض.

أمّا إذا كان هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بصحّتها، فأرجو من سماحتكم أن تتفضّلوا ببيان ذلك ولو مفصّلاً.

من مدرسة كاشف الغطاء الكبرى في النجف الأشرف

٢٧ ربيع ٢ سنة ١٣٠٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد والمجد

إلى الحبر الفاضل، بل الإنسان الكامل، وما أعزّ الكمال في الإنسان!

كان قد وردني منك كتاب فيه شيء من الإطناب، ذكرت فيه بعض الملاحظات على بعض مندرجات «**السياسة الحسينيّة**»، ووعدتك أن أُجيبك، إن لم يكن عن كلّها فعن بعضها على الأقلّ، في كتاب أرجو أن يكون قد وصل إليك في البريد مع كتاب «**أصل الشيعة**»، هديّة للسيّد فائز حسين، أمين النهضة العربيّة الهاشميّة، حرسه الله وإيّاك.

تقول- أيّدك الله- في كتابك: ونحن إذا قلنا: إنّ الحسين عليه السلام مات دفاعاً عن شرف الدّين، نكون قد أسأنا إلى الدّين الإسلاميّ...» إلى آخر ما أبديت في هذا الموضوع، وكأنّه غاب عنك أنّنا حيث نقول: مات أو قتل دفاعاً عن الدّين، لا نريد أنّ الدّين الإسلاميّ يموت بموته ويحيا بحياته، بل نريد العكس، يعني أنّ الدّين يحيا بموته ويموت باستبقاء حياته وهذه حال جميع من قتل في سبيل الله، الّذين يقول الله جلّ شأنه عنهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1]، مثل: حمزة، وجعفر، وعبيدة بن الحارث، وسعد بن الربيع[2]، وأمثالهم، ممّن بذلوا حياتهم في الدنيا لحياة الدّين، فوجدوا خيراً من تلك الحياة عند الله تعالى، فهم عند الله أحياء غير أموات وإن كانوا بالنظر إلى الدنيا أمواتاً غير أحياء.

ولا يلزم من هذا أن يكون الدّين الإسلاميّ صورة مادّية يملكها فرد من البشر كما تخيّلت، ضرورة أنّ الدّين هو عبارة عن تلك الأحكام والقوانين التي جاء بها الرسول الأمين من ربّ العالمين، وحياتها وموتها بالعمل بها وعدم العمل بها.

ولمّا سلك يزيد، في خلافته، مسلكاً يوجب إبطال العمل بشرائع الإسلام، حيث صار يجاهر بشرب الخمور وارتكاب الفجور وترك الصوم والصلاة، والناس يتّبعونه طبعاً، لأنّ «**الناس على دين ملوكهم**» كما قيل[3]، وكأنّه بهذا يريد القضاء على الإسلام وموته، لذلك ضَحّى الحسين عليه السلام بحياته وحياة خيرة أهل بيته وأصحابه، إنكاراً على يزيد، وإبطالاً لمساعيه، وإحياءً للدّين، ولحمل الناس على العمل بشرائعه، كما قال سلام الله عليه، أو قيل عنه:

إن كان دينُ محمّد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني!

فحقّاً أنّ الحسين- سلام الله عليه- ما بذل نفسه إلّا دفاعاً عن شرف

(١) - سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٢) - سعد بن الربيع الخزرجيّ، أحد نقباء الأنصار من شهداء أُحد، انظر ترجمته في تنقيح المقال ج ٢ ص ١٣ ط النجف. القاضي الطباطبائيّ.

(٣) - انظر: فتح الباري ج ٧ ص ١١٤، تذكرة الموضوعات- للفتني- ص ١٨٣، وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار ص ٣٠، كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٠٧، رقم ٣٢٨.

الدّين وتفادياً للمبدأ المقدّس، ولا نكون بهذا قد أسأنا إلى الدّين، بل أحسنّا إليه، حيث جعلناه فوق نفس الإمام المعصوم، وأنّه يُفدى بأعزّ النفوس.

ومن الغريب قولك- حرسك الله- على قولنا: «**أنّ العادة العربيّة دفعت بالحسين عليه السلام أن يصحب أولاده ونساءه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف، فقلتم: إنّ التعاليم الإسلاميّة حرمت المرأة (من) مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلّا من وراء حجاب! أليس من الغريب أن تقول- وأنت بهذه الثقافة-: إنّ الدّين الإسلاميّ حرم المرأة من مخالطة الرجال، فتجعل ذلك وصمة شنعاء ولطخة سوداء في جبين الدّين الإسلاميّ؟!**

كيف يقال هذا وهذه الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت مشرّع الدّين الإسلاميّ، خطبت في المسجد النبويّ في حشد المهاجرين والأنصار تلك الخطبة البليغة الغرّاء التي تستغرق ما يقرب من ساعة، وكلّهم يسمعون ويشهدون[١].

وهذه عائشة ما زالت مدّة عمرها تخطب[٢]، وتحدّث الرجال بالأحاديث النبويّة، وإذا نظرت إلى كتب صحاح إخواننا السُنّيّين تجد الربع أو الثلث تقريباً ينتهي سنده إلى عائشة، حتّى نسبوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**خذوا ثلث دينكم من الحميراء**»[٣].

دع عنك هذا! وراجع كتاب «**بلاغات النساء**» وأمثاله، وانظر إلى النساء اللاتي كنّ يخطبن في الجيوش في صفّين ويحرّضن أهل العراق على حرب أهل الشام[٤]!

وانظر إلى كلام الوافدات[٥] على معاوية بعد أن تمّ الأمر له، وكيف كانت تلك

(١) - انظر: بلاغات النساء ص ٥٤- ٦٩، شرح الأخبار ج ٣ ص ٤٠، معاني الأخبار ص ٣٥٥، دلائل النبوّة لابن جرير الطبريّ ص ٣٠- ٤١، الاحتجاج ج ١ ص ٢٥٣- ٢٩٢، شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٣٢- ٢٣٤، كشف الغمّة ج ٢ ص ٤٨٠- ٤٩٤، جواهر المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب ج ١ ص ١٥٥- ١٦٩.

(٢) - انظر: بلاغات النساء ص ٣٥.

(٣) - انظر: النهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٤٣٨، مادّة «**حمر**»، الإحكام في أُصول الأحكام ج ١ ص ٢١١، مسألة ١١، لسان العرب ج ٣ ص ٣١٧، مادّة «**حمر**»، البداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٣، السيرة النبويّة لابن كثير ج ٢ ص ١٣٧.

(٤) - مثل كلام الزرقاء بنت عديّ بن غالب، وبكارة الهلاليّة، وأُمّ سنان بنت خيثمة بن خرشة. انظر: بلاغات النساء ص ٩٠- ٩٣، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب ج ٢ ص ٢٢٥- ٢٣٧.

(٥) - مثل كلام سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانيّة، وآمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعيّ رضي الله عنه، التي حبسها معاوية سنتين. انظر: «**بلاغات النساء**» لابن طيفور، و «**أعلام النساء**» لعمر رضا كحّالة، وأمثالهما من الكتب. القاضي الطباطبائيّ.

النسوة أجرأ من اللبوة، وأقوى قلباً من الصخور.

أُنظر إلى الخنساء[١] يوم حرّضت أولادها الأربعة في بعض حروب المسلمين حتّى قُتلوا جميعاً[٢]. وبعد هذا، فهل تجد من الصحيح قولك: «**إنّ الإسلام حرم المرأة من مخالطة الرجال**»؟!

ألم تكن النساء تضمّد الجرحى وتسقي العطاشى، وتزغرد وتهلهل وتحرّض المقاتلين على الهجوم في حرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحرب الوصيّ عليه السلام؟!

دع وانظر إلى صفايا النبوّة وحرائر الرسالة وبنات سيّد الموحّدين ويعسوب الدّين عليه السلام، من زينب وأُمّ كلثوم وسكينة وخطبهنَّ في كربلاء والكوفة والشام، وفي مجلس يزيد وابن زياد، وفي النوادي والمجتمعات، فهل مع هذا كلّه تقول: إنّ التعاليم حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم وأرجعتها إلى بيتها؟!

أمّا آية الحجاب، فهي واردة في خصوص نساء النبيّ عليه السلام، وكان الأعراب الّذين أخبر الله جلّ شأنه عنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٣] يؤذون نساء النبيّ بالهجوم عليهنّ في منازلهنّ، فنهاهم الله عن ذلك، راجع سورة الأحزاب[٤]. نعم، إنّ التعاليم الإسلاميّة حرّمت على النساء مطلقاً التبرّج وإظهار الزينة للرجال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٥]، وأين هذا من حرمة المخالطة؟!

---

(١) - هي: الخنساء بنت عمرو بن الشريد، اتّفق أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، ووفدت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم، وتوفّيت سنة ٦٤٦ ميلادية. القاضي الطباطبائيّ.

(٢) - انظر ترجمة الخنساء في: الاستيعاب ج ٤ ص ١٨٢٧- ١٨٢٩، رقم ٣٣١٧، أُسد الغابة ج ٦ ص ٨٨- ٩٠، رقم ٦٨٧٦، الإصابة ج ٧ ص ٦١٣- ٦١٦، رقم ١١١٠٦.

(٣) - سورة الحجرات الآية ٤. القاضي الطباطبائيّ. وانظر تفسير الآية الكريمة- مثلاً- في: تفسير الطبريّ ج ١١ ص ٣٨١- ٣٨٢، تفسير الفخر الرازيّ ج ٢٨ ص ١١٧، مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٥، الدرّ المنثور ج ٧ ص ٥٥٢- ٥٥٤.

(٤) - انظر مثلاً: تفسير الفخر الرازيّ ج ٢٥ ص ٢٢٤- ٢٢٦، مجمع البيان ج ٨ ص ١٥٢، الدرّ المنثور ج ٦ ص ٦٣٩- ٦٤٣.

(٥) - سورة الأحزاب الآية ٣٣. قال الجصّاص- المتوفّى ٣٧٠ هـ-: ﴿ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الأُولى﴾ يعني إذا خرجتنّ من بيوتكنّ، قال: كانت لهنّ مشية وتكسّر وتغنّج فنهاهنّ الله عن ذلك، وقيل: هو إظهار المحاسن للرجل، وقيل: الجاهلية الأُولى ما قبل الإسلام، والجاهليّة الثانية حال من عمل في الإسلام بعمل أُولئك، فهذه الأُمور كلّها ممّا أدّب الله تعالى به نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صيانة لهنّ، وسائر نساء المؤمنين مرادات بها. انتهى. انظر: أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٤٣ ط مصر. القاضي الطباطبائيّ.

ولـو سلّمنا تنازلاً بحرمة المخالطة، فأيّ منافاة بهـذا لِما أبديناه وأريناه من أنّ حمله لنسائه وأولاده استماتة في سبيل الكرامة والشرف؟! فإنّ حمله لهنّ لا يستلزم المخالطة بوجه، وإلاّ لَما جاز لامرأة أن تسافر من محلّ إلى آخر أبداً!

وأغرب من ذلك، بل وأعجب جدّاً قولك- أيّدك الله وسدّدك: «**وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصيّ، وهو أنّ الخمسة الأثواب يزيد ثمن الواحد منها على مئة ليرة عثمانيّة لا يتوافق اقتناؤها مع دواعي الزهد التي كانت متجسّمة في أبيه وجدّه سيّد الرسل...**» إلى آخر ما أفضت به وأفدت في هذه الناحية. وكأنّك- عافاك الله- تحسب أنّ الزهد هو الفقر والفَلاكة[١] وعدم الوجدان، وأنّ الغناء والثروة تنافي الزهد؟! لا يا عزيزي، أعزّك الله! حقيقة الزهد هو عدم الحرص على المال، وعدم المبالاة في الدنيا، وأن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء، وقد جمع الله الزهد في كلمتين: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[٢]، وحقيقة الزهد لا تظهر ولا تتجلّى إلّا مع توفّر النعم وغزارة المال وبذله، وعدم الحرص، والتعفّف عن رذيلة الشحّ والبخل ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

أمّا الفقير المعدم، الذي لا يجد ولا يملك شيئاً، فأيّ زهد له؟! وأيّ فضيلة له بذلك الزهد القهريّ؟! وقد سئل الحسن البصريّ: «**أنت أزهد أم عمر بن عبد العزيز- وهو خليفة المسلمين-؟ فقال: عمر بن عبد العزيز أزهد منّي، لأنّه وجد فعفّ، وتمكّن فكفّ، ولعلّ الحسن لو وجد وتمكّن لاستخفّ، وأكل فأسرف**[٤].

---

(١) - الفَلاَكَةُ: الفقر، والمَفْلُوكُ: الفقير، وجمعه: مَفَاليك، وهي كلمة فارسيّة الأصل. هذا، وقد ألّف الدلجيّ، أحمد بن عليّ بن عبد الله الشافعيّ، المتوفّى سنة ٨٣٨ه، كتاباً حول الفقر والفقراء بحث فيه عن أسبابه وعلله وذويه وحالتهم، وأورد فيه أشهر من عضّهم الفقر بنابه وأناخ عليهم الدهر، سمّاه «**الفَلاَكَةُ والمَفْلُوكون**». انظر: هديّة العارفين ج ١ ص ١٢٤، إيضاح المكنون ج ٢ ص ٣٢٠، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ج ١ ص ٨٧٧، المعجم المجمعي ج ٦ ص ١١٢، مادّة «**فلك**».

(٢) - سورة الحديد الآية: ٢٣. القاضي الطباطبائيّ.

(٣) - سورة الحشر الآية: ٩، سورة التغابن الآية: ١٦. القاضي الطباطبائيّ.

(٤) - انظر: ربيع الأبرار ج ١ ص ٨١١ نحوه.

وأمّا رسول الله وأمير المؤمنين- صلوات الله عليهما وآلهما- حيث كانا يأكلان الشعير ويلبسان الصوف، فليس لأنّهما كانا لا يتمكّنان من المآكل الطيّبة والملابس الليّنة، ولكنّهما كانا يحتقران الدنيا ونعيمها الفاني، ويقولان عن أهل الدنيا: «**أُولئك قومٌ عجّلت لهم طيّباتهم، ونحن أُخّرت طيّباتنا**»[١]. ولأمير المؤمنين عليه السلام، في نهج البلاغة كلام مع العلاء بن عاصم، الذي ترك الدنيا ولبس الصوف، فقال له: «**يا عُدَيَّ[٢] نفسه! لقد استهام بك الخبيث**» يعني: الشيطان. فقال: يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟! قال: «**ويحك! إنّي لستُ كأنت، إنّ الله تعالى فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس، كي لا يتبيّغ[٣] بالفقير فقره**»[٤].

وللباقر والصادق عليهما السلام مع سفيان الثوريّ وأصحابه من متقشّفة ذلك العصر ومتصوّفة تلك الأيّام، حيث كانوا يعترضون على الأئمّة عليهم السلام إذا وجدوا عليهم بعض الملابس الفاخرة قائلين: «**إنّ جدّكم رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما ما كانا يلبسان هذه الملابس؟! فيقول لهم الإمام: «ذاك حيث إنّ الزمان قلّ، أمّا إذا درّت الدنيا أخلافها فأَوْلى الناس بها أولياء الله**»، أو ما هو بهذا المضمون[٥]. وللرضا عليه السلام كلامٌ عال شريفٌ في هذا الموضوع[٦]. ولقد كان لأمير المؤمنين عليه السلام في المدينة من الضياع والبساتين والمزارع، كعين أبي نيزر

(١) - المستدرك على الصحيحين ص ١١٧، ح ٧٠٧٢، زاد المسير ج ٧ ص ١٧٧، مجمع البيان ج ٩ ص ١٣١، الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٦٢، ح ١٢٠.

(٢) - عُدَيّ تصغير عدوّ. القاضي الطباطبائيّ. أقول: وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٣٣، رقم ٢٠٢، إضافة إلى هذا المعنى، أنّه يمكن أن يراد به التحقير المحض، ويمكن أن يراد به الاستعظام لعداوته لنفسه.

(٣) - تبيّغ: هاج، تبيّغ به الدم، أي هاج به، وتبيّغ بالفقير فقره، أي: هاج عليه وحمله على المنكر من الأعمال. انظر: لسان العرب ج ١ ص ٥٥٨، مادّة «بيغ».

(٤) - نهج البلاغة ج ١ ص ٤٢٣ ط مصر، (ص ٣٢٤-٣٢٥ رقم ٢٠٩)، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١١ ط مصر(ج ١١ ص ٣٢- ٣٣، رقم ٢٠٢). القاضي الطباطبائيّ.

(٥) - انظر: كشف الغمّة ج ٢ ص ١٥٧، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج ٣ ص ٤٢٥، رقم ٩٣٣، سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٦١- ٢٦٢، رقم ١١٧، بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٢١ ح ٧.

(٦) - نقل الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢٧٩ رقم ٨١، حديثاً عن الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال: سئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدنيا، قال: الذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه، ونحوه في معاني الأخبار ص ٢٨٧.

والبغيبغة وغيرها[١]، ما يدرّ كلّ سنة بأُلوف الدنانير، وقد أوقفها جميعاً في سبيل الله، وكان يضرب بالمسحاة بيده في عقار الله، لا حرصاً على الدنيا والأموال، ولكن حرصاً على الإنفاق في سبيل الله والإحسان على الضعفاء من عباد الله[٢].

(١) - انظر في ما يخصّ أملاك أمير المؤمنين عليه السلام التي تصدّق بها: تاريخ المدينة ج١ ص ٢١٩- ٢٢٨، الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ١٥٣- ١٥٥، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب لسليمان الكوفيّ ج ٢ ص ٨١- ٨٢، معجم ما استعجم ج ١ ص ٢٦٢، الإصابة ج ٧ ص ٣٤٣، رقم ١٠٦٦٠، معجم البلدان ج ٤ ص ١٩٨ رقم ٨٦٩٩. وأبو نيزر- الذي تنسب إليه العين- هو مولىً للإمام عليّ عليه السلام، كان ابناً للنجاشي ملك الحبشة- الذي هاجر إليه المسلمون- لصُلبه، وجده الإمام عليّ عليه السلام عند تاجر بمكّة فاشتراه منه وأعتقه مكافأةً بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه، وذكروا أنّ الحبشة مَرِجَ عليها أمرُها بعد موت النجاشي، وأنّهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع الإمام ليُمَلّكوه عليهم ويتوّجوه ولا يختلفوا عليه، فأبى، وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن مَنَّ الله عليَّ بالإسلام. انظر ترجمته في المصادر المذكورة آنفاً.

(٢) - قال السيّد رضي الدّين بن طاووس الحسنيّ قدّس سرّه في كتابه القيّم «**كشف المحجّة**» ما هذا لفظه: واعلم يا ولدي محمّد... أنّ جماعة ممّن أدركتهم كانوا يعتقدون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جدّك محمّداً وأباك عليّاً صلوات الله عليهما كانا فقيرين لأجل ما يبلغهم إيثارهم بالقوت واحتمال الطوى والجوع والزهد في الدنيا، فاعتقد السامعون لذلك الآن أنّ الزهد لا يكون إلاّ مع الفقر، وتعذّر مع الإمكان. وليس الأمر كما اعتقده أهل الضعف، المهملين للكشف، لأنّ الأنبياء عليهم السلام أغنى أهل الدنيا، بتمكين الله جلّ جلاله لهم ممّا يريدون منه جلّ جلاله من الإحسان إليهم، ومن طريق نبوّتهم كانوا أغنى أممهم وأهل ملّتهم، ولولا اللطف برسالتهم ما كان لأهل وقتهم مال ولا حال، وإنّما كانوا عليهم السلام يؤثرون بالموجود ولا يسبقون الله جلّ جلاله بطلب مال يريد أن يطلبوه من المفقود.

وقد وهب جدّك محمّدٌ صلى الله عليه وآله أُمّك فاطمة صلوات الله عليها فدكاً والعوالي من جملة مواهبه، وكان دخلها، في رواية الشيخ عبد الله بن حمّاد الأنصاريّ: أربعة وعشرون ألف دينار كلّ سنة، وفي رواية غيره: سبعون ألف دينار، وهي وزوجها المعظّم والواهب الأعظم من أعظم الزهّاد والأبرار، وكان يكفيهم منها أيسر اليسير، ولكنّ العارفين ما ينازعون الله جلّ جلاله في تملّك قليل ولا كثير، ولكنّهم كالوكلاء والأُمناء والعبيد الضعفاء، فيصرفون في الدنيا وفي ما يعطيهم منها كما يصرّفهم هو جلّ جلاله، وهم في الحقيقة زاهدون فيها وخارجون عنها. ووجدت في أصل، تاريخ كتابته سبع وثلاثين ومئتين.. عن مولانا عليّ أبيك أمير المؤمنين عليه السلام: تزوّجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش، وصدقتي اليوم لو قُسّمت على بني هاشم لوسعتهم. وقال في الكتاب: إنّه عليه السلام وقف أمواله وكانت غلّته أربعين ألف دينار، وباع سيفه وقال: من يشتري سيفي؟! ولو كان عندي عشاء ما بعته. وروى فيه أنّه قال مرّةً عليه السلام: من يشتري سيفي الفلاني؟ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته، قال: وكان يفعل هذا وغلّته أربعون ألف دينار من صدقته...

ورأيت في كتاب إبراهيم بن محمّد الأشعريّ، الثقة، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قُبض عليٌّ عليه السلام وعليه دين ثمانمئة ألف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمئة ألف درهم فقضاها عنه، وباع ضيعة أُخرى له بثلاثمئة ألف درهم فقضاها عنه، وذلك أنّه لم يكن يذر من الخمس شيئاً وكان تنوبه نوائب. ورأيت في كتاب عبد الله بن بكير، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، أنّ الحسين عليه السلام قُتل وعليه دين، وأنّ عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام باع ضيعة له بثلاثمئة ألف ليقضي دين الحسين عليه السلام...

وكان وقف جدّك أمير المؤمنين عليه السلام على أولاده خاصّة من فاطمة عليها السلام لها عامل من ذرّيّته، فكيف وقع الضعفاء أنّه كان فقيراً وأنّ الغنى لا يكون لمن جعله الله جلّ جلاله من خاصّته؟! وهل خلق الله جلّ جلاله الدنيا والآخرة إلّا لأهل عنايته؟! انتهى. (انظر: كشف المحجّة ص ١٢٣- ١٢٦). وغير خفيّ على القارئ الكريم أنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام استخرج عيوناً بكدّ يده بالمدينة وينبع وسويعة، وأحيى بها مواتاً كثيراً، ثمّ أخرجها عن مُلكه وتصدّق بها على المسلمين، ولم يمت وشيء منها في مُلكه، وجملة من وصاياه عليه السلام في صدقاته وموقوفاته مروية في الجامع الكبير «**الكافي**» للكليني رحمه الله ج ٧ ص ٤٧- ٥٥، فراجع. ولم يورّث أمير المؤمنين عليه السلام بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلّا عبيده وإماءه وسبعمئة درهم من عطائه تركها ليشتري بها خادماً لأهله قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً، على حسب المئة أربعة دنانير، هكذا كانت المعاملة بالدراهم إذ ذاك. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعمل بيده يحرث الأرض ويستقي الماء ويغرس النخل، كلّ ذلك يباشر بنفسه الشريفة ولم يستبْقِ منه لوقته ولا لعقبه قليلاً ولا كثيراً،

وكانت قِنية[١] تلك الأثواب الثمينة تمسّ ورع الحسين عليه السلام وزهده لو كان يشحّ بها ويحرص عليها، أمَا وقد بذلها في فكّ الأسير المجاهد في سبيل الله فتلك فضيلة للحسين، عليه السلام، وكرامة تزيد في علوّ ورعه وزهده، ورغبته في تضميد عواطف الفقراء المجروحة، والترفيه عن كلّ بائس محتاج. ولعلّك- عافاك الله- حسبت أنّ الحسين، عليه السلام، يلبس تلك الثياب ويتظاهر فيها بالبذخ والخيلاء، أو نحو ذلك ممّا ينافي تلك القدسيّة السامية!

كلاّ يا عزيزي! فإنّ الحسين، سلام الله عليه، لو ملَكَ الدنيا كلّها لوهبها لحظة واحدة في سبيل الله، وفي سبيل البرّ والمعروف، وما كان يضع شيئاً من تلك الثياب على بشرة بدنه الشريف، وإنّما يقتنيها ليجود بها ويعطيها ويضعها في مواضعها اللائقة بها.

وقد ورد في بعض الأخبار أنّه سلام الله عليه لمّا استُشهد كان عليه من الدّين سبعة آلاف دينار ذهباً، أو سبعون ألفاً، وأنّ عليّ بن الحسين لمّا رجع إلى المدينة امتنع عن الطعام والمنام إلى أن قضاها عن أبيه[٢].

والخلاصة: أنّ الزهد هو قطع العلاقة عن الدنيا، وعن حبّ المال، لا عدم وجود المال، وليس الزهد هو لبس الثياب الممزّقة والأطمار المرقّعة والمآكل الخشنة!

وإنّما كان صدقة، وقصّة عين أبي نيزر معروفة، نقلها أبو العبّاس المبرّد في «**الكامل**»، انظر: ج ٣ ص ٩٣٧ ط مصر (ج ٢ ص ١٥٣- ١٥٥). وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جدّاً بخيبر وفدك وبني النضير، والحوائط السبعة مشهورة وقد أوصى بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنته الصدّيقة الطاهرة عليها السلام. وروي أنّ هذه الحوائط كانت وقفاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ منها ما ينفقه على أضيافه ومن يمرّ به، فلمّا قبض جاء العبّاس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها، فشهد عليّ عليه السلام وغيره أنّها وقف. وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله وادي نخلة وضياع أُخرى كثيرة بالطائف. عن أبي بصير، قال: لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أنّ طلحة والزبير يقولان: ليس لعليّ مال، فشقّ ذلك عليه، وأمر وكلاءه أن يجمعوا غلّته، حتّى إذا حال الحول أتوه وقد جمعوا من ثمن الغلّة مئة ألف درهم فنثرت بين يديه، فأرسل إلى طلحة والزبير، فأتياه، فقال لهما: هذا المال والله لي، ليس لأحد فيه شيء، وكان عندهما مصدّقاً، فخرجا من عنده وهما يقولان: إنّ له لمالاً. انظر: الجامع الكبير «**الكافي**» ج ٦ ص ٤٤٠، والبحار ج ٤١ ص ١٢٥- ١٢٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٣٣ ط مصر، (ج ١٥ ص ١٤٦ وما بعدها)، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٠ ط مصر، (ج ٤ ص ٣٢١- ٣٢٧). القاضي الطباطبائيّ.

(١) - قَنا يَقْنُو قَنْواً وقُنُواناً، والمصدر القِنيان والقُنيان، وتقول: اقتنى يقتني اقتناءً، وهو أن يتّخذه لنفسه لا للبيع، ويقال: هذه قِنيَةٌ واتّخذها قِنيةً للنسل لا للتجارة. انظر: لسان العرب ج ١ ص ٣٢٩، مادّة «**قنا**».

(٢) - كشف المحجّة ص ١٢٥.

واسمح لي- يا نور عيني- أن أقول لك: إنّ أكثر الناس لا يعرفون من حقيقة الزهد شيئاً، والموكب العظيم الذي سار فيه الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق، وسقى في قفر الأرض بِحَرّ الهجير ألف فارس وألف فرس[١] أعظم من قضيّة الثياب الخمسة.

أمّا زيد بن أرقم وقوله: «**إرفع عودك عن هاتين..**» إلى آخره..

فلعلّ تقبيل رسول الله شفتَي الحسين، عليه السلام، من جهة أنّه تعالى أعلمه أنّهما موضع ضرب يزيد وابن زياد اللّذَيْن قرعا ثغر الحسين عليه السلام بالخيزرانة[٢].

وأمّا حديث: «**نحن أسرار الله المودعة..**» إلى آخره..

فحيث إنّه من الأسرار التي لا يليق إفشاؤها[٣]، مضافاً إلى ضيق المجال وطول المقال، فالأجدر عدم الخوض فيه. ونسأله تعالى أن يعصم أفهامنا وأقلامنا من الهفوات.

وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب.

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) - إشارة إلى قضيّة الحرّ رحمه الله ولقائه مع سيّد الشهداء عليه السلام، ومنعه الإمام عليه السلام من الدخول إلى الكوفة، مذكورة في كتب التاريخ والمقاتل، لا حاجة إلى ذكرها، ومن شاء أن يطّلع فعليه بالمراجعة إلى مظانّها. القاضي الطباطبائيّ.

(٢) - نقل العلّامة الزمخشريّ قضية زيد بن أرقم مع ابن زياد بهذه الصورة، قال في «**الفائق**» ما هذا لفظه: ابن زياد لعنه الله دخل عليه زيد بن أرقم وبين يديه رأس الحسين- عليه وعلى أبيه وجدّه وأمّه وجدّته من الصلوات أذكاها، ومن التحيّات أنماها- وهو ينكته بقضيب معه، فغشي عليه، فلمّا أفاق قال له: ما لك يا شيخ؟! قال: رأيتك تضرب شفتين طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّلهما، فقال ابن زياد لعنه الله: أخرجوه! فلمّا قام ليخرج قال: إنّ محمّديكم هذا لدحداح. انظر: الفائق ج ٣ ص ٣٢٩ ط مصر ١٣٦٤ هـ (ج ١ ص ٤١٩) مادّة «**دحح**». القاضي الطباطبائيّ. وراجع أيضاً: ما تقدّم من المصادر في ص ٣٤٤.

(٣) - أقول: لقد ورد عن الأئمّة عليهم السلام ما يؤكّد على كتمان أسرارهم وعدم إذاعة أمرهم في المجالس العامّة، وفي المحافل التي يغلب عليها الجهل ونصب العداوة لهم عليهم السلام، وذلك حذراً من عدم استطاعة العقول الضيّقة من تحمّل تلك الأسرار، ومن ثَمَّ تأويلها حسب الأهواء ممّا يدفع ببعضهم إلى الغلوّ لدرجة العبوديّة، وبعضهم الآخر إلى التكذيب بها فالبغض إلى درجة نصب العداء لهم وتكفير شيعتهم والموالين لهم. يقول أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحمله إلّا عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلّا صدور أمينة وأحلام رزينة**». انظر: نهج البلاغة ص ٢٨٠، من كلامه في صعوبة الإيمان.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا ملَكٌ مقرّب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، وما أنكرت فرُدّوه إلينا**». انظر: بصائر الدرجات ص ٤١ ح ٤. وإلى ذلك يشير الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام حين قال: «**إنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله**». انظر: أُصول الكافي ج ٢ ص ٢٥١، باب الكتمان ح ٥.

الفهرس

مقدمة ٥

دراسة حول المقاتل والمصنّفات العاشورائيّة

منذ بدايتها وإلى عصرنا الحاضر ٩

المقطع الأوّل: (من القرن الثاني إلى القرن السابع): ١٣

١- آثار القرن الثاني ١٣

٢- آثار القرن الثالث ١٦

٣ - آثار القرن الرابع: ١٩

٤- آثار القرن الخامس ٢٢

٥- آثار القرن السادس ٢٣

٦- آثار القرن السابع ٢٥

كتب المراثي والعزاء ٢٦

المقطع الثاني: (من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر) ٧٣

البحث الأوّل: التعريف ببعض الكتابات المهمّة حول عاشوراء ٧٤

البحث الثاني: التعريف ببعض المصنّفات المهمّة

من مصادر التحريف لتاريخ عاشوراء في القرون الأخيرة ٨١

الطفل الرضيع وعليّ الأصغر ١٠٧

الطفل الرضيع للإمام الحسين عليه السلام ١٢٣

اسم الطفل ١٢٤

عمر الطفل ١٢٦
مناقشة رأي المشهور ونقده ١٢٨
كيفيّة استشهاد الطفل الرضيع ١٢٨
هل عليّ الأصغر هو غير عبد الله الرضيع؟ ١٣٤
نقد وتحقيق ١٣٥
النتيجة ١٣٨
مع الثقلين في كربلاء ١٣٩
القرآن والإمام الحسين عليه السلام ١٤١
حركة الإمام الحسين عليه السلام على أساس القرآن ١٤٤
تجلّيات القرآن في كربلاء ١٤٧
القرآن، الصلاة، والإمام الحسين عليه السلام ١٤٩
عبد الله بن عبّاس والنهضة الحسينيّة ١٥٣
ابن عبّاس مع أمير المؤمنين عليه السلام ١٥٥
ابن عبّاس وأكذوبة أموال البصرة ١٥٥
ابن عبّاس مع الإمام الحسن عليه السلام ١٥٩
موقف ابن عبّاس من الثورة الحسينيّة ١٥٩
معنى الاستخارة ١٧١
لماذا تخلّف ابن عبّاس عن الإمام؟ ١٧٧
رسائل ابن عبّاس إلى يزيد ١٨٤
نُبذَةٌ مِنَ السياسَةِ الحُسَيْنيّة ١٨٩
مقدّمة التحقيق ١٨٩
ترجمة المؤلّف ١٩٣
منهجيّة التحقيق ١٩٥
كتاب الشيخ عبد المهدي مطر ١٩٨

(جواب الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء).....١٩٩
عرض الجواب على الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.....٢٠٣
جواب الشيخ كاشف الغطاء ٢٠٤
الفهرس..... ٢٥١